

أَسَاسُ التَّقْدِيسِ

لِلإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّازِي

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُتَوَفَّى ٦٦٦ هـ

تَحْقِيقُ

الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ حُجَّازِي السَّقَا

مُتَنَزِّعُ الطَّبْعِ وَالنَّشْرِ

مَكْتَبَةُ الْكَلِمَاتِ الْأَزْهَرِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ

أَسَاسُ التَّقْدِيسِ

تأليف
الإمام فخر الدين الرازي
محدث عشرين المحققين المتوفين

من تراث الرازي

٩

تحقيق
دكتور محمد جباري الشافعي

الناشر
مكتبة الكليات الأزهرية
مبنى محمد إمامي وأخوه محمد
٩ ش. الصادقية. الأزهر. القاهرة

حقوق الطبع محفوظة للناسر

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

رقم الايداع ٨٦/٣٩٨٣

٩٧٧ - ١٩٣ - ٠٢٧ - ٣

للهداية

أهدي هذا الكتاب إلى الله تعالى والرسول
يحيى ناسم حسن فرغل تقديراً لعلمه وخمسة خلقه

أحمد مجازي السقا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالكتاب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، محمد . وعلى آله وأصحابه ، وعلى الأنبياء السابقين ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

أما به — د —

ففى القرآن الكريم قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله . يد الله فوق أيديهم » ، وهذا القول يفسره الإمام محمود بن عمر بقوله : « يريد أن يد رسول الله - الذى تعلو أيدي المبايعين - هى يد الله . والله - تعالى - منزّه عن الجوارح ، وعن صفات الأجسام . وإنما المعنى : تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول ، كمعقده مع الله ، من غير تفاوت بينهما . كقوله تعالى : « من يقطع الرسول ، فقد أطاع الله » (١) ، يريد هذا الشيخ الجليل أن يقول : إن يد الله ، لا تعنى أن لله يد جارحة كأيدى البشر ، وإنما تعنى أن العقد مع الرسول ، كالعقد مع الله . لأن الله وعد بأن يوفى المجاهدين أجرهم بغير حساب « ومن أوفى بعهده من الله » ؟ وقد التزم الشيخ الجليل بهذا المعنى ، لورود نصوص محكمة فى القرآن ، تنفى المثل عن الله عز وجل . منها قوله تعالى : « ليس كمثله شئ » ، وهو السميع البصير ، والذين لا يحسنون التأويل من المسلمين ، يقولون : إن الله له يد ، لأنه أثبت لنفسه يداً فى

(١) انظر الكشف فى سورة الفتح .

قوله : « يد الله » ويقولون : لا مثل لليد ولالله ، لأنه نفى عن نفسه
المثل في قوله : « ليس كمثله شيء » ،

وهذا الكتاب النفيس ، المسمى بـ « تأسيس التقديس » ، أو « أساس
التقديس » ، يثبت وجود الله عز وجل ، ويؤول الصفات التي توهم أعضاء
الله عز وجل ، كاليد والرجل والعين والأذن ، ويؤول الصفات التي توهم
أفعال الله عز وجل ، تليق بغيره ولا تليق به ، كالغضب والسخط والمكر
والاستيحا . على نحو ما أول الشيخ الجليل محمد بن عمر المتوفى سنة ٥٣٨هـ في
« يد الله فوق أيديهم » ، وعلى نحو ما أول الشيخ الغزالي أبو حامد حجة
الإسلام ، المتوفى سنة ٥٠٥هـ وعلى نحو ما أول الشيخ عبد الوهاب الشعراني ،
الصوفي الشهير .

وفطبعة على المخطوطة الموجودة في دار الكتب المصرية ٢٣٢٢٢ ب
ميكرو فيلم ٢٠٨٦٤ ورمزها في التحقيق : (خ) وعلى نسخة كردستان ١٣٢٨
ورمزها في التحقيق (ط) وإذا صححنا ، يكون الرمز (ص) إشارة
إلى الأصل .

ومؤلف الكتاب : هو الإمام الجليل ، فخر الدين الرازي . محمد بن عمر
بن الحسين ، المتوفى سنة ست مائة وست من الهجرة ، وهو أشهر العقيدة ،
شافعي المذهب - مثلنا - ومن كتبه :

١ - التفسير الكبير ، واسمه مفاتيح الغيب .

٢ - المحصول في أصول الفقه .

٣ - المطالب العالية من العلم الإلهي - والعلم الإلهي هو المسمى في لسان
اليونانيين يا ثولوجيا ، وفي لسان المسلمين علم الكلام أو الفلسفة الإسلامية

— وهو كتاب فى تسعة أجزاء طبعته الكليات الأزهرية ، بتحقيقنا
سنة ١٩٨٥ —

٤ — الأربعين فى أصول الدين .

٥ — مناقب الإمام الشافعى ، واسمه أيضا : إرشاد الطالبين إلى المنهج
القويم فى بيان مناقب الإمام الشافعى — وقد طبعته الكليات الأزهرية
بتحقيقنا سنة ١٩٨٥ —

٦ — شرح عيون الحكمة — وعيون الحكمة من تأليف الفيلسوف
ابن سينا —

٧ — محصل أفكار المتقدمين .

٨ — لوامع البينات فى شرح أسماء الله والصفات .

٩ — أساس التقديس . ١٠ — لباب الإشارات والتنبيهات —
وهو تهذيب ومختصر كتاب «الإشارات والتنبيهات» لابن سينا الفيلسوف .
واعلم : أن الجزء الثامن من كتاب «المطالب العالية» وعنوانه
«النبوات وما يتعلق بها» قد طبعته الكليات الأزهرية ضمن كتاب
المطالب ، وطبعته فى كتاب منفرد سنة ١٩٨٤ . وفى التقديم له كتاب
منفرد ؛ كتبنا فى التقديم هذه المباحث :

- ١ — إثبات النبوة ٢ — النبوة عند علماء بنى إسرائيل .
- ٣ — نسخ الشرائع ٤ — علم السحر
- ٥ — كرامات الأولياء .

ومثله سيكون الجزء السابع والتاسع فى الطبع . وعنوان السابع :
«الأرواح العالية والسافلة» ، وعنوان التاسع «القضاء والقدر» ، أو «الجبر
والقدر» .

وقد حققت « أساس التقديس » بعون الله تعالى ، في المملكة الأردنية الهاشمية ، في شهر أكتوبر سنة ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين من الميلاد ، ولما عدت إلى مصر ، كتبت مبحثاً عن « تأويل صفات الله تعالى بين اليهودية والإسلام » ضمن بيان قضية هذا الكتاب ، لا قوى به كلام المؤلف — رحمه الله — ووضعت بعد تمام الكتاب .

وقد راجع المبحث ، ورتب عناصره : أستاذنا الجليل الشيخ محمود مصطفى بدوى . فله الشكر .

والله أسأل أن يوفقنا إلى خدمة العلم والدين .

د / أحمد حجازى أحمد السقا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد (١) لله الواجب وجوده وبقاؤه ، الممتنع تغييره وفناؤه . العظيم قدره واستعلاؤه ، العليم (٢) (الآلؤه ونعماؤه) (٣) العدل على وحدانيته : أرضه وسماؤه ، المتعالى عن شوائب التشبيه والتعطيل : صفاته وأسمائه . فاستواؤه (٤) : قهره واستيلاؤه ، ونزوله : بره وهطائه ، وبجيته : حكمه

(١) أول ط : قال الشيخ الامام فخر الدين محمد بن عمر ، الرازى - نعمده الله بفقرانه - الحمد لله ... الخ وأول خ : قال الامام علامة العالم ، استاذ البشر ، الداعى الى الله تعالى ، فخر الدين ، حجة الاسلام : محمد بن عمر الرازى - نعمده الله برحمته - : الحمد لله .. الخ

(٢) فى ط : نعمائه الآؤه ..

(٣) يريد المؤلف أن يقول : أن الحق فى قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » أن يفسر الاستواء بالقهر والاستيلاء على المعنى المجازى ، ولا يفسر بالجلوس على المعنى الحقيقى . لأن الله ليس كمثل شئ . ثم يستمر فى بيان تأويل الصفات . فيقول : أن معنى نزول الله : نزوله بـه ، لا النزول الحقيقى ، لأن النزول الحقيقى يستدعى مكانا وجهة . وهكذا فى سائر الصفات الموهمة أن الله يشبه البشر فى صفاتهم الجسمية والفعلية . ومذهب التأويل هذا الذى يشرحه الامام فخر الدين فى أساس التقديس بعبارات واضحة مطولة ، هو نفسه مذهب السلف ومذهب أهل النصوص ، فقد صرح به حجة الاسلام محمد بن محمد الغزالى فى « الاقتصاد فى الاعتقاد » وصرح به الشيخ عبدالوهاب الشعرانى فى « لطائف المنن والأخلاق » وهو مذهب الشيعة الامامية ، وهو مذهب علماء بنى اسرائيل ، وهو مذهب المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . فانه لما قال لبنى اسرائيل : « كل شئ يأتى من يد الله » (بر ١٠٤ : ٧) قال له تلميذ من تلاميذه : اسمه « متى » : « يا معلم . انك لقد اعترفت امام اليهودية كلها . بأن ليس لله من شبه كالبشر ، وقلت الآن : أن الانسان ينال من يد الله . فاذا كان لله يدان ، فله اذا شبه بالبشر ؟ أجاب يسوع : انك لفى ضلال يا متى . ولقد ضل كثيرون هكذا . اذ لم يفقهوا معنى الكلام لانه لا يجب على الانسان أن يلاحظ ظاهر الكلام ، بل معناه ... الخ » .

وقضاؤه، ووجهه: (جوده، أوجوده وحبائه) (٤) وعينه: حفظه، (وعوقه) (٥)،
اجتباؤه، وضحه: عفوه، أو إذنه وارتضاؤه، وبده: إنعامه، أو إكرامه
واصفائه. ولا يجرى في الدارين من أفعاله: إلا ما يريد ويشاءه.
والعظمة: إزاره، والكبرياء: رداؤه.

(أحمد على جزيل نعمه، وجميل كرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له) (٦) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه،
وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد

فإني وإن كنت ساكنًا في أقصى بلاد المشرق، إلا أنني (لما سمعت) (٧)،
أهل المشرق والمغرب، مطبقين متفقين، على أن السلطان المعظم، العالم
العادل، المجاهد، سيف الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، أفضل
سلاطين الحق واليقين، أبا بكر بن أيوب، — لازالت آيات راياته في
تقوية الدين الحق، والمذهب الصدق، متصاعدة إلى عنان السماء، وآثار
أنوار قدرته ومكنته، باقية، بحسب تعاقب الصباح والمساء — أفضل الملوك،
وأكمل السلاطين، في آيات الفضل، وبيئات الصدق، وتقوية الدين القويم،
ونصرة العرأط المستقيم، أردت (٨) أن أتخفه بتحفة سنية، وهدية مرضية.
فاتخفته بهذا الكتاب، الذي سميت به أساس التقديس، (٩) على بعد الدار.

(٥) سقط خ

(٧) الا انى سمعت: ص

(٩) في خ: بتأسيس التقديس

(٤) من خ

(٦) سقط: خ

(٨) فأردت: ص

وتباين الأقطار ، وسألت الله الكريم (١٠) أن ينفعه به في الدارين ،
بفضله وكرمه .

ورتبته على أربعة أقسام . القسم الأول : في الدلائل الدالة على أنه تعالى
منزه عن الجسمية والحيز (والقسم الثاني : في تأويل المتشابهات ، من الأخبار
والآيات . والقسم الثالث : في تقرير مذهب السلف . والقسم الرابع : في
بقية الكلام في هذا الباب) (١١) .

القسم الاول

في

الدلائل الدالة على أنه تعالى
منزه عن الجسمية والحيز

الفصل الاول

في

تقرير المقدمات التي يجب ايرادها

قبل الخوض في الدلائل

وهي ثلاثة :

المقدمة الاولى

في

اثبات موجود لا يشار اليه بالحس

اعلم^(١) : أنا ندعى وجود موجود لا يمكن أن يشار إليه بالحس ،
أنه ههنا ، أو هناك^(٢) أو نقول : إنا ندعى وجود موجود (غير مختص
بشيء من الأحياء والجهات ، أو نقول : إنا ندعى وجود موجود)^(٣)
غير حال في العالم ، ولا مباين (عنه)^(٤) في شيء من الجهات الست ،
ألقى العالم .

وهذه العبارات متفاوتة^(٥) والمقصود من الكل شيء واحد .

ومن المخالفين من يدعى : أن فساد هذه المقدمات : معلوم بالضرورة .
قالوا^(٦) : لأن العلم الضروري حاصل بأن كل موجودين ، فإنه

(١) المقدمة الاولى : اعلم ... الخ : الاصل .

(٢) هنالك : خ (٣) سقط : خ

(٤) سقط : خ (٥) متقارنة : خ

(٦) وقالوا : ص

لا بد وأن يكون أحدهما حالا في الآخر ، أو مبايناً عنه ، مختصاً بجهة من الجهات الست المحيطة به .

وقالوا (٧) : وإثبات موجودين على خلاف هذه الأقسام السبعة : باطل في بدائنه العقول . واعلم : أنه لو ثبت كون هذه المقدمة بديهية ، لم يكن الخوض في ذكر الدلائل جائزاً ، لأن على تقدير أن يكون الأمر على ما قالوه ، كان الشروع في الاستدلال على كون الله تعالى غير حال في العالم ولا مباين عنه بالجهة : لإبطالاً للضروريات . والقدح في الضروريات بالنظريات : يقتضى القدح في الأصل بالفرع ، وذلك يوجب تطرق الطعن إلى الأصل والفرع معاً . وهو باطل . بل يجب علينا : بيان أن هذه المقدمة ليست من المقدمات البديهية ، حتى يزول هذا الإشكال .

فنقول : الذي يدل على أن هذه المقدمات ليست بديهية ، وجود :

الأول : إن جمهور العقلاء المعتبرين ، اتفقوا على أنه تعالى ليس بمتحيز ولا مختص بشئ من الجهات ، وأنه تعالى غير حال في العالم ، ولا مباين عنه في شئ من الجهات . ولو كان فساد هذه المقدمات معلوماً بالبديهية ، لسكان إطباق أكثر العقلاء على إنكارها بمتنعا ، لأن الجمع العظيم من العقلاء لا يجوز إطباقهم على إنكار الضروريات . بل نقول : الفلاسفة اتفقوا على إثبات موجودات ، ليست بمتحيزة ، ولا حالية في المتحيز . مثل العقول والنفوس وأهليولى . بل زعموا : أن الشئ الذى يشير إليه كل إنسان بقوله أنا : موجود ، وليس بجسم ولا جسمانى . ولم يقل أحد بأنهم في هذه الدعوى ، منسكرون لبديهيات ، بل جمع عظيم من المسلمين ، اختاروا مذهبهم . مثل . معمر بن عباد السلمى من المعتزلة ، ومثل محمد بن النهمان (٨) من الرافضة ،

ومثل أى القاسم الراغب ، وأبى حامد الغزالي من أصحابنا . وإذا كان الامر كذلك ، فكيف يمكن أن يقال بأن القول بأن الله تعالى ليس بمتحيز ، ولا حال فى المتحيز : قول مدفوع فى بدائه العقول .

الثانى : إنما إذا عرضنا على العقل ، وجود موجود لا يكون حالا فى العالم ولا مباينا عنه فى شىء من الجهات الست ، وعرضنا على العقل أيضا أن الواحد نصف الاثنين ، وأن النفي والإثبات لا يجتمعان : وجدنا العقل متوقفا فى المقدمة الأولى ، جازما فى المقدمة الثانية . وهذا التفاوت معلوم بالضرورة . وذلك يدل على أن العقل غير قاطع فى المقدمة الأولى لا بالنفي ولا بالإثبات . غاية ما فى الباب : إنما نجد من أنفسنا ميلا إلى القول بأن كل ما سوى العالم ، لا بد وأن يكون حالا فيه ، أو مباينا عنه بالجهة والحين . إلا أننا نقول : لما رأينا أن العقل لم يجزم بهذه المقدمة ، مثل جزمه بأن الواحد نصف الاثنين : علمنا أنه غير قاطع بأن ما سوى العالم ، لا بد وأن يكون حالا فيه ، أو مباينا عنه بالجهة ، بل هو مجوز لنقيضه . وإذا ثبت هذا فنقول : إن ذلك الظن إنما حصل بسبب أن الوهم والخيال لا يتصرفان إلا فى المحسوسات . فلا جرم كان من شأنها أنهما يقضيان على كل شىء بالأحكام اللاتقة بالمحسوسات . وهذا الميل^(٩) إنما جاء بسبب الوهم والخيال ، لا بسبب العقل البتة .

الثالث : إنما إذا قلنا : الموجود إما أن يكون متحيزاً ، أو حالا فى المتحيز ، أو لا متحيزاً ولا حالا فى المتحيز : وجدنا العقل قاطعاً بصحة هذا التقسيم . ولو قلنا : الموجود إما أن يكون متحيزاً ، أو حالا فى المتحيز ، واقتصرنا على هذا القدر : علمنا بالضرورة . أن هذا التقسيم غير تام ، ولا منحصر وأنه لا يتم إلا بضم القسم الثالث . وهو أن يقال : وإما أن

(٩) فهذا الميل : نظو هذا المثل : خ

لا يكون متحيزاً ، ولا حالاً في المتحيز . وإذا كان الأمر كذلك ، علمنا بالضرورة: أن احتمال هذا القسم ، وهو وجود موجود ، لا يكون متحيزاً ، ولا حالاً في المتحيز : قائم في العقول من غير مدافعة ولا منازعة ، وأنه لا يمكن الجزم بنفيه ولا بإثباته إلا بدليل منفصل .

الرابع : إنا نعلم بالضرورة أن أشخاص الناس مشتركة في مفهوم الإنسانية . ومتباينة بخصوصياتها وتعييناتها . وما به المشاركة غير ما به الممايزة . وهذا يقتضى أن يقال : الإنسانية من حيث هي إنسانية : مجردة عن الشكل المعين (والخيز المعين) (١٠) فالإنسانية من حيث هي ، معقول مجرد (وإذا ثبت ذلك) (١١) فقد أخرج البحث والتفتيش عن المحسوس : ما هو معقول مجرد . وإذا كان كذلك ، فكيف يستبعد في العقل أن يكون خالق المحسوسات ، منزهاً عن لواحق الحس وعلائق الخيال ؟

الخامس : إن كل ماهية ، إذا (١٢) اعتبرناها بحدها وحقيقتها . فإننا قد نعقلها حال غفلتنا عن الوضع (١٣) والخيز فكيف والإنسان إذا كان مستغرق الفكر في تفهم أن حد العلم ما هو ؟ وحد الطبيعة ما هو ؟ فإنه في تلك الحالة يكون غافلاً عن حقيقة الخيز والمقدار . فضلاً عن أن يحكم بأن تلك الحقيقة لا بد وأن تكون مختصة بمحل أو بجهة . وهذا يقتضى أنه يمكننا أن نعقل الماهيات حال ذهولنا عن الخيز والشكل والمقدار .

(١٠) زيادة من خ

(١٢) فلنا اذا : ص

(١١) زيادة

(١٣) الوضع : ط الوضع : خ

السادس: وهو أن الواحد منا حال ما يكون مستغرق الفكر والرؤية ،
في استخراج مسألة معضلة ، قد يقول في نفسه : لاني قد حكمت بكذا
(أو عقلت كذا) (١٤) فإل ما يقول في نفسه : لاني (عقلت كذا) (١٥) أو حكمت
بكذا : يكون عارفا بنفسه . إذ لو لم يكن عارفا بنفسه ، لا تمتع منه أن
يحكم على ذاته بأنه حكم بكذا ، أو عرف كذا ، مع أنه في تلك الحالة قد
يكون غافلا عن معنى الحيز والجهة ، وعن معنى الشكل والمقدار ، فضلا
عن أن يعلم كون ذاته في الحيز ، أو كون ذاته موصوفة بالشكل
والمقدار . فثبت : أن العلم بالشئ قد يحصل عند عدم العلم بحيزه وشكله
ومقداره . وذلك يفيد القطع بأن الشئ المجرد عن الوضع والجهة ، يصح
أن يكون معقولا .

السابع: لانا نبصر الأشياء . إلا أن القوة الباصرة لا تبصر نفسها :
وكذلك القوة الخيالية تتخيل الأشياء . إلا أن هذه القوة لا يمكنها أن
تتخيل نفسها . فوجود للقوة الباصرة يدل على أنه لا يجب أن يكون كل
شئ متخيلا . وذلك يفتح باب الاحتمال المذكور .

الثامن: إن خصومنا لا بد لهم من الاعتراف بوجود شئ على خلاف
حكم الحس والخيال . وذلك لأن خصومنا في هذا الباب : إما الكرامية ،
وإما الحنابلة .

أما الكرامية . فإننا إذا قلنا لهم : لو كان الله تعالى مشاراً إليه بالحس ،
الكان ذلك الشئ إما أن يكون منقسما فيكون مركبا — وأنتم لاتقولون
بذلك — وإما أن يكون غير منقسم ، فيكون في الصغر والحقارة ،

مثل النقطة التي لا تنقسم ، ومثل الجزء الذي لا ينجزاً — وأنتم لا تقولون
بذلك —

وعند هذا الكلام قالوا : إنه واحد منزّه عن التركيب والتأليف ، ومع
هذا ، فإنه ليس بصغير ولا حقير . ومعلوم : أن هذا الذي التزموه بما
لا يقبله الحس والخيال ، بل لا يقبله العقل أيضاً . لأن المشار إليه بحسب
الحس ، إن حصل له امتداد في الجهات والأحياز ، كان أحد جانبيه مغايراً
للجانب الثاني . وذلك يوجب الانقسام في بديهة العقل . وإن لم يحصل له
امتداد في شيء من الجهات ، لا في اليمين ولا في اليسار ولا في الفوق
ولا في التحت ، كان نقطة غير منقسمة ، وكان في غاية الصغر والحقارة .
وإذا لم يبعد عندهم التزام كونه غير قابل للقسمة ، مع كونه عظيماً ، غير متناه في
الامتداد (مع أن هذا جمع بين^(١٦) التناقض والإثبات ، ومدفوع^(١٧) في بدائه
العقول) فكيف حكموا بأن القول بكونه - تعالى - غير حال ، ولا مبين
عنه بحسب الجهة : مدفوع في بدائه العقول^(١٨) ؟

وأما المناهضة الذين التزموا الأجزاء والأبعاد ، فهم أيضاً معترفون
بأن ذاته تعالى مخالف لذوات هذه المحسوسات . فإنه تعالى لا يساوي هذه
الذوات في قبول الاجتماع والافتراق والتغير والفناء ، والصحة والمرض ،
والحياة والموت . إذ لو كانت ذاته - تعالى - مساوية لسائر الذوات في هذه
الصفات ، لزم : إما افتقاره إلى خالق آخر - وعلى هذا يلزم التسلسل^(١٩) -
أو يلزم القول بأن الإمكان والحدوث غير محوج إلى الخالق - وذلك يلزم
منه نفي الصانع - فثبت : أنه لا بد لهم من الاعتراف بأن خصوصية ذاته -

(١٦) كان هذا جمعاً بين : ط (١٧) ومدفوعاً في بداية العقول : ط

(١٨) زيادة منه : ط (١٩) ، ولزم التسلسل : ص

التي بها امتازت عين سائر الذوات - (٢١) لا يصل الوهم والخيال إلى كنهها .
وذلك اعتراف بشيوت أمر على خلاف ما يحكم به الوهم ويقضى به الخيال .
وإذا كان الأمر كذلك ، فأى استبعاد في وجود موجود غير حال في العالم
ولا مبين بالجهة للعالم ، وإن كان الوهم والخيال لا يمكنهما إدراك هذا
الموجود ؟

وأيضاً : فعمدة مذهب الختابة أنهم متى تمسكوا بآية أو بخبر (٢٢) يوم
ظاهرة شيئاً من الأعضاء والجوارح ، صرحوا بأننا ثبت هذا المعنى لله
تعالى على خلاف ما هو ثابت للخلق . فاثبتوا لله — تعالى — وجهاً ،
على خلاف (٢٣) وجوه الخلق ، وبدأ على خلاف أيدي الخلق . ومعلوم
أن اليد والوجه بالمعنى الذي ذكروه مما لا يقبله الخيال والوهم . فإذا
هقل لإثبات ذلك على خلاف الوهم والخيال . فأى استبعاد في القول بأنه
تعالى موجود ، وليس داخل العالم ولا خارج العالم . وإن كان الوهم والخيال
قاصرين عن إدراك هذا الموجود ؟

التاسع : إن أهل التشبيه قالوا : العالم والبارى موجودان . وكل موجودين
فيما أن يكون أحدهما حالاً في الآخر أو مابيناً عنه . قالوا : والقول
بوجود (٢٤) هذا المحصر معلوم بالضرورة . قالوا : والقول بالحلول محال (٢٥)
فتعين كونه مابيناً للعالم بالجهة . وبهذا الطريق احتجوا بكونه تعالى مختصاً
بالحيز والجهة . وأهل الدهر . قالوا : العالم والبارى موجودان . وكل
موجودين فيما أن يكون وجودهما معاً أو أحدهما قبل الآخر . ومحال
أن العالم والبارى معاً . وإلا لزم . إما قدم العالم ، أو حدوث الباري . وهما

(٢٠) مثلاً : ص

(٢١) خبر : خ

(٢٢) بوجود : خ

(٢٣) بخلاف : ظ

(٢٤) القول بالحلول فمحال : خ

محالان . فثبت : أن البارى قبل العالم . ثم قالوا : والعلم الضرورى حاصل . بأن هذه القبلية لا تكون إلا بالزمان والمدة . وإذا ثبت هذا فتقدم البارى . (على العالم) (٢٥) إن كان بمدة متناهية ، لزم حدوث البارى . وإن كان بمدة لا أول لها ، لزم كون المدة قديمة . فأنتجوا بهذا الطريق : قدم المدة والزمان .

فنقول : حاصل هذا الكلام : أن المشبهة زعمت أن مباينة البارى تعالى عن العالم ، لا يعقل حصولها إلا بالجهة . وأنتجوا منه : كون الإله فى الجهة . وزعمت الدهرية : أن تقدم البارى (تعالى) (٢٦) على العالم ، لا يعقل حصوله إلا بالزمان . وأنتجوا منه : قدم المدة . وإذا ثبت هذا فنقول : حكم الخيال فى حق الله تعالى ، إما أن يكون مقبولا أو غير مقبول . فإن كان مقبولا ، فالمشبهة يلزم عليهم مذهب الدهرية ، وهو أن يكون البارى (تعالى) (٢٧) متقدما على العالم بمدة غير متناهية ، ويلزمهم القول بكون الزمان أزليا . والمشبهة لا يقولون بذلك . والدهرية يلزم عليهم مذهب المشبهة . — وهو مباينة البارى (تعالى) (٢٨) عن العالم بالجهة والمكان — فيلزمهم القول بكون البارى (تعالى) (٢٩) مكانيا — وهم لا يقولون به — فصار هذا التناقض (٣٠) واردا على الفريقين .

وأما إن قلنا : حكم الوهم والخيال غير مقبول البتة فى ذات الله تعالى وفى صفاته . فحينئذ نقول : قول المشبهة : إن كل موجودين فلا بد وأن يكون أحدهما حالا فى الآخر ، أو مباينا عنه بالجهة : قول خيالى باطل ، وقول الدهرية (٣١) بأن تقدم البارى (تعالى) (٣٢) على العالم ، لا بد وأن يكون بالمدّة

(٢٥) زيادة من خ.	(٢٦) من خ	(٢٧) من خ
(٢٨) من خ	(٢٩) من خ	(٣٠) النقص : ط
(٣١) الدهرى: صيد	(٣٢) من خ	

والزمان : قول خيالى باطل . وذلك هو قول أصحابنا أهل التوحيد والتزبيد ،
الذين عزلوا حكم الوهم والخيال عن (٣٣) ذات الله تعالى وصفاته . وذلك هو
المنهج القويم ، والصراط المستقيم .

العاشر : إن معرفة أفعال الله تعالى وصفاته ، أقرب إلى العقول ، من
معرفة ذات الله تعالى . ثم المشبهة وافقونا على أن معرفة أفعال الله تعالى
وصفاته ، على خلاف حكم الحس والخيال .

أما تقرير هذا المعنى فى أفعال الله تعالى فذلك من وجوه :

أحدها : إن الذى شاهدناه هو تغير الصفات ، مثل انقلاب الماء والأتربة
نباتا ، وانقلاب النبات جزء بدن حيوان (٣٤) . فأما حدوث الدواب (٣٥)
ابتداء ، من غير سبق مادة وطينة : فهذا شئ ما شاهدناه البتة ، ولا يقضى
بجوازها وهمنا وخيالنا ، مع أننا سلمنا أنه تعالى هو المحدث للدواب ابتداء ،
من غير سبق مادة وطينة .

وثانيها : إنا لا نعقل حدوث شئ وتسكوته ، إلا فى زمان مخصوص .
ثم حكمتنا بأن الزمان حدث لا فى زمان البتة .

وثالثها : إنا لا نعقل فاعلا يفعل ، بعد ما لم يكن فاعلا ، إلا لتغير حالة
وتبدل صفة ، ثم إنا اعترفنا بأنه تعالى خلق العالم من غير شئ . من ذلك (٣٦) .

(ورابعها : إنا لا نعقل فاعلا يفعل فعلا ، إلا لجلب منفعة ، أو لدفع
مضرة . ثم إنا اعترفنا : بأنه تعالى خالق العالم لغير شئ . من هذا (٣٧))

(٣٥) الذوات : هـ

(٣٤) الانسان : ط

(٣٣) فى : خ

(٣٧) سقط : خ

(٣٦) هذا : خ

وأما تقرير هذا المعنى في الصفات . فذلك من وجوه :

أحدها : إنا لانعقل ذاتنا (تكون عالمة) (٣٨) بمعلومات لانهاية لها على التفصيل دفعة (واحدة) (٣٩) فإننا إذا جربنا أنفسنا ، وجدناها مقاشغلت باستحضار معلوم معين ، امتنع عليها (٤٠) في تلك الحالة ، استحضار معلوم آخر . ثم إنا مع ذلك نعتقد : أنه - تعالى - عالم بما لا نهاية له من المعلومات على التفصيل من غير أن يحصل فيه اشتباه والتباس . فكان كونه - تعالى - عالماً بجميع المعلومات : أمراً على خلاف مقتضى الوهم والخيال .

وثانيها : إنا نرى أن كل من فعل فعلاً ، فلا بد له من آلة وأداة ، وأن الأفعال الشاقة تكون سبباً للكلالة والمشقة لذلك الفاعل . ثم إنا نعتقد : أنه - تعالى - يدبر من العرش إلى ما تحت الثرى ، مع أنه منزه عن المشقة والغوب والكلالة .

وثالثها : إنا نعتقد : أنه يسمع أصوات الخلق من العرش إلى ما تحت الثرى ، ويرى الصغير والكبير ، فوق أطباق السموات العلى ، وتحت الأرضين السفلى . ومعلوم : أن الوهم البشرى ، والخيال الإنسانى ، قاصران عن الاعتراف بهذا الموجود . مع أننا نعتقد أنه (سبحانه و(٤١)) تعالى : كذلك ،

فثبت : أن الوهم والخيال قاصران عن معرفة أفعال الله — سبحانه — وتعالى — وصفاته . ومع ذلك فإننا نثبت الأفعال والصفات على مخالفة

(٣٨) يكون عالماً : ط (٣٩) من خ

(٤٠) عليه : خ (٤١) من خ

الوهم والخيال . وقد ثبت : أن معرفة كنهه المذات أعلى وأجل وأنغمض ،
من معرفة كنه الصفات . ولما عزلنا الوهم والخيال في معرفة (الصفات (٤٢))
والأفعال ، فلأن نعلمها في معرفة الذات (كان (٤٣)) أولى وأحرى .

فهذه الدلائل العشرة : دالة على أن كونه - سبحانه وتعالى - منزّه
عن الحيز والجهة : ليس أمراً يدفعه صريح العقل . وذلك هو تمام المطلوب
(وبالله التوفيق (٤٤))

ونختتم هذا الباب : بما روى عن د أرسطاطاليس (٤٥) ، أنه
كتب في أول كتابه في الإلهيات : د من أراد أن يشرع في المعارف
الإلهية ، فليستحدث لنفسه فطرة أخرى ، (٤٦)

قال الشيخ (٤٧) - رضى الله عنه - : وهذا الكلام موافق للوحي
والنبوة . فإنه ذكر مراتب تكون الجسد في قوله تعالى : ولقد خلقنا
الإنسان من سلالة من طين (٤٨) ، فلما آل الأمر إلى تعلق الروح (٤٩)

(٤٢) سقط : خ (٤٣) كان : من خ (٤٤) سقط : خ

(٤٥) أرسطاطاليس : ط وهو أرسطو .

(٤٦) إذا أوجب استحداث فطرة أخرى فلماذا إذن يدل على
وجود الله ؟

(٤٧) الشيخ هو ابن سينا الرئيس . وفي المخطوطة هكذا : فطرة
أخرى . قال تغمد الله برحمته : هذا الكلام ... الخ .

(٤٨) المؤمنون ١٢

(٤٩) إذا كان الحيوان المنوى ميتاً - أى خالى من الروح - فكيف
تحبل الأنثى ؟ ومعنى « خلقا آخر » : أى خلقا مبانيا للخلق الأول . مثل :
أن صار حيوانا وكان جهادا . وقد احتج به أبو حنيفة رحمه الله فمن
غضب بيضة فأفرخت عنده . قال : يضمن البيضة ، ولا يرد الفرخ ، لأنه
خلق آخر سوى البيضة .

بالبدن . قال : ثم أنشأناه خلقاً آخر ، وذلك كالتنبيه على أن كيفية تعلق الروح بالبدن ، ليس مثل انقلاب النطفة من حال إلى حال ، بل هذا نوع آخر ، مخالف لتلك الأنواع المتقدمة . فلهذا السبب قال : « ثم أنشأناه خلقاً آخر ، وكذلك الإنسان إذا تأمل في أحوال الأجرام السفلية والعلوية وتأمل في صفاتها . فذلك له قانون . فإذا أراد أن ينتقل منها إلى معرفة الربوبية . وجب أن يستحدث لنفسه فطرة أخرى ، وعقلاً (٥٠) » . آخر ، بخلاف العقل الذي به اهتدى إلى معرفة الجسمانيات .

وهذا آخر الكلام في هذه المقدمة . وبالله التوفيق .

المقدمة الثانية

في

أنه ليس كل موجود يجب أن يكون له نظير وشبيه ،
وأنه ليس يلزم من نفى النظير والشبيه ، نفى ذلك الشيء

ويدل (٥١) عليه وجوه :

الحجة الأولى : إن بديهية العقل لا تستبعد وجود موجود ،
موصوف بصفات مخصوصة ، بحيث يكون كل ما سواه مخالفاً له في
تلك الخصوصية . وإذا لم يكن هذا مدفوعاً في بدائه العقول ، علمنا أنه
لا يلزم من عدم نظير الشيء . عدم ذلك الشيء .

(٥٠) ونهجا : خ

(٥١) المقدمة الثانية : أنه ليس كل موجود ... الخ : ط . المقدمة .

التانية : اعلم أنه ليس ... الخ : خ

الحجة الثانية : هي إن وجود الشيء . إما أن يتوقف على وجود ما شابهه ، أولا يتوقف . والاول باطل (لأن الشيثيين (٥٢) لو كانوا متشابهين ، وجب استواءهما في جميع اللوازم . فيلزم من توقف وجود هذا ، على وجود الثاني ، توقف وجود الثاني على وجود الأول . بل توقف كل واحد منهما على نفسه . وذلك محال في بدائه العقول (فثبت : أنه لا يتوقف وجود الشيء على وجود نظيره له . فلا يلزم من نفى النظر فيه) (٥٣)

الحجة الثالثة : هي أن نعين كل شيء من حيث إنه هو : ممتنع : الحصول في غيره . وإلا لكان ذلك الشيء ، عين غيره . وذلك باطل في بدائه العقول . فثبت أن نعين كل شيء من حيث إنه هو ، ممتنع الحصول في غيره . فعلينا أن عدم النظير والمساوى ، لا يوجب القول بعدم الشيء ، وظهر فساد قول من يقول : إنه لا يمكننا أن نعقل وجود موجود لا يكون متصلا بالعالم ، ولا منفصلا عنه ، إلا إذا وجدنا له نظيرا . فإن عندنا : الموصوف بهذه الصفة ليس إلا الله (سبحانه و) (٥٤) تعالى ، وينبأ : أنه لا يلزم من عدم النظير والشبيه ، عدم الشيء . فثبت : أن هذا الكلام ساقط بالكلية (وبالله التوفيق) (٥٥)

(٥٣) ما بين القوسين : ساقط من خبر

(٥٢) لأنها : خ

(٥٥) سقط : خ

(٥٤) من خ

المقدمة الثالثة

في

اختلاف القائلين بأن الله جسم

اعلم (٥٦) : أن القائلين بأنه تعالى — جسم . اختلفوا . فمنهم من يقول :
لأنه (تعالى) (٥٧) على صورة الإنسان . ثم المنقول عن مشبهة الأمة : لأنه
على صورة (الإنسان الشاب) (٥٨) وعن مشبهة اليهود أنه على صورة لإنسان
شيخ . وهم لا يجوزون الانتقال والذهاب والمجيء على الله تعالى . وأما
المحققون من المشبهة . فالمنقول عنهم أنه تعالى على صورة نور من الأنوار .
وذكر أبو معشر المنجم أن سبب إقدام (الناس) (٥٩) على اتخاذ عبادة
الأوثان ديناً لأنفسهم : هو أن القوم في الدهر — الأول (٦٠) كانوا على
مذهب المشبهة ، وكانوا يعتقدون أن إله العالم نور عظيم . فلما اعتقدوا ذلك
اتخذوا وثناً — هو أكبر الأوثان — على صورة الإله ، وأوثاناً أخرى —
أصغر (٦١) من ذلك الوثن — على صورة الملائكة ، واشتغلوا بعبادة هذه
الأوثان . على اعتقاد أنهم يعبدون الإله والملائكة . فثبت أن (دين (٦٢)
عبادة الأصنام ، كالفرع على مذهب المشبهة . واعلم أن كثيراً من هؤلاء
يمنع من جواز الحركة والسكون على الله (سبحانه) (٦٣) وتعالى .

(٥٦) المقدمة الثالثة : اعلم أن القائلين ... الخ : ص

(٥٧) تعالى : سقط خ

(٥٨) الإنسان الشاب : ط ، شاب : خ

(٥٩) الناس : سقط خ (٦٠) الأقدم : ط

(٦١) على أصغر : ط (٦٢) دين : سقط خ

(٦٣) من خ

وأما الكرامية فهم لا يقولون بالأعضاء والجوارح . بل يقولون : إنه مختص بما فوق العرش . ثم إن هذا المذهب يحتمل وجوهاً ثلاثة (فإنه تعالى (٦٤) إما أن يقال (إنه (٦٥) ملاق للعرش . وإما أن يقال : إنه مبين عنه ببعد متناه . وإما أن يقال : إنه مبين (عنه (٦٦) ببعد غير متناه . وقد ذهب إلى كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة طائفة من الكرامية . واختلفوا أيضاً : في أنه تعالى مختص بتلك الجهات لذاته ، أو بمعنى قديم ؟ بينهم اختلاف في ذلك .

فهذا تمام الكلام في المقدمات (وبالله التوفيق (٦٧) .

(٦٤) فإنه تعالى : سقط خ

(٦٥) انه : من ط .

(٦٦) عنه : خ .

(٦٧) وبالله التوفيق : سقط خ

الفصل الثانى

فى

تقرير الدلائل السمعية على أنه سبحانه وتعالى ،
منزه عن الجسمية والحيز والجهة

· ويدل عليه وجوه :

الحجة الأولى : قوله تعالى :

« قل هو الله أحد » الله الصمد « لم يلد ولم يولد » ولم يكن له كفواً
أحد ، (١) واعلم : أنه قد اشتهر فى التفسير : أن النبى صلى الله عليه وسلم
سئل عن ماهية ربه ، وعن نعتة وصفته ؟ فانتظر الجواب من الله تعالى
فأنزل الله (سبحانه) (٢) تعالى هذه السورة . إذ اعرفت هذا (٣) فنقول : هذه
السورة يجب أن تكون من المحكمات ، لا من المتشابهات . لأنه تعالى
جعلها جواباً عن سؤال السائل (٤) وأنزلها عند الحاجة . وذلك يقتضى
كونها من المحكمات ، لا من المتشابهات . وإذا ثبت هذا ، وجب الجزم بأن
كل مذهب يخالف هذه السورة يكون (٥) باطلاً . فنقول : إن قوله تعالى :
« أحد » يدل على نفي الجسمية ، ونفي الحيز والجهة . أما دلالة على أنه تعالى
ليس بجمع ، فذلك لأن الجسم أقله أن يكون مركباً من جوهرين ، وذلك

(١) سورة الاخلاص

(٢) من خ

(٣) ذلك : ط

(٤) عن سؤال المتشابه ، بل وأنزلها : ط

(٥) كان : خ

ينافي الوحسة (ولما كان) قوله (٦) «أحد» : مبالغة في الواحدية ، كان قوله «أحد» منافياً للجسمية .

وأما دلالة على أنه ليس بجوهر . فنقول : أما الذين ينكرون الجوهر الفرد (فإنهم) (٧) يقولون : إن كل متحيز ، فلا بد وأن يتميز أحد جانبيه عن الثاني . وذلك لأنه لا بد من أن يتميز يمينه عن يساره ، وقدامه عن خلفه ، وفوقه عن تحته . وكل ما يتميز فيه شيء عن شيء ، فهو منقسم ، لأن يمينه موصوف بأنه يمين لا يسار ، ويساره موصوف بأنه يسار لا يمين . فلو كان يمينه عين يساره ، لاجتمع في الشيء الواحد : أنه يمين ، وليس يمين ، ويسار ، وليس يسار . فيلزم اجتماع النفي والإثبات في الشيء الواحد . وهو محال ، قالوا : فثبت : أن كل متحيز فهو منقسم ، وثبت : أن كل منقسم فهو ليس بأحد . ولما كان الله (سبحانه) (٨) تعالى موصوفاً بأنه أحد ، وجب أن لا يكون متحيزاً أصلاً ، وذلك ينفي كونه جوهرًا .

وأما الذين يثبتون الجوهر الفرد ، فإنه لا يمكنهم الاستدلال على نفي كونه تعالى جوهرًا من هذا الاعتبار ، ويمكنهم أن يحتجوا بهذه الآية على نفي كونه جوهرًا ، من وجه آخر . وببإانه : هو أن الواحد كما يراد به نفي التركيب والتأليف في الذات ، فقد يراد به أيضا : نفي الضد والند . فلو كان تعالى جوهرًا فردًا ، لكان كل جوهر فرد : مثلاً له . وذلك ينفي كونه أحداً . ثم أكدوا هذا الوجه بقوله تعالى : «ولم يكن له كفواً أحد» . ولو كان جوهرًا ، لكان كل جوهر فرد : كفواً له . فدللت هذه السورة من الوجه الذي قررناه : على أنه تعالى ليس بجسم ، ولا بجوهر . وإذا ثبت أنه تعالى ليس بجسم ولا بجوهر ، وجب أن لا يكون في شيء من الأحياء

(٨) من خ

(٧) شأنهم : سقط خ

(٦) وقوله : ص

والجهات . لأن كل ما كان مختصا بجزء وجهة ، فإن كان منقسما كان جسيما — وقد بينا لإبطال ذلك — وإن لم يكن منقسما ، كان جوهرافردا — وقد بينا أنه باطل — ولما بطل القسمان ، ثبت : أنه يمتنع أن يكون في جهة أصلا ، فثبت : أن قوله تعالى «أحد» يدل دلالة قطعية على أنه تعالى ليس بجسم ولا بجوهر ، ولا في حيز وجهة أصلا .

واعلم : أنه تعالى ، كما نص على أنه (تعالى) (٩) واحد ، فقد نص (أيضا) (١٠) على البرهان الذي لأجله يجب الحكم بأنه أحد . وذلك أنه قال : «هو الله أحد» وكونه لها يقتضى كونه غنيا عما سواه ، وكل مركب فإنه مفتقر إلى كل واحد من أجزائه ، وكل واحد من أجزائه : غيره ، فكل مركب فهو مفتقر إلى غيره ، وكونه لها يمنع من كونه مفتقرا إلى غيره . وذلك يوجب القطع بكونه أحدا . وكونه أحدا يوجب القطع بأنه ليس بجسم ولا جوهر ولا في حيز وجهة . فثبت : أن قوله تعالى : «هو الله أحد» : برهان قاطع على ثبوت هذه المطالب .

وأما قوله (سبحانه وتعالى) (١١) : «الله الصمد» فالصمد هو المصمود إليه في الحوائج ، وذلك يدل على أنه ليس بجسم ، وعلى أنه غير مختص بالحيز والجهة .

أما بيان دلالة على نفى الجسمية فن وجوه :

الأول : إن كل جسم فهو مركب ، وكل مركب فهو محتاج إلى كل واحد من أجزائه ، وكل واحد من أجزائه غيره . فكل مركب فهو محتاج

(١٠) أيضا من خ

(٩) تعالى : سقط خ

(١١) من خ

إلى غيره ، والمحتاج إلى الغير لا يكون غنيا محتاجا (إليه) (١٢) فلم يكن صمدا مطلقا .

الثاني : لو كان مركبا من الجوارح والأعضاء (١٣) لاحتاج في الإبصار إلى العين ، وفي الفعل إلى اليد ، وفي المشي إلى الرجل . وذلك ينافي كونه صمدا مطلقا .

الثالث : إنا نقيم الدلالة على أن الأجسام متماثلة : بالاشياء المتماثلة : يجب اشتراكها في اللوازم . فلو احتاج بعض الأجسام إلى بعض ، لزم كون الكل محتاجا إلى ذلك الجسم ، ولزم أيضا كونه محتاجا (ذلك الجسم) ، ولزم أيضا كونه محتاجا (١٤) إلى نفسه . وكل ذلك محال ، ولما كان ذلك محالا ، وجب أن لا يحتاج إلى (١٥) شيء من الأجسام . ولو كان كذلك ، لم يكن صمدا على الإطلاق .

وأما بيان دلالة على أنه تعالى منزّه عن الحيز والجمّة : فهو أنه (سبحانه و) (١٦) تعالى لو كان مختصا بالحيز والجمّة ، لكان إما أن يكون حصوله في الحيز المعين واجبا ، أو جائزا . فإن كان واجبا فثبت أن يكون ذاته تعالى مفتقرا في الوجود والتحقق ، إلى ذلك الحيز المعين . وذلك (١٧) الحيز المعين ، يكون غنيا عن ذاته المخصوص . لأننا لو فرضنا عدم حصول

(١٢) إلى غيره : ط . والمعنى : لا يكن غنيا يحتاج الناس إليه .

(١٣) والأعراض : خ

(١٤) ما بين القوسين : زيادة من خ

(١٥) إليه : ط (١٦) من خ

(١٧) وأما ذلك الحيز المعين فأنه : نص

(م ٣ — أساس التقديس)

ذات الله تعالى في ذلك الحيز المعين ، لم يبطل ذلك الحيز أصلا . وعلى هذا التقدير يكون تعالى محتاجا إلى ذلك الحيز ، فلا يكون (١٨) صيدا على الإطلاق . وأما إن كان حصوله في الحيز المعين جائزا لا واجبا ، فحينئذ يفتقر إلى مخصص يخصصه بالحيز المعين . وذلك يوجب كونه محتاجا ، وينافي كونه صيدا .

وأما قوله تعالى : « ولم يكن له كفوا أحد » ، فهذا أيضا يدل على أنه ليس بجسم ولا جوهر ، لأننا سنقيم الدلالة على أن الجواهر متماثلة . فلو كان تعالى جوهرًا ، لكان مثلا لجميع الجواهر فكان كل واحد من الجواهر : كغوا له . ولو كان جسما لسكان مؤلفا من الجواهر . لأن الجسم يكون كذلك وحينئذ يعود الإلزام المذكور . فثبت : أن هذه السورة من أظهر الدلائل على أنه تعالى ليس بجسم ولا بجوهر ، ولا حاصل في مكان وحيز (١٩)

وإعلم : أنه كما أن الكفار لما سألوا الرسول ﷺ عن صفة ربه ، وأجاب الله بهذه السورة ، الدالة على كونه تعالى منزها عن أن يكون جنسا أو جوهرًا أو مختصا بالمكان ، فكذلك فرعون سأل موسى عليه السلام عن صفة الله تعالى . فقال : « وما رب العالمين » ، (٢٠) ثم إن موسى لم يذكر الجواب عن هذا السؤال ، إلا بكونه تعالى خالقا للناس ومديرا لهم ، وخالقا للسموات والأرض ومديرا لها . وهذا أيضا من أقوى الدلائل على أنه تعالى ليس بمتحيز ولا في جهة . لأننا سنبين إن شاء الله تعالى أن كبر الشئ حجما ومتحيزا ، هو عين الذات ونفسمها وحقيقتها ؛ لا أنه صفة قائمة بالذات ، وأما كونه خالقا للأشياء ومديرا لها فهو صفة .

(١٨) فلم يكن : ص

(١٩) وفي النوراة « ليس مثل الله » في ترجمة البروتستانت ، وفي

ترجمة الكاثوليك : « لا كفاء لله » (تث ٣٣ : ٢٦) .

(٢٠) الشعراء ٢٢

والفضلة « ما » سؤال عن الماهية ، وطلب للحقيقة . فلو كان تعالى متحيزاً ، لكان الجواب عن قوله « وما رب العالمين » ؟ : بذكر كونه متحيزاً : أولى من الجواب عنه بذكر كونه خالقاً . ولو كان (الأمر) (٢١) كذلك ، لكان جواب موسى عليه السلام خطأ ، ولكان طعن فرعون بأنه مجنون لا يفهم السؤال ، ولا يذكّر في مقابلة السؤال ما يصلح أن يكون جواباً : متجهماً لازماً . ولما بطل ذلك ، علمنا أنه تعالى ما كان متحيزاً . فلا جرم ما كان يمكن تعريف حقيقته سبحانه وتعالى إلا بأنه خالق مدبر . فلا جرم كان جواب موسى عليه السلام صحيحاً ، وكان سؤال فرعون ساقطاً فاسداً . فثبت : أنه كما أن جواب محمد ﷺ عن سؤال الكفار عن صفة الله تعالى : يدل على تنزيه الله تعالى عن التحيز ، فكذلك جواب موسى عليه السلام (عن سؤال فرعون عن صفة الله تعالى : يدل على تنزيه الله تعالى) (٢٢)

(أما الخليل ﷺ فقد حكى الله تعالى (٢٣) عنه في كتابه : بأنه استدل بحصول التغير (٢٤) في أحوال الكواكب : على حدوثها . ثم قال عند تمام الاستدلال : « وجهت وجهي ، للذي فطر السموات والأرض ، حنيفاً » (٢٥) . واعلم : أن هذه الواقعة تدل على تنزيه الله تعالى وتقديسه عن التحيز والجهة .

أما دلالتها على تنزيه الله تعالى عن التحيز ، فمن وجوه :

أحدهما : لأنما نبين إن شاء الله تعالى : أن الأجسام متماثلة وإذا ثبت ذلك ،

(٢١) الأمر : من خ (٢٢) ما بين القوسين من خ

(٢٣) من أما الخليل إلى نهاية القوس : سقط خ

(٢٤) التحيز : خ

(٢٥) الانعام ٧٤ وفي ط حنيفاً مسلماً وهما يسقط من خ

فنبقول : ما تصح على أحد المثلين ، وجب أن يصح على المثل الآخر . فلو كان تعالى جسماً أو جوهرأ ، وجب أن يصح عليه كل ماصح على غيره . وأن يصح على غيره كل ماصح عليه . وذلك يقتضى جواز التغير عليه : ولما حكم الخليل عليه السلام بأن المتغير من حال إلى حال ، لا يصلح للإلهية ، وثبت أنه لو كان جسماً لصح عليه التغير : لزوم القطع بأنه تعالى ليس بمتحيز أصلاً .

الثاني : إنه عليه السلام قال عند تمام الاستدلال « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ، فلم يذكر من صفات الله تعالى إلا كونه خالقاً للعالم ، والله تعالى مدحه على هذا الكلام ، وعظمه . فقال : « وتلك حججنا آياتنا » إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء (٢٣) ، ولو كان إله العالم جسماً موصوفاً بمقدار مخصوص وشكل مخصوص ، لما كمل العلم به تعالى ، إلا بعد العلم بكونه جسماً متحيزاً . ولو كان كذلك لما كان مستحقاً للمدح والتعظيم ، بمجرد معرفة كونه خالقاً للعالم . ولما كان هذا القدر من المعرفة كافياً في كمال معرفة الله تعالى : دل ذلك على أنه تعالى ليس بمتحيز .

الثالث : إنه تعالى لو كان جسماً ، لسكان كل جسم مشاركاً له في تمام المشاهدة . فالقول بكونه تعالى جسماً ، يقتضى إثبات الشريك لله تعالى . وذلك يناقض قوله : « وما أنا من المشركين » (٢٧) ، فثبت بما ذكرناه : أن العظماء من الأنبياء - صلوات الله عليهم - كانوا قاطعين بتنزيه الله تعالى . وتقديسه عن الجسمية والجوهرية (والجهة . وبالله التوفيق) (٢٨)

الحجة الثانية من القرآن : قوله تعالى : « ليس كمثل شيء » (٢٩)

(٢٦) الإنعام ٨٢ (٢٧) الإنعام ٧٨ (٢٨) سقط من خ (٢٩) الشورى ١١

ولو كان جسماً ، لكان مثلاً لسائر الأجسام في تمام الماهية . لأننا سنبين
(إن شاء الله تعالى بالدلائل الباهرة^(٣٠)) أن الأجسام كلها متماثلة . وذلك
كلما قضى لهذا النص . فإن قيل : لم لا يجوز أن يقال : إنه تعالى ، وإن كان
جسماً ، إلا أنه مخالف لغيره من الأجسام . كما أن الإنسان والفرس ،
وإن اشتركا في الجسمية ، لكنهما مختلفان في الأحوال والصفات . وبما^(٣١)
لا يجوز أن يقال : الفرس مثل الإنسان ، فكذا هنا ؟

والجواب من وجهين :

الأول : إننا سنقيم الدلالة (إن شاء الله تعالى^(٣٢)) على أن الأجسام
كلها متماثلة في تمام الماهية (وعليه^(٣٣)) فلو كان تعالى جسماً ، لكان ذاته
مثلاً لسائر الأجسام . وذلك مخالف لهذا النص . والإنسان والفرس .
ذات كل واحد منهما ماثلة لذات الآخر . والاختلاف إنما وقع في الصفات
والأعراض والذاتان إذا كانتا متماثلتين ، كان اختصاص كل واحدة منهما
(بصفاتها المخصوصة يكون)^(٣٤) من الجائزات ، لا من الواجبات . لأن
الأمور المتماثلة في تمام الذات والماهية ، لا يجوز اختلافها في اللوازم . فلو
كان البارئ تعالى جسماً ، لوجب أن يكون اختصاصه بصفاته المخصوصة من
الجائزات . ولو كان كذلك لزم افتقاره إلى المدبر والمخصص . وذلك يبطل
القول بكونه تعالى إله العالم .

الثاني : إن بتقدير أن يكون هو تعالى مشاركاً لسائر الأجسام في
الجسمية ، ومخالفاً لها في ماهيته^(٣٥) المخصوصة (فهذا يوجب^(٣٦)) وقوع

(٣٠) بالدلائل الباهرة ان شاء الله تعالى : خ

(٣٣) زيادة

(٣٢) من خ

(٣١) ولا يجوز : ص

(٣٤) بصفاته المخصوصة من الجائزات : ط

(٣٦) يجب : ط

(٣٥) الماهية : ط

الكثرة في ذات الله تعالى . لأن الجسمية مشترك فيها بين الله (تعالى) (٣٧) .
وبين غيره ، وخصوصية ذاته غير مشتركة فيما بين الله تعالى وبين غيره ،
وما به المشاركة غير ما به الممايزة . وذلك يقتضى وقوع التركيب في ذاته
المخصوصة . وكل مركب ممكن - لا واجب - على ما بيناه - فثبت : أن هذا
السؤال ساقط (والله أعلم) (٣٨)

الحجة الثالثة : قوله تعالى : «والله الغنى» وأنتم الفقراء» (٣٩) ذات (٤٠) .
هذه الآية على كونه تعالى غنياً ، ولو كان جسماً لما كان غنياً . لأن كل
جسم مركب . وكل مركب محتاج إلى كل واحد من أجزائه وأيضاً :
لو وجب اختصاصه بالجهة ، لكان محتاجاً إلى الجهة . وذلك يقدح في
كونه غنياً على الإطلاق .

الحجة الرابعة : قوله تعالى «لا إله إلا هو ، الحى القيوم» (٤١) .
والقيوم (مبالغة في كونه (٤٢)) غنياً عن كل ما سواه . وكونه مقوماً لغيره :
عبارة عن احتياج كل ما سواه إليه . فلو كان جسماً لكان هو مفتقراً
إلى غيره . وهو جزؤه . ولكان غيره غنياً عنه . وهو جزؤه . وحينئذ
لا يكون قيوماً . وأيضاً : لو وجب حصوله فى شيء من الأحياء ، لكان
مفتقراً محتاجاً إلى ذلك الحيز . فلم يكن قيوماً على الإطلاق .

فإن قيل : أليس تقولون : إنه (تعالى) (٤٣) : يجب أن يكون
موصوفاً بالعلم ، ولم يقدح ذلك عندكم في كونه قيوماً ؟ فلم لا يجوز أيضاً
أن يقال : إنه يجب أن يحصل فى حيز معين ، ولم يقدح ذلك فى كونه قيوماً ؟

(٣٧) . تعالى من خ : (٣٨) سقط : خ (٣٩) مجهد ٣٨

(٤٠) دل هذه : ط (٤١) البقرة ٢٥٥

(٤٢) من يكون : ط (٤٣) من خ

قيل : عندنا أن ذاته كالموجب لتلك الصفة ، وذلك (لا) يقدح (٤٤) في وصف الذات بكونه قيوما ، أما ههنا فلا يمكن أن يقال : إن ذاته توجب ذلك الحيز المعين . لأن بتقدير أن لا يكون حاصله في ذلك الحيز ، لم يلزم بطلان ذلك ولا عدمه ، فكان الحيز غنيا عنه ، وكان هو مفتقرا إلى ذلك الحيز . فظهر الفرق (والله أعلم) (٤٥)

الحجة الخامسة : قوله تعالى : « هل تعلم له سميا » (٤٦) ؟ قال ابن عباس (رضي الله عنه) (٤٧) : « هل تعلم له مثلا » ، ولو كان متجيزا ، لكان كل واحد من الجواهر مثلا (له) (٤٨)

(٤٤) وذلك يقدح : خ

(٤٥) والله أعلم : سقط خ (٤٦) مريم ٦٥

(٤٧) رضى الله عنه : سقط خ

(٤٨) له من خ وقوله تعالى : « هل تعلم له سميا » ؟ معناه :

١ — أن الكفار كانوا يسمون الأصنام : آلهة . ويسمون العسمن : اله ولكن لم يسموا أى صنم : الله . فبكون المعنى : لا أحد من الكفار سمي صنمه : الله فهل تعلم له سميا ، أى لا يوجد اله : اسمه الله إلا الله تعالى . كما قال عن يحى عليه السلام « لم نجعل له من قبل سميا » أى لم يسم به أحد قبله . وهذا المعنى بعيد . ٢ — أن أهل الحق لم يظهر فيهم من عبد غير الله وسماه باسم الله . وإذا ظهر في أهل الباطل من عبد غير الله وسماه باسم الله . فلأنه على باطل تكون تسميته لفوا من القول ، فلا يعتد بها — وهذا المعنى أيضا بعيد — ٣ — « هل تعلم له سميا » أى مثلا وشبيهه — وهذا هو المراد — أى لا اله مثل الله يرجى نفعه ويخشى بأسه . أى لا اله إلا الله . فسميا ليس من الاسم وإنما هى عن حقيقة الاله . ونحو كلاته من الاسم . فكثير من الناس ينسمون بمحمد صلى الله عليه وسلم . وليسوا شبيها به إلا فى الاسم .

الحجة السادسة : قوله تعالى : « هو الله الخالق البارئ المصور » (٤٩) وجه الاستدلال به : إنا بينا في سائر كتبنا : أن الخالق في اللغة هو المقدر . ولو كان تعالى جسما لكان متناهيا ، ولو كان متناهيا لكان مخصوصا بمقدار معين ، ولما وصف نفسه بكونه خالقا ، وجب أن يكون تعالى هو المقدر لجميع المقدرات بمقاديرها المخصوصة ، وإذا كان هو مقدرآ في ذاته بمقدار مخصوص ، لزم كونه مقدرآ لنفسه ، وذلك محال . وأيضا : لو كان جسما ، لكان متناهيا . وكل متناه ، فإنه محيط به حد (واحد) (٥٠) أو حدود مختلفة . وكل ما كان كذلك ، فهو مشكل . وكل مشكل فله صورة . فلو كان جسما لكان له صورة . ثم إنه تعالى وصف نفسه بكونه مصورا ، فيلزم كونه مصورا لنفسه . وذلك محال . فيلزم أن يكون منزلها عن الصورة والجسمية . حتى لا يلزم هذا المحال .

الحجة السابعة : قوله تعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » (٥١) وصف نفسه بكونه ظاهرا وباطنا . ولو كان جسما لكان ظاهرا غير باطنه . فلم يكن الشيء الواحد موصوفا بأنه ظاهر وبأنه باطن ، لأن على تقدير كونه جسما ، يكون الظاهر منه سطحه ، والباطن منه عمقه . فلم يكن الشيء الواحد ظاهرا وباطنا ، وأيضا : فالمفسرون (٥٢) قالوا : إنه ظاهر بحسب الدلائل ، باطن بحسب أنه لا يدركه الحس ، ولا يصل إليه الخيال . ولو كان جسما لما أمكن وصفه بأنه لا يدركه الحس ، ولا يصل إليه الخيال .

(٤٩) الحشر ٢٤ (٥١) الحديد ٣
(٥٠) واحد : خ
(٥٢) المفسرون : ط

الحجة الثامنة : قوله تعالى : « ولا يحيطون به علما » (٥٣) وقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار » (٥٤) وذلك يدل على كونه تعالى منزهاً عن المقدار والشكل والصورة . وإلا لكان الإدراك والعلم يحيطين به . وذلك على خلاف هذين النصين . فإن قيل : لم لا يجوز أن يقال : إنه وإن كان جسماً ، لكنه جسم كبير ، فلهذا المعنى لا يحيط به الإدراك والعلم ؟ قلنا : لو كان الأمر كذلك ، لصح أن يقال : بأن علوم الخلق وأبصارهم لا تحيط بالسموات ولا بالجبال ولا بالبهار ولا بالمفاوز ، فإن هذه الأشياء : أجسام كبيرة ، والأبصار لا تحيط بأطرافها ، والعلوم لا تصل إلى تمام أجزائها ، ولو كان الأمر كذلك ، لما كان في تخصيص ذات الله تعالى بهذا الوصف فائدة .

الحجة التاسعة : قوله تعالى : « وإذا سألك عبادي عني ، فإني قريب » . أجيب دعوة الداع إذا دعاني . فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي . لعلمهم يرشدون ، (٥٥) وسئل النبي صلى الله عليه (٥٦) وسلم : أقرئ ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية . ولو كان تعالى في السماء أو في العرش ، لما صح القول بأنه تعالى قريب من عباده .

الحجة العاشرة : لو كان تعالى في جهة فوق ، لكان سماء ، ولو كان سماء ، لكان مخلوقاً لنفسه . وذلك محال . فكونه في جهة فوق : محال . وإنما قلنا إنه (تعالى) لو كان في جهة فوق ، لكان سماء لوجهين :

(٥٣) طه ١١٠

(٥٤) الأنعام ١٠٣

(٥٦) بدل وسلم في خ ، وآله في ط

(٥٥) البقرة ١٨٦

(٥٧) سقط خ

الأول : إن السماء مشتق من السمو ، فكل شيء سماك فهو سماء . فهذا هو الاشتقاق الأصلي للغوى . وعرف القرآن أيضاً : متقرر عليه . بدليل أنهم ذكروا في تفسير قوله تعالى : « وينزل من السماء » ، من جبال ، فيها من برد ، (٥٨) : إنه السحاب . قالوا : وتسمية السحاب بالسماء جائز ، لأنه حصل فيه معنى السمو . وذكروا أيضاً في تفسير قوله تعالى : « وأنزلنا من السماء ماء طهوراً » (٥٩) : إنه من السحاب . فثبت : أن الاشتقاق للغوى ، والعرف القرآن متطابقان على تسمية كل ما كان موصوفاً بالسمو والعلو : (بأنه) (٦٠) سماء .

الثاني : إنه تعالى لو كان فوق العرش ، لسكان من جاس في العرش ونظر إلى فوق ، لم ير إلا نهاية ذات الله تعالى . فسكانت نسبة نهاية السطح الأخير من ذات الله تعالى إلى سكان العرش ، كنسبة السطح الأخير من السموات إلى سكان الأرض . وذلك يقتضى القطع بأنه لو كان فوق العرش لسكان ذاته كالسماء لسكان العرش . فثبت : أنه تعالى لو كان مختصاً بجهة فوق ، لكان ذاته سماء . وإِنما قلنا : إنه لو كان ذاته سماء ، لسكان ذاته مخلوقا . لقوله تعالى : « تنزيلاً من خلق الأرض والسموات العلى » (٦١) . ولفظة « السموات » : لفظة جمع مقرونة بالآلف واللام . وهذا يقتضى كون كل السموات مخلوقة لله تعالى . فلو كان هو تعالى سماء ، ازم كونه خالقاً لنفسه . وكذلك أيضاً : قوله تعالى « إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام » (٦٢) يدل على ما ذكرناه . فثبت : أنه

(٥٩) الفرقان ٤٨

(٦١) طه ٤

(٥٨) النور ٤٣

(٦٠) بأنه من خ

(٦٢) الاعراف ٥٤

تعالى لو كان مختصاً بجهة فوق ، لكان سماء ، ولو كان سماء ، لكان مخلوقاً لنفسه . وهذا محال . فوجب أن لا يكون مختصاً بجهة فوق .

فإن قيل : لفظ السماء مختص في العرف بهذه الأجرام المستديرة . وأيضاً : فهب أن هذا اللفظ في أصل الوضع يتناول ذات الله تعالى ، إلا أن تخصيص العموم جائز . قلنا : أما الجواب عن الأول : فهو أن هذا الفوق (٦٣) ممنوع . وكيف لا نقول ذلك ، وقد دللنا على أن بتقدير أن يكون الله تعالى مختصاً بجهة فوق (إلا أن (٦٤)) نسبة ذاته تعالى إلى سكان العرش كنسبة السماء إلى سكان الأرض؟ فوجب القطع بأنه لو كان مختصاً بجهة فوق ، لكان سماء . وأما الجواب عن الثاني : فهو أن تخصيص العموم إنما يصار إليه عند الضرورة . فلو قام دليل قاطع عقلي على كونه تعالى مختصاً بجهة فوق ، لزمننا المصير إلى هذا التخصيص . وإذا لم يقم (٦٥) شيء من الدلائل على ذلك ، بل قامت القواطع العقلية والنقلية على امتناع كونه تعالى في الجهة ، لم يكن بنا إلى التزام هذا التخصيص : ضرورة . فسقط هذا الكلام .

الحجة الحادية عشر : قوله تعالى : « قل : لمن ما في السموات والأرض؟ » قل : لله ، (٦٦) مشعر (٦٧) بأن المكان ، وكل ما فيه : ملك لله تعالى . وقوله : « وله ما سكن في الليل والنهار (٦٨) » يدل (٦٩) على أن الزمان ، وكل ما فيه : ملك لله تعالى . وبمجموع الآيتين : يدلان على أن المكان ..

(٦٣) الفرق : ط

(٦٤) فان : ص
(٦٥) أما ما لم يقم : ص
(٦٦) الأنعام ١٢
(٦٧) وهذا مشعر : ص
(٦٨) الأنعام : ١٣
(٦٩) وذلك يدل : ص .

والمكانيات ، والزمان والزمانيات : كلها ملك لله تعالى . وذلك يدل على تنزيهه عن المكان والزمان .

وهذا الوجه ذكره أبو مسلم الأصفهاني (٧٠) رحمه الله في تفسيره . واعلم : أن في تقديم ذكر المكان على ذكر الزمان : سرأ شريفاً ، وحكمة عالية .

الحجة الثانية عشرة : قوله تعالى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (٧١) » ، ولو كان الخالق في العرش ، لكان حامل العرش حاملاً لمن في العرش ، فيلزم احتياج الخالق إلى المخلوق . ويقرب منه : قوله تعالى : « الذين يحملون العرش (٧٢) »

الحجة الثالثة عشرة : لو كان تعالى مستقراً على العرش ، لكان الابتداء بتخليق العرش ، أولى من الابتداء بتخليق السموات . لأن على تقدير (٧٣) القول أنه مستقر على العرش ، يسكون العرش مسكناً له ، والسموات مكان عبده . والأقرب إلى العقول : أن يكون هيئة مكان نفسه ، مقدماً على هيئة مكان العبيد . لكن من المعلوم : أن تخليق السموات مقدم على تخليق العرش . لقوله تعالى : « إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ، ثم استوى على العرش (٧٤) » ، وكلمة « ثم » تراخي .

(٧٠) الأصفهاني : ط ولعل ذلك السر : أن الزمان هو مقدار حركة الفلك ، وحركة الفلك إنما تكون بعد وجوده .

(٧١) الحاقة ١٧ (٧٢) غافر ٧

(٧٣) بتقدير : ط (٧٤) الأعراف ٥٤

الحجة الرابعة عشرة : قوله تعالى : « كل شيء هالك إلا وجهه » (٧٥) .
 ظاهر الآية يقتضى فناء العرش ، وفناء جميع الأحياء والجهات . وحينئذ
 يبقى الحق سبحانه وتعالى منزها عن الحيز والجهة . وإذا ثبت ذلك ، امتنع
 أن يكون الآن في جهة (وحيز) (٧٦) وإلا لزم وقوع التغير في الذات .
 فإن قيل : الحيز والجهة ليس شيئا موجودا ، حتى يصير هالكا فانيا . قلنا :
الأحياء والجهات أمور متخالفة (٧٧) بحقائقها ، متباينة بماهياتها . بدليل :
 أنكم قلتم : إنه يجب حصول ذات الله تعالى في جهة فوق ، ويمتنع حصول
 ذاته في سائر الجهات . فلولا أن جهة فوق مخالفة بالماهية لسائر الجهات ،
 (وإلا) (٧٨) لما كانت جهة فوق مخالفة لسائر الجهات في هذه الخاصة ،
 وهذا الحكم . وأيضا : فلا نقول : هذا الجسم حصل في هذا الحيز ،
 بعد أن كان خاصلا في حيز آخر . فهذه الأحياء معدودة متباينة متعاقبة ،
 والعدم المحض لا يكون كذلك . فثبت : أن هذه الأحياء أمور متخالفة
 بالحقائق ، متباينة بالعدد . وكل ما كان كذلك ، امتنع أن يكون عدما
 محضا . فكان أمرا موجودا . وإذا ثبت هذا ، دخل تحت قوله تعالى :
 « كل شيء هالك إلا وجهه » (٧٩) ، وإذا هلك الحيز والجهة ، بقي ذات الله
 تعالى منزها عن الحيز (والجهة) (٨٠) وبقي الكلام قد تقدمت .

الحجة الخامسة عشرة : قوله تعالى : « هو الأول والآخر » (٨١) ، فهو
 يقتضى أن يكون ذاته متقدما في الوجود على كل ما سواه ، وأن يكون
 متأخرا في الوجود عن كل ما سواه . وذلك يقتضى أنه كان موجودا قبل

(٧٥) القصص ٨٨

(٧٧) مختلفة : ط

(٧٦) وجيز من خ

(٧٩) القصص ٨٨

(٧٨) والا من خ

(٨١) الحديد ٣

(٨٠) والجهة من خ

الحيز والجهة ، ويكون موجودا بعد فناء الحيز والجهة . وإذا ثبت هذا ، فالتقريب ما ذكرناه في الحجة الثالثة عشرة ، والرابعة عشرة .

الحجة السادسة عشرة : قوله تعالى : « واسجد واقترب » (٨٢) ، ولو كان في جهة الفوق ، لكانت السجدة تفيد البعد من الله تعالى ، لا القرب منه . وذلك خلاف الأصل .

الحجة السابعة عشرة : قوله تعالى : « فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » (٨٣) والند : المثل . ولو كان تعالى جسما لكان مثلا لكل واحد من الأجسام . لما سببين إن شاء الله تعالى : أن الأجسام كلها متماثلة . وحيث أنه يسكون الند موجودا على هذا التقدير . وذلك على مضادة هذا النص .

الحجة الثامنة عشرة : الحديث المشهور : وهو ما روى أن عمران بن الحصين . قال : يا رسول الله أخبرنا عن أول هذا الأمر . فقال : « كان الله ، ولم يكن معه شيء ، وقد دللنا مرارا كثيرة على أنه تعالى لو كان مختصا بالحيز والجهة ، لكان ذلك الحيز شيئا موجودا معه . وذلك على تقيض هذا النص .

الحجة التاسعة عشرة : روى أن النبي ﷺ قيل له : أين كان ربنا ؟ قال : « كان في عمام ليس تحته ماء ، ولا فوقه هواء ، قيل : العمام - بالمد - : الغيم الرقيق . وأما العمى - بالقصر - : فهو عبارة عن الحالة المضادة للبصر . وقال بعض العلماء : يجب أن تكون الرواية الصحيحة هي الرواية بالقصر ، وحيث تدل على نفي الجهة . لأن الجهة إذا لم تكن موجودة ، لم تكن

مرئية . فإمكان جعل العمى عبارة عن عدم الجمة . ويتأكد هذا بقوله عليه السلام : « ليس تحته ماء ، ولا فوقه هوا » (٨٤)

واعلم : أن هذه الوجوه التي ذكرناها ، بعضها (قوى ، وبعضها ضعيف) (٨٥) وكيفما كان الأمر فقد ثبت أن في القرآن والأخبار : دلائل كثيرة ، تدل على تميزه الله تعالى عن الحيز والجمة . وبالله التوفيق .

(٨٤) قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ في كتابه « تأويل مخلف الحديث » :
« قالوا : رويتم في حديث أبي رزين العقيلي ، من رواية حماد بن سلمة ، أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أين كان ربنا ، تبيل أن يخلق السموات والأرض ؟ فقال : « كان في عاء ، فوقه هواء ، ونحوه هواء » قالوا : وهذا تحديد وتشبيه . قال أبو محمد : ونحن نقول : أن حديث أبي رزين هذا : مختلف فيه ، وقد جاء من غير هذا الوجه بالفاظ تستثنع أيضا ، والنقلة له : أعراب . ووكيح بن حدس — الذي روى عنه حديث حماد بن سلمة أيضا — لا يعرف . غير أنه قد تكلم في تفسير هذا الحديث : أبو عبيد ، القاسم بن سلام . حدثنا عنه أحمد بن سعيد اللخاني ، أنه قال : « العاء » : السحاب . وهو كما ذكر في كلام العرب ، أن كان الحرف ممدودا . وأن كان مقصورا ، كأنه كن في عمى . فإنه أراد كان في عمى عن معرفة الناس . كما تقول : عميت عن هذا الأمر ، فأنا أعمى عنه ، عمى : إذا أشكل عليك ، لم يعرفه ، ولم تعرف جهته . وكل شيء خفى عليك ، فهو في عمى عنك . وأما قوله : « فوقه هواء ، وتحته هواء » فإن قوما زادوا فيه « ما » فقالوا : « ما فوقه هواء ، وما تحته هواء » استيحاشا من أن يكون فوقه هواء ، وتحته هواء ، ويكون بينهما . والرواية هي الأولى . والوحشة لا تزول بزيادة « ما » لأن فوق وتحت : باقيان . والله أعلم » .

(٨٥) أقوى من بعض : تح

الفصل الثالث

في

إقامة الدلائل العقلية على أنه تعالى ليس بمتحيز البتة

اعلم : أنا إذا دللنا على أنه تعالى ليس بمتحيز ، فقد دللنا على أنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر (فرد^(١)) لأن المتحيز ، إن كان منقسما فهو الجسم ، وإن لم يكن منقسما فهو الجوهر الفرد .
فنقول : الذي يدل على أنه تعالى ليس بمتحيز : وجوده .

البرهان الأول : إنه تعالى لو كان متحيزاً ، لكان مماثلاً لسائر المتحيزات في تمام الماهية . وهذا ممتنع . فسكونه متحيزاً ممتنع . ولما قلنا إنه تعالى لو كان متحيزاً ، لكان مماثلاً لسائر المتحيزات في تمام الماهية : لأنه لو كان متحيزاً ، لكان مساوياً لسائر المتحيزات في كونه متحيزاً ، ثم بعد هذا لا يخلو إما أن يقال : إنه يخالف غيره من الأجسام في ماهيته الخاصة ، ولما أن لا يخالفه في (ماهيته الخاصة) (٢) والقسم الأول باطل فتعين الثاني . وحيثئذ يحصل منه : أنه (تعالى) (٣) لو كان متحيزاً ، لكان مثلاً لسائر المتحيزات ، فيفتقر ههنا إلى بيان أنه يمتنع أن يكون مساوياً لسائر المتحيزات ، في عموم المتحيزية ، ومخالفاً لها في ماهيته الخاصة .

فنقول : الدليل على أن ذلك ممتنع : هو أن بتقدير أن يكون مساوياً ،

(٢) الحقيقة : ط

(١) فرد : سقط خ

(٣) سقط خ..

لسائرها في المتحيزية ، ومخالفاً لها في الخصوصية : كان ما به الاشتراك مغايراً - لا محالة - لما به الامتياز . وحينئذ يكون عموم المتحيزية مغايراً لخصوص ذاته المخصوصة . وحينئذ نقول : إما أن تكون الذات هي المتحيزية ، وتكون تلك الخصوصية صفة لتلك الذات ، وإما أن يقال : المتحيزية صفة ، وتلك الخصوصية هي الذات .

أما القسم الأول فإنه يقتضى حصول المقصود . لأنه إذا كان مجرد المتحيزية هو الذات ، وثبت أن مجرد المتحيزية أمر مشترك فيه بينه وبين سائر المتحيزات ، فحينئذ يحصل منه أن بتقدير أن يكون تعالى متحيزاً ، تكون ذاته عائدة لذوات سائر المتحيزات . وليس المطلوب إلا ذلك . وأما القسم الثاني وهو أن يقال : الذات هي تلك الخصوصية ، والصفة هي المتحيزية . فنقول : هذا محال . وذلك لأن تلك الخصوصية من حيث إنها هي ، مع قطع النظر عن المتحيزية . إما أن يكون لها اختصاص بالخير ، وإما أن لا يكون لها ذلك (٤) والأول محال . لأن كل ما كان حاصلًا في حيز وجهة على سبيل الاستقلال ، كان متحيزاً . فلو كانت تلك الخصوصية التي فرضناها خالية عن التحيز ، حاصلة في الخير ، لسكان الخالي عن التحيز متحيزاً . وذلك محال . وأما القسم الثاني وهو أن يقال : إن تلك الخصوصية غير مختصة بشيء من الأحياء والجهات . فنقول : لأنه يمتنع أن تكون المتحيزة صفة قائمة بها ، لأن تلك الخصوصية غير مختصة بشيء من الأحياء والجهات ، والمتحيزية أمر لا يعقل إلا أن (يكون حاصلًا) (٥) في الجهات . والشئ الذي يجب أن يكون حاصلًا في الجهات ، يمتنع أن يكون حاصلًا في الشئ .

(٤) كذلك : ص

(٥) يكون حاصلًا : ط

الذى يمتنع حصوله في الجهة . وإذا لم تكن المتحيزية صفة للشيء ، كانت نفس الذات . وحينئذ يلزم أن تكون الأشياء المتساوية في المتحيزية ، متساوية في (تمام) (٣) الذات . فثبت بما ذكرنا : أن المتحيزات يجب أن تكون كلها متساوية في تمام الماهية ، وهذا برهان قاطع في تقرير هذه المقدمة .

ولنما قلنا : إنه يمتنع أن تكون ذات الله تعالى مساوية لذوات الأجسام في تمام الماهية لوجوه :

الأول : إن من حكم المتماثلين : الاستواء في جميع اللوازم . فيلزم من قدم ذات الله تعالى ، قدم سائر الأجسام ، أو من حدوث سائر الأجسام ، حدوث ذات الله تعالى . وذلك محال .

الثاني : إن المتلين يجب استوائهما في جميع اللوازم . وكما صح على سائر الأجسام خلوها عن صفة العلم والقدرة والحياة ، وجب أن يصح على ذاته الخلو عن هذه الصفات . وحينئذ يكون اتصاف ذاته بحياته وعلمه وقدرته ، من الجائزات . وإذا كان الأمر كذلك ، امتنع كون تلك الذات موصوفاً بالحياة والعلم والقدرة ، إلا بإيجاد موجد ، وتخصيص منخصص . وذلك يقتضى احتياجه إلى الإله . وحينئذ كل ما كان جسماً ، كان محتاجاً إلى الإله . وهذا يقتضى أن الإله يمتنع أن يكون جسماً .

الثالث : إنه لما كان ذاته تعالى مساوية لذوات سائر المتحيزات ، وصح في سائر المتحيزات كونها متحركة قارة وساكنة أخرى ، وجب أن تكون ذاته أيضاً كذلك . وعلى هذا التقدير يلزم أن تكون ذاته تعالى قابلة للحركة والسكون . وكل ما كان كذلك ، وجب القول بكونه محدثاً .

لما ثبت في تقرير هذه الدلائل في مسألة حدوث الأجسام . ولما كان محدثاً
— وحدوثه محال — فكونه جسماً : محال .

الرابع : لأنه لو كان جسماً لسكان مؤلف الأجزاء . وتلك الأجزاء
تكون متماثلة بأعيانها ، وهى أيضاً مماثلة لأجزاء سائر الأجسام . وعلى
هذا التقدير ، كما صبح الاجتماع والافتراق على سائر الأجسام ، وجب أن
يصح على تلك الأجزاء . وعلى هذا التقدير لا بد له من مركب ومؤلف .
وذلك على إله العالم محال .

البرهان الثانى فى بيان أنه يمتنع أن يكون متحيزاً :

هو أنه لو كان متحيزاً ، لسكان متناهياً . وكل متناه : ممكن . وكل
ممكن : محدث . فلو كان متحيزاً لسكان محدثاً . وهذا محال ، فذلك محال .
أما المقدمة الأولى : وهى بيان أنه تعالى لو كان متحيز ، لكان متناهياً :
فالدليل عليه : أن كل مقدار ، فإنه يقبل الزيادة والنقصان . وكل ما كان
كذلك ، فهو متناه . وهذا يدل على أن كل متحيز ، فهو متناه . وشرح
هذا الدليل قد قررناه فى سائر كتبنا .

وأما المقدمة الثانية : وهى بيان أن كل متناه ، فهو ممكن : فذلك لأن
كل ما كان متناهياً ، فإن فرض كونه أزيد قدراً أو أنقص قدراً : أمر
ممكن . والعلم بثبوت هذا الإمكان ضرورى . فثبت : أن كل متناه ، فهو
ممكن ذاته ممكن .

وأما المقدمة الثالثة : وهى بيان أن كل ممكن محدث : فهو أنه لما كان
الزائد والناقص والمساوى متساوون (٧) فى الإمكان ، امتنع رجحان

بعضهم^(٨) على بعض ، إلا المرجح . والافتقار إلى المرجح . إما أن يكون حال وجوده ، أو حال عدمه . فإن كان حال وجوده (فإنه يكون إما)^(٩) حال بقائه ، أو حال حدوثه ، ويمتنع أن يفتقر إلى المؤثر حال بقائه . لأن المؤثر ، تأثيره : (في التكوين والتأثير)^(١٠) ، فلو افتقر حال بقائه إلى المؤثر ، لزم تكوين الكائن ، وتحصيل الحاصل ، وذلك محال . فلم يبق إلا أن يحصل الافتقار . إما حال حدوثه أو حال عدمه . وعلى التقديرين فإنه يلزم أن يكون كل ممكن محدثاً . فثبت : أن كل جسم متناه ، وكل ممكن محدث (فثبت : أن كل جسم محدث)^(١١) وإلا يمتنع أن يكون محدثاً (وبالله التوفيق)^(١٢)

البرهان الثالث : لو كان إله العالم متحيزاً ، لكان محتاجاً إلى الغير . وهذا محال ، فكونه متحيزاً ، محال . بيان الملازمة : إنه لو كان متحيزاً ، لكان مساوياً لغيره في المتحيزات ، في مفهوم كونه متحيزاً ، ولكان مخالفاً لها في نهيته وتشخصه . ثم نقول : إن بعد حصول الامتياز بالتعين : إما أن يحصل الامتياز في الحقيقة — وعلى هذا التقدير ، يكون المتحيز جنساً ، تحته أنواع . أحدها : واجب الوجود — وإما أن لا يحصل الامتياز في الحقيقة — وعلى هذا التقدير ، يكون المتحيز نوعاً ، تحته أشخاص . أحدهما : واجب الوجود —

فنقول : الأول باطل . لأن على هذا التقدير تكون ذاته مركبة

(٩) فاما : خ

(١٠) سقط خ

(٨) بعضها : ص

(٩) بالتكوين : ط

(١١) سقط خ

من الجنس والفصل . وكل مركب فهو مفتقر إلى جزئه ، وجزؤه غيره .
وكل مركب فهو مفتقر إلى غيره . فلو كان واجب الوجود متحيزا ، لكان
مفتقرا إلى غيره . والثاني (أيضا باطل (١٣)) لأن على هذا التقدير يكون
تعيينه زائدا على ماهية النوعية ، وذلك التعيين لابد له من مقتضى ، وليس
هو تلك الماهية ، وإلا لكان نوعه (منحصرا (١٤)) في شخصه . وقد
فرضنا أنه ليس كذلك ، فلا بد وأن يكون المقتضى لذلك التعيين : شيئا غير
تلك الماهية ، وغير لوازم تلك الماهية ، فيكون محتاجا إلى غيره . فثبت : أنه
لو كان متحيزا ، لكان محتاجا إلى غيره . وذلك محال . لأنه واجب الوجود
لذاته . وواجب الوجود لذاته ، لا يكون واجب الوجود لغيره . فثبت :
أن كونه متحيزا : محال .

البرهان الرابع : لو كان إله العالم متحيزا ، لكان مركبا . وهذا محال
فثبوته متحيزا محال . بيان الملازمة من وجهين :

أحدهما : — وهو على قول من ينكر الجوهر الفرد — إن كل متحيز
فلا بد وأن يتميز أحد جانبيه عن الثاني . وكل ما كان كذلك ، فهو منقسم :
فثبت : أن كل متحيز فهو منقسم ومركب .

والثاني : إن كل متحيز فاما أن يكون قابلا للقسمة ، أو لا يكون .
فإن كان قابلا للقسمة ، كان مركبا مؤلفا ، وإن كان غير قابل للقسمة ،
فهو الجوهر الرد . وهو في غاية الصغر والحقارة . وليس في العقلاء أحد
يقول هذا القول . فثبت : أنه تعالى لو كان متحيزا ، لكان (منقسما)

مؤلفا (١٥) وذلك محال . لأن كل ما كان كذلك ، فهو مفتقر في حقيقته إلى كل واحد من أجزائه ، وكل واحد من أجزائه : غيره . فكل مركب فهو مفتقر في الحقيقة إلى غيره . وكل ما كان كذلك ، فهو ممكن لذاته (١٦) فكل مركب : ممكن لذاته . فيلزم أن يكون الممكن لذاته : واجبا لذاته وذلك محال . فيمتنع أن يكون متحيزا .

البرهان الخامس : إنه لو كان متحيزا ، لكان مركبا من الأجزاء . إذ ليس في العقلاء من يقول إنه في حجم الجوهر الفرد . ولو كان مركبا من الأجزاء . فإما أن يكون الموصوف بالعلم والقدرة والحياة جزءا واحدا من ذلك المجموع ، أو يكون الموصوف بهذه الصفات مجموع تلك الأجزاء ، فإن كان الأول كان إله العالم هو ذلك الجزء الواحد . فيكون إله العالم في غابة الصغر والحقارة . وقد بينا : أنه ليس في العقلاء من يقول بذلك . وإن كان الثاني فإما أن يقال : القائم بمجموع تلك الأجزاء علم (واحد (١٧) وقدرة (واحدة (١٨) أو يقال : القائم بكل واحد من تلك الأجزاء : علم على حدة ، وقدرة على حدة ؟ ولأول محال لأنه يقتضى قيام الصفة الواحدة بالمحال الكثيرة . وذلك محال . وإن كان الثاني ، لزم أن يكون كل واحد منها إله قديما . وذلك يقتضى أكثر الآلهة . وهو محال . فإن قيل : هذا يشكك بالإنسان . فإن ما ذكرتم فقم فيه بعينه ، فيلزم أن لا يكون جسما . وهذه مكابرة . (لأن (١٩) نعلم بالضرورة : أن الإنسان ليس إلا هذه البنية .

(١٥) مؤلفا منقسما : ط (١٦) لذاته : سقط خ

(١٧) علم على حدة : خ (١٨) وقدرة على حدة : خ

(١٩) : ١١ : ١٦

ثم نقول : لم لا يجوز أن يقال : قام علم واحد (٢٠) بمجموع تلك الأجزاء ، إلا أنه انقسم ذلك المجموع ، وقام بكل واحد من تلك الأجزاء جزء من ذلك العلم ؟ وأيضا : لم لا يجوز أن يقال : قام بكل واحد من تلك الأجزاء علم بمعلوم واحد ، وقدرة على مقدور واحد . وبهذا الطريق كان مجموع الأجزاء عالما بجملة المعلومات ، قادرا على جملة المقدورات ؟

والجواب عن السؤال الأول : أن نقول . أما الفلاسفة فقد طردوا قولهم . وزعموا : أن الإنسان ليس عبارة عن هذه البنية . فإن الإنسان عبارة عن الشيء الذى يشير إليه كل إنسان بقوله : أنا . وذلك الشيء موجود ليس بجسم ولا جسمانى .

قالوا : وأما قول من يقول بأن هذا باطل بالضرورة . لأن كل أحد يعلم أن الإنسان ليس إلا هذه البنية المخصوصة . فقد أجابوا عنه : بأن الإنسان مغاير لهذه البنية المشاهدة . ويدل عليه وجوه :

الأول : إنما قد نعقل أنفسنا حال ما نكون غافلين عن جملة أعضائنا الظاهرة والباطنة . والمعلوم مغاير لغير المعلوم .

الثانى : إنى أعلم بالضرورة أنى أنا الإنسان الذى كنت موجودا قبل هذه المدة خمسين سنة ، وجملة أجزاء هذه البنية متبدلة بسبب (السمن والهزال (٢١) والصحة والمرض . والباقي مغاير لما ليس بباقي .

الثالث : إن المشاهد ليس إلا السطح الموصوف بالالون المخصوص .

وباتفاق العقلاء ليس الإنسان عبارة عن هذا القدر . فثبت : أن الإنسان ليس بمشاهد البتة .

وأما سائر الطوائف والفرق . فقد ذكروا الفرق بين الشاهد والغائب من وجهين :

أحدهما : قال الأشعرى : كل واحد من أجزاء الإنسان موصوف بعلم على حدة ، وقدرة على حدة . وهذا يقتضى أن يكون هذا البدن مركبا من أشياء كثيرة ، وكل واحد منها عالم قادر حى . وهذا مما لا نزاع فيه . وأما التزام ذلك فى حق الله (سبحانه) (٢٢) و تعالى ، فإنه يقتضى تعدد الآلهة . وذلك محال . فظهر الفرق ،

الثانى : قال ابن الراوندى : الإنسان جزء واحد لا يتجرىء فى القلب . وهذا يقتضى أن يكون الإنسان فى غاية الحقارة . وذلك غير ممكن . أما لو قلنا بمثله فى حق الله تعالى (فإنه يلزم منه كونه (٢٣)) فى غاية الحقارة . وذلك لم يقل به عاقل .

وأما السؤال الثانى : وهو قوله : لم لا يجوز أن يقال : العلم ينقسم . فقام بكل واحد من تلك الأجزاء : جزء واحد من ذلك ؟ فنقول : هذا محال . لأن كل واحد من أجزاء العلم ، إما أن يكون علما ، وإما أن لا يكون : (علما (٢٤)) فإن كان الأول ، كان القائم بكل واحد من تلك الأجزاء علما على حدة . وذلك غير هذا السؤال . وإن كان الثانى ، لم يكن شىء من تلك الأجزاء موصوفا بالعلم . والمجموع ليس إلا تلك الأموار . فوجب أن لا يكون المجموع موصوفا بالعلم والقدرة .

(٢٢) سبحانه وتعالى : ط (٢٣) يلزم كونه : ص

(٢٤) علما : سقط خ

وأما السؤال الثالث : وهو قولهم : كل واحد من تلك الأجزاء ، يكون موصوفاً ، بعلم متعلق بمعلوم معين ، وبقدرة متعلقة بمقدور معين . فنقول : هذا أيضاً محال . لأنه يقتضى كون كل واحد من تلك الأجزاء عالماً بمعلومات معينة ، قادراً على مقدورات معينة . فيرجع حاصل الكلام إلى إثبات آلهة كثيرة كل واحد منها مخصص بمعرفة بعض المعلومات ، وبالقدرة على بعض المقدورات . وذلك يناقض (٢٥) القول بأن إله العالم موجود واحد (والله أعلم (٢٦)) .

البرهان السادس : لأنه تعالى لو كان جسماً ، لكانت الحركة (عليه) (٢٧)
إما أن تكون جائزة (٢٨) أو لا تكون جائزة .

والقسم الأول باطل . لأنه لما لم يمتنع أن يكون الجسم الذى تكون الحركة عليه جائزة : لها . فلم لا يجوز أن يكون إله العالم هو الشمس أو القمر أو الفلك ؟ وذلك لأن هذه الأجسام ليس فيها عيب (يمنع) (٢٩) من إلهيتها إلا أمور ثلاثة . وهى كونها مركبة من الأجزاء ، وكونها محدودة متناهية ، وكونها موصوفة بالحركة والسكون . فإذا لم تكن هذه الأشياء مانعة من الإلهية ، فكيف يمكن الطعن فى إلهيتها ؟ وذلك عين الكفر والإلحاد ، وإنكار الصانع — تعالى —

والقسم الثانى : وهو أن يقال : لأنه (تعالى) (٣٠) جسم ، ولكن الانتقال والحركة عليه : محال . فنقول : هذا باطل . من وجوه :

(٢٥) يقتضى : خ	(٢٦) والله أعلم : سقط خ
(٢٧) عليه : من خ	(٢٨) جائزة عليه : ط
(٢٩) يمنع : سقط خ	(٣٠) تعالى : سقط خ

الأول : إن هذا يكون كالزمن المقعد ، الذي لا يقدر على الحركة .
وهذه صفة نقص ، وهو على الله تعالى : محال .

الثاني : إنه تعالى لما كان جسما ، كان مثلاً لساير الأجسام . فكانت
الحركة جائزة عليه .

الثالث : إن القائلين بكونه جسماً مؤلفاً من الأجزاء والأبعاد ،
لا يمنعون من جواز الحركة عليه . فإنهم يصفونه بالذهاب والنجى . فتارة
يقولون : إنه جالس على العرش ، وقدماه على الكرسي - وهذا هو السكون -
وتارة يقولون : إنه ينزل إلى سماء (٣١) الدنيا . وهذا هو الحركة -

فهذا مجموع الدلائل على أنه تعالى ليس بجسم ولا بجوهر . وبالجمل
فليس بمتحيز .



أما شبه الخصم . فن وجوه :

الشبهة الأولى : إن العالم موجود ، والبارى تعالى موجود . وكل
موجودين فلا بد وأن يكون أحدهما سارياً في الآخر ، أو مبايناً عنه بالجهة .
وكون البارى تعالى سارياً في العالم محال . فلا بد وأن يكون مبايناً عنه
بالجهة . وكل ما كان كذلك فهو متحيز . ثم إنه إما أن يكون غير
منقسم ، فيكون في الصغر والحجارة كالجوهر الفرد . وهو محال . وإما
أن يكون شيئاً كبيراً مركباً من الأجزاء والأبعاد . وهو المقصود .

الشبهة الثانية : إنا لم نشاهد حياً عالماً قادراً ، إلا وهو جسم . وإثبات .

شيء على خلاف المشاهدة : لا يقبله العقل ، ولا يقربه القلب . فوجب .
القول بكونه تعالى جسما .

الشبهة الثالثة : إن إله العالم يجب أن يكون عالما بهذه الجسمانيات .
والعالم بها يجب أن يحصل في ذاته صورها . ومن كان كذلك ، يجب أن
يكون جسما . فهذه مقدمات ثلاثة ، متى ظهرت ، لزم القول بأنه جسم .

أما المقدمة الأولى : (وهى أن إله العالم يجب أن يكون عالما بهذه
الجسمانيات) (٣٢) فقد اتفق المسلمون عليها . وأيضا : فهذه الأجسام
الموصوفة بهذه المقادير ، لا بد لها من خالق . وذلك الخالق هو الله تعالى .
وخالق الشيء لا بد وأن يكون عالما به . فثبت : أن خالق العالم : عالم
بهذه الجسمانيات .

وأما المقدمة الثانية : وهى فى بيان أن العالم بهذه الجسمانيات ، يجب
أن يحصل فى ذاته صور الجسمانيات . فالدليل عليه : أن خالقها يجب أن
يكون عالما بها قبل وجودها ، وإلا لم يصح منه خلقها وإيجادها . والعالم
بالشيء يجب أن يتميز ذلك فى علمه عن سائر المعلومات ، وإلا لم يكن
عالما به . وإذا تميز ذلك المعلوم عن غيره ، فذلك المعلوم ليس عدما محضاً ،
لأن العدم المحض لا يحصل فيه الامتياز . وذلك المعلوم يجب أن يكون
أمراً موجوداً . وهو غير موجود فى الخارج — لأن الكلام فيما إذا علمها
قبل وجودها — ولما لم يكن وجوده فى الخارج ، وجب أن يكون
وجوده فى علم صانع العالم .

وأما المقدمة الثالثة : وهى فى بيان أن من يحصل فى ذاته صور

الجسمانيات ، يجب أن (٣٣) يكون جسما . فالدليل عليه : أن من علم
مربعاً مجنحاً بمربعين متساويين ، وجب أن يحصل هذا (العلم (٣٤) في ذات
ذلك العالم . وذلك العالم لا بد وأن يميز بين ذينك المربعين المتطرفين (٣٥)
وذلك الامتياز (لما لم يكن (٣٦) في الماهية ولا في لوازمها - لأنهما
متماثلان في الماهية - فلا بد وأن يكون بالعوارض . ولو كان محلاهما
واحداً ، - لا تمتنع امتياز أحدهما عن الآخر بشيء من العوارض . لأن المتماثلين
إذا حصلوا في محل واحد ، فكل عارض يعرض لأحدهما ، فهو بعينه عارض
للآخر . وذلك يمنع من حصول الامتياز . ولما بطل هذا ، وجب أن
يكون صورة (٣٧) أحد المربعين : مغايراً لمحل المربع الآخر ، حتى يكون
امتياز أحد المحليين عن الثاني ، سبباً لامتنياز إحدى الصورتين عن الأخرى :
وامتياز أحد المحليين عن الثاني ، لا يحصل إلا إذا كان ذلك المحل جسماً
منههما . فثبت : أن خالق العالم مدرك للجسمانيات ، وثبت : أن كل من
كان كذلك ، فهو جسم . فيلزم أن يكون إله العالم جسماً .

والجواب عن الشبهة الأولى : إذا بينا أن قو لهم : كل موجودين فإما
أن يكون أحدهما حالاً في الآخر أو مبايناً عنه بالحمة : مقدمة غير بديهية ،
بل مقدمة محتاجة في النقي والإثبات ، إلى برهان منفصل . فسقط الكلام .

والجواب عن الشبهة الثانية : ما بيناه : أنه لا يلزم من عدم النظر
للشيء ، عدم ذلك الشيء . فسقطت هذه الشبهة .

(٣٣) وجب : ص
(٣٤) العلم : زيادة
(٣٥) الطرفين : خ وانظر صورة المربعين المجنحين في كتاب
المطالب العالقة .
(٣٦) لبس : ص
(٣٧) محل : ط ، صورة : خ

والشبهة الثالثة: ساقطة (أيضا) (٣٨) والدليل عليه: أنه يمكننا تخيل صورة الشجر والخيال . وهذه الصورة لو كانت مشتقة في ذاتنا ، لكانت ذاتنا ، إما أن تكون هي هذا الجسم وإما أن تكون جوهرًا مجردا . والاول محال . لأننا نعلم بالضرورة : أن الأشياء العظيمة لا يمكن انطباعها في المحل الصغير ، وأما الثاني فإنه اعتراف بأن صور المحسوسات يمكن انطباعها فيما لا يكون جسما . وذلك يوجب سقوط هذه الشبهة (وبالله التوفيق) (٣٩)

الفصل الرابع

في

اقامة البراهين على أنه تعالى ليس مختصا
بحيز وجهة • بمعنى : أنه يصح أن يشار إليه
بالحس بأنه ههنا أو هناك

(ويدل عليه وجوه (١)) :

(البرهان الأول (٢)) : وذلك أنه لم يخل إما أن يكون منقسما أو غير
منقسم . فإن كان منقسما كان مركبا - وقد تقدم إبطاله - وإن لم يكن منقسما
كان في الصغر والحقارة ، كالجزم الذي لا يتجزأ . وذلك باطل باتفاق
(كل (٣)) المقام .

وأیضا : فلائن من ينفي الجوهر الفرد بقول : إن كل ما كان مشارا
إليه بحسب الحس بأنه ههنا أو هناك . فإنه لا بد وأن يتميز أحد جانبيه
عن الآخر . وذلك يوجب كونه منقسما (٤) . فثبت : أن القول بأنه مشار

(١) زيادة (٢) زيادة (٣) كل : سقط خ

(٤) من الطرق العقلية على نفى التجسيم وإثبات الوحدانية :

١ — لو كان الهان ، للزم ضرورة أن يكون لهما معنى واحد يشتركان
فيه — هو المعنى الذي به استحق كل واحد منهما أن يكون الهان — ولهما
معنى آخر ، ضرورة ، به وقع التباين ، وصارا اثنين . فلما أن يكون في كل
واحد منهما معنى ، غير المعنى الذي في الآخر ، فيكون كل واحد منهما مركبا
من معنيين ، فلا واحد منهما سببا أولا . ولا لازم الوجود باعتبار ذاته ،
بل كل واحد منهما ذو أسباب (لأن كل ما لوجوده سبب فهو ممكن الوجود
باعتبار ذاته ، لأنه ان حضرت أسبابه وجد ، وان لم تحضر أو عدمت
أو تغيرت نسبتها الموجبة لوجوده ، لم يوجد) وان كان معنى التباين موجودا
في أحدهما ، فذلك الذي قبله المعنيان ، غير واجب الوجود بذاته . =

إليه بحسب الحس ، يفضى إلى هذين القسمين الباطلين . فوجب أن يكون القول به باطلا .

فإن قيل : لم لا يجوز أن يقال : إنه تعالى واحد منزه عن التأليف والتركيب ، ومع كونه كذلك ، فإنه يكون عظيما ؟ قوله : « العظيم يجب أن يكون مركبا منقسما ، وذلك يتنافى كونه أحدا » قلنا : سلطنا أن العظيم يجب أن يكون منقسما في الشاهد . فلم قلتم : إنه يجب أن يكون في الغائب كذلك ؟ فإن قياس الغائب على الشاهد من غير جامع : باطل . وأيضا : فلم لا يجوز أن يكون غير منقسم ، ويكون في غاية الصغر ؟ قوله : « إنه حقير وذلك على الله تعالى محال » قلنا : الذي لا يمكن أن يشار إليه البتة ولا يمكن أن يحس به ، يكون كالعدم فيكون أشد حقارة . وإذا جاز هذا ، فلم لا يجوز ذلك ؟

والجواب على الاول : أن نقول : إنه إذا كان عظيما فلا بد وأن يكون منقسما . وليس هذا من باب قياس الغائب على الشاهد ، بل هذا بناء على البرهان القطعي (٥) وذلك لأننا إذا أشرنا إلى نقطة لا تنقسم . فيما أن يحصل فوقها شيء آخر ، أو لا يحصل . فإن حصل فوقها شيء آخر ، كان

٢ — كل جسم مركب من معنيين ضرورة ، وتلحقه أعراض ضرورة ، أما المعنيان المقومان له ، فمادته وصورته ، وأما الأعراض اللاحقة له ، فالحكم والشكل والوضع . وكل مركب فلا بد له من فاعل ، هو السبب لوجرد صورته في بانيه . وبين هو جدا : أن كل جسم قابل للانقسام وله أبعاد . فهو محل للأعراض بلا شك . فليس الجسم واحدا لا من جهة انقسامه ، ولا من جهة تركيبه . أعنى : كونه اثنين بالقول . لأن كل جسم إنما هو جسم ما ، من أجل معنى زائد فيه ، على كونه جسما . فهو ذو معنيين ضرورة . وقد تبرهن أن واجب الوجود ، لا تركيب فيه بوجه من الوجوه . (دلالة الحائرين) .

ذلك الفوقاني مغايراً له . إذ لو جاز أن يقال : إن هذا المشار إليه عينته .
لا غيره ، جاز أن يقال : هذا الجزء عين (٦) ذلك الجزء . فيفضى إلى تجويز
أن الجبل شيء واحد ، وجزء لا يتجزأ ، مع كونه جبلاً . وذلك شك (٧) .
في البديهيات . فثبت : أنه لا بد من التزام التركيب والاقسام . وإما أن
لا يحصل فوقها شيء آخر ولا على يمينها ولا على يسارها ولا من تحتها ،
فحينئذ يكون نقطة غير منقسمة وجزء لا يتجزأ . وذلك باتفاق العقلاء
باطل . فثبت : أن هذا ليس من باب قياس الشاهد على الغائب ، بل هو
مبنى على التقسيم الدائر بين النفي والإثبات .

واعلم : أن الحنابلة القائلين بالتركيب والتأليف ، أسعد حالاً من هؤلاء
السكرامية ، وذلك لأنهم اعترفوا بكونه مركباً من الأجزاء والأبماض .
أما هؤلاء السكرامية فإنهم زعموا أنه مشار إليه بحسب الحس ، وزعموا :
أنه غير متناه ، ثم زعموا مع ذلك : أنه واحد ، لا يقبل القسمة . فلا جرم
صار قولهم قولاً على خلاف برهنة العقل . أما قولهم : « الذى لا يحس به
ولا يشار إليه : أشد حقارة من الجزء الذى لا يتجزأ » قلنا : كونه موصوفاً
بالحقارة ، إنما يلزم لو كان (ذا) (٨) حيزاً ومقداراً ، حتى يقال : إنه أصغر
من غيره . أما إذا كان منزهاً عن الحيز والمقدار ولم يحصل بينه وبين غيره
مناسبة فى الحيز والمقدار . فلم يلزم وصفه بالحقارة ؟

المرهاى الثانى فى بيان أنه يمتنع أن يكون مختصاً بالحيز والجهة :

إنه لو كان مختصاً بالحيز والجهة ، لكان محتاجاً فى وجوده إلى ذلك الحيز
وتلك الجهة . وهذا محال ، فكونه فى الحيز والجهة محال . بيان الملازمة :

(٦) غير : خ (٧) شكل : ط (٨) ذا : سقط خ

أن الحيز والجهة أمر موجود . والدليل عليه (من) (٩) وجوه :

الأول : هو أن الأحياء الفوقانية مخالفة في الحقيقة والماهية ، للأحياء التحتانية . بدليل : أنهم قالوا يجب أن يكون الله تعالى مختصاً بجهة فوق ، ويمتنع حصوله في سائر الجهات والأحياء — أعني (١٠) التحت واليمين واليسار — لولا كونها مختلفة في الحقائق والماهيات ، لامتنع القول بأنه يجب حصوله تعالى في جهة فوق ، ويمتنع حصوله في سائر الجهات . وإذا ثبت أن هذه الأحياء مختلفة في الماهية ، وجب كونها أمورا موجودة . لأن عدم المحض ، يمتنع كونه كذلك .

الثاني : هو أن الجهات المختلفة بحسب الإشارات . فإن جهة الفوق متميزة عن جهة التحت في الإشارة . والعدم المحض والنفي الصرف ، يمتنع تمييز بعضه عن بعض في الإشارة الحسية .

الثالث : إن الجوهر إذا انتقل من حيز إلى حيز ، فالمتروك مغاير لا محالة للمطلوب ، والمنتقل عنه مغاير للمنتقل إليه .

فثبت بهذه الوجوه الثلاثة : أن الحيز والجهة أمر موجود . ثم إن المسمى بالحيز والجهة ، أمر مستغن في وجوده عما يتمسكن ويستقر فيه . وأما الذي يكون مختصاً بالحيز والجهة ، فإنه يكون مفتقرا إلى الحيز والجهة . فإن الشيء الذي يمكن حصوله في الحيز ، مستحيل عقلا حصوله لا مختصاً بالجهة . فثبت : أنه تعالى لو كان مختصاً بالحيز والجهة ، لكان مفتقرا في وجوده إلى الغير (١١) .

(٩) من : خ (١٠) يعني : ط
(١١) لم لا يقول : أن نصوص القرآن هي التي تفت الحيز والجهة ؟

ولنما قلنا : إن ذلك محال لوجوه :

الأول : إن المفتقر في وجوده إلى الغير ، يكون بحيث يلزم من عدم ذلك الغير : عدمه . وكل ما كان كذلك ، كان ممكناً لذاته . وذلك في حق واجب الوجود لذاته : محال .

الثاني : إن المسمى بالحيز والجهة : أمر مركب من الأجزاء والأبواب . لما بيننا : أنه يمكن تقديره بالذراع والشبر ، ويمكن وصفه بالزائد والنقص وكل ما كان كذلك ، كان مفتقراً إلى غيره ، والمفتقر إلى غيره : ممكن لذاته . فالشيء المسمى بالحيز والجهة : ممكن لذاته . فلو كان الله تعالى مفتقراً إليه ، لكان مفتقراً إلى الممكن ، والمفتقر إلى الممكن أولى أن يكون ممكناً لذاته . فالواجب لذاته : يمكن لذاته . وهو محال .

الثالث : لو كان الهاري تعالى أزلاً وأبداً مختصاً بالحيز والجهة ، لكان الحيز والجهة موجوداً في الأزل . فيلزم لإثبات قديم غير الله تعالى . وذلك محال بإجماع المسلمين .

فثبت بهذه الوجوه : أنه لو كان في الحيز والجهة للزم (١٢) هذه المحذورات . فيلزم امتناع كونه تعالى في الحيز والجهة .

فإن قيل : لا معنى لكونه تعالى مختصاً بالحيز والجهة ، إلا كونه تعالى مبايناً عن العالم ، منفرداً عنه ، ممتازاً عنه . وكونه تعالى كذلك ، لا يقتضي أمراً آخر سوى ذات الله تعالى . فبطل قولكم : « لو كان تعالى في الجهة ، لكان مفتقراً إلى الغير ، والذي يدل على صحة ما ذكرناه : أن العالم لا نزاع في أنه مختص بالحيز والجهة ، وكونه مختصاً بالحيز والجهة لا معنى له إلا

ككون البعض منفردا عن البعض ويمتازا عنه . وإذا عقلنا هذا المعنى فهنا
لا يجوز مثله في كون الباري تعالى مختصا (بالجهة والحيز) (١٣).

والجواب : أما قوله : « الحيز والجهة ليس أمرا موجودا » ، فجوابه :
لأننا بينا بالبراهين القاطعة أنها أشياء موجودة ، وبعد قيام البراهين على صحته ،
لا يبقى في صحته شك .

وأما قوله : « المراد من كونه مختصا بالحيز والجهة » ، كونه تعالى
منفردا عن العالم ، أو ممتازا عنه أو مباينا عنه ، قلنا : هذه الألفاظ كلها
مجملة ، فإن الانفراد والامتيار والمباينة قد تذكر ويراد بها المخالفة في
الحقيقة والماهية . وذلك مما لا نزاع فيه . ولكنه لا يقتضى الجهة . والدليل
على ذلك : هو أن حقيقة ذات الله تعالى مخالفا لحقيقة الحيز والجهة ،
وهذه المخالفة والمباينة ليست بالجهة . فإن امتياز ذات الله تعالى عن الجهة
لا يكون بجهة أخرى ، وإلا لزم التسلسل . وقد تذكر هذه الألفاظ ويراد
بها الامتياز في الجهة ، وهو كون الشيء بحيث يصح أن يشار إليه بأنه ههنا
أو هناك . وهذا هو مراد الخصم من قوله : « إنه (تعالى) » (١٤) مبين عن العالم ،
أو منفرد عنه ، أو ممتاز عنه ، إلا أنا بينا بالبراهين القاطعة أن هذا يقتضى
كون ذلك الحيز أمرا موجودا ، ويقتضى أن المتحيز محتاج إلى الحيز .

وقوله : « الأجسام حاصلة في الأحياء » فنقول : غاية ما في الباب
أن يقال : الأجسام تحتاج إلى شيء آخر . وهذا غريب ممتنع . أما كونه
تعالى محتاجا في وجوده إلى شيء آخر ، فممتنع . فظهر الفرق (وبالله
التوفيق) (١٥)

(١٣) بالحيز والجهة : خ

(١٤) تعالى : خ (١٥) وبالله التوفيق : سقط ح

البرهان الثالث في بيان أنه يمتنع أن يكون تعالى مختصا (بالحيز) والجهة (١٦) : هو أنه لو كان — تعالى — مختصا بحيز وجهة ، لكان لا يخلو . إما أن يقال : إنه غير متناه من جميع الجوانب ، أو يقال : إنه غير متناه من بعض الجوانب ، ومتناه من (بعض) (١٧) الجوانب ، أو يقال : إنه متناه من كل الجوانب . والأقسام الثلاثة باطلة ، فالقول بكونه مختصا بجهة وحيز باطل . أما قولنا : إنه يمتنع أن يكون غير متناه من جميع الجوانب . فيدل عليه وجوه :

الأول : إن وجود بعد لانهاية له : محال . والدليل عليه : أن فرض (بعد) (١٨) غير متناه يفضي إلى المحال ، فوجب أن يكون محالا . وإنما قلنا : إنه يفضي إلى المحال ، لأننا إذا فرضنا بعدا غير متناه ، وفرضنا بعدا آخر متناهيا ، موازيا له ، ثم زال الخط المتناهي الموازي من الموازاة إلى المسامطة . نقول . هذا يقتضي أن يحصل في الخط الأول الذي هو غير متناه : نقطة . هي أول نقط (١٩) المسامطة . وذلك الخط المتناهي ما كان مسامتا للخط الغير المتناهي ، ثم صار مسامتا له . فكانت هذه المسامطة هي أول أو ان خدوئها ، لا بد وأن تكون مع نقطة معينة . فتكون تلك النقطة هي أول نقط المسامطة . لكن كون ذلك الخط غير متناه . يمنع من ذلك . لأن المسامطة مع النقطة المسامطة ، تحصل قبل المسامطة مع النقطة التحتاتية . وإذا كان الخط غير متناه ، فلا نقطة فيه (٢٠) إلا وفوقها نقطة أخرى . وذلك يمنع من حصول المسامطة في المرة الأولى ، مع نقطة معينة . فثبت أن هذا يقتضي أن يحصل في الخط الغير المتناهي نقطة ، هي أول نقط

(١٦) بالجهة والحيز : ط

(١٧) بعض : خ ، وسائر : ط

(١٨) بعد : سقط خ

(١٩) نقطة : ط ، (٢٠) (٢٠) فيها : نص

للمساواة ، وأن لا يحصل . وهذا المحال إنما لازم من فرضنا أن ذلك الخط غير متناه ، فوجب أن يكون ذلك محالاً . فثبت : أن القول بوجود بعد غير متناه : محال .

الوجه الثاني : هو أنه إذا كان القول بوجود بعد غير متناه ليس محالاً ، فعند هذا لا يمكن إقامة الدليل على أن العالم متناه بكميته . وذلك (بباطل) (٢١) بالإجماع .

الوجه الثالث : لأنه لو كان (تعالى) (٢٢) غير متناه من جميع الجوانب ، وجب أن لا يخلو شيء من الجهات والأحياء عن ذاته ، وحينئذ يلزم أن يكون العالم محالاً بأكمله (٢٣) ذاته ، وأن تكون القاذورات والنجاسات كذلك ، وهذا لا يقوله عاقل .

أما القسم الثاني : وهو أن يقال : إنه غير متناه من بعض الجوانب (٢٤) ومتناه من سائر الجوانب . فهو أيضا باطل لوجهين :

الأول : إن البرهان الذي ذكرناه على امتناع بعد غير متناه : قائم . سواء (كان قد) قيل : إنه غير متناه من كل الجوانب ، أو من بعض الجوانب .

الثاني : إن الجانب الذي فرض أنه غير متناه ، والجانب الذي فرض أنه متناه . إما أن يكونا متساويين في الحقيقة والمساوية ، وإما أن لا يكونا كذلك . أما القسم الأول فإنه يقتضي أن يضح على كل واحد من هذين

(٢١) باطل : سقط خ (٢٢) تعالى : من خ

(٢٣) لاجزاء : ط

(٢٤) لو متناه : خ

(٢٥) المتناهى : خ

الجانبين ، أما صح على الجانب الآخر . وذلك يقتضى أن ينقلب الجانب المتناهي غير متناهي (٢٥) والجانب الغير المتناهي متناهي . وذلك يقتضى جواز الفصل والوصل والزيادة والنقصان فى ذات الله تعالى . وهو محال . وأما القسم الثانى — وهو القول بأن أحد الجانبين مخالف للجانب الثانى فى الحقيقة والماهية — فنقول : إن هذا محال من وجوه :

الأول : إن هذا يقتضى كون ذاته مركبا . وهو باطل لما بينا .

الثانى : إنا بينا أنه لا معنى للمتخير إلا الشئ الممتد فى الجهات ، المختص بالاحياز . وبيننا أن المقدار يمنع أن يكون صفة ، بل يجب أن يكون ذاتا . وبيننا أنه متى كان الأمر كذلك كان جميع المتحيزات متساوية ، وإذا كان كذلك امتنع القول بأن أحد جانبي ذلك الشئ مخالف للجانب الآخر فى الحقيقة والماهية .

وأما القسم الثالث : — وهو أن يقال : إنه متناه من كل الجوانب — فهذا أيضا باطل من وجهين :

الأول : إن كل ما كان متناهيًا من جميع الجوانب ، كانت حقيقة قابلة للزيادة والنقصان ، وكل ما كان كذلك ، كان محدثا . على ما بيناه .

الثانى : إنه لما كان متناهيًا من جميع الجوانب ، فحينئذ يفرض فوقه أحياز خالية ، وجهات فارغة ، فلا يكون (الله) تعالى فوق جميع

الاشياء ، بل تسكون تلك الاحياز أشد فوقية من الله تعالى . وأيضاً : فهو تعالى قادر على خلق الجسم في الحيز الفارغ ، فلو فرض حيز خال ، لكان قادراً على أن يخلق فيه جسماً . وعلى هذا التقدير يكون ذلك الجسم فوق الله تعالى . وذلك عند الخصم محال . فثبت : أنه تعالى لو كان في جهة ، أم يحل الأمر عن أحد هذه الأقسام الثلاثة ، وثبت : أن كل واحد منها باطل محال ، فكان القول بأن الله تعالى في الحيز والجهة ، محالاً .

فإن قيل : ألسنم تقولون : إنه تعالى غير متناه في ذاته ، فيلزمكم جميع ما ألزمتموه علينا ؟ قلنا : الشيء الذي يقال له : إنه غير متناه على وجهين : أحدهما : إنه غير مختص بحيز وجهة . ومتى كان كذلك ، امتنع أن يتكون له طرف ونهاية وحد .

والثاني : إنه مختص بجهة (٢٧) وحيز ، إلا أنه مع ذلك ليس لذاته مقطع وحد ، فنحن إذا قلنا : إنه لانهاية لذات الله تعالى عنينا به التفسير الأول . فإن كان مرادكم ذلك ، فقد ارتفع الخلاف بيننا ، وإن كان مرادكم هذا الوجه الثاني ، فحينئذ يتوجه عليكم ما ذكرناه من الدليل ، ولا ينقلب ذلك علينا . لانا (٢٨) . لانقول إنه تعالى غير متناه — بهذا التفسير — حتى ياز مناذلك الإلزام فظهر الفرق (والله أعلم) (٢٩)

البرهان الرابع على أنه يمتنع أن يحصل في الجهة والحيز : هو أنه لو حصل في شيء من الجهات والاحياز ، لكان إما أن يحصل مع وجوب أن يحصل فيه ، أو لا مع وجوب أن يحصل فيه . والقسمان باطلان ، فكان القول بأنه تعالى حاصل في الجهة محالاً .

(٢٧) بحيز وجهة : خ (٢٨) لانا نقول : خ

(٢٩) والله أعلم : سقط خ

ولما قلنا : إنه يمتنع أن يحصل فيه مع الوجوب (وهذا هو القسم الأول) (٣٠) لوجوه :

الأول : إن ذاته مساوية لذوات سائر الأجسام في كونه حاصلاً في الحيز . ممتداً في الجهة . وإذا ثبت التساوى من هذا الوجه ، ثبت التساوى في تمام الذات . على ما بيناه في البرهان الأول في نفي كونه تعالى جسماً . وإذا ثبت التساوى مطلقاً ، فكل ما صح على أحد المتساويين وجب أن يصح على الآخر . ولما لم يجب في سائر الذوات حصولها في ذلك الحيز ، وجب أن لا يجب في تلك الذوات حصولها في ذلك الحيز . وهو المطلوب .

الثاني : إنه لو وجب حصوله في تلك الجهة ، وامتنع حصوله في سائر الجهات ، لكانت تلك الجهة مخالفة في الماهية لسائر الجهات ، وحينئذ تكون الجهات شيئاً موجوداً . فإذا كان الله سبحانه وتعالى واجب الحصول في الجهة أولاً وأبداً : التزموا قديماً آخر مع الله تعالى في الأزل . وذلك محال .

الثالث : لو جاز في شيء مختص بجهة معينة أن يقال : إن اختصاصه بتلك الجهة : واجب ، جاز أيضاً : ادعاء أن بعض الأجسام حصل في حيز معين على سبيل الوجوب ، بحيث يمتنع خروجه عنه . وعلى هذا التقدير لا يتمشى دليل حدوث الأجسام في ذلك . فثبت : أن القائل بهذا القول ، لا يمكنه الجزم بحدوث كل الأجسام ، بل يلزمه تجويز أن يكون بعضها قديماً .

الرابع . هو أننا نعلم بالضرورة : أن الاحياز بأسرها متساوية . لأنها فراغ محض ، خلاء صرف . وإذا كانت بأسرها متساوية يكون حكمها

واحداً . وذلك يمنع من القول بأنه تعالى واجب الاختصاص ببعض الأحياء على التعيين . فإن قالوا : لم لا يجوز أن يكون اختصاصه بجهة فوق : أولى ؟ قلنا : هذا باطل لوجوه (٣١) : أحدها : إن قبل خلق العالم ، ما كان إلا الخلاء الصرف والعدم المحض . فلم يكن هناك فوق ولا تحت . فيطل قولكم . الثاني : إنه لو كان فوق متميزاً عن التحت بالتميز الذاتي ، لكانت (الجهات) (٣٢) أمورا (موجودة) (٣٣) متميزة قابلة للانقسام وذلك يقتضي تقدم الجسم . لأنه لا معنى للجسم إلا ذلك . الثالث : هو أنه لو جاز أن تختص ذات الإله تعالى ببعض الجهات على سبيل الوجوب ، مع كون الأحياء متساوية في العقل ، لجاز اختصاص بعض الحوادث المعينة ببعض الأوقات دون البعض على سبيل الوجوب ، مع كونها متساوية في العقل . وعلى هذا التقدير يازم استغناؤها عن المصانع ، ولجاز أيضاً اختصاص عدم القديم ببعض الأوقات على سبيل الوجوب . وعلى هذا التقدير يذهب باب إثبات مصانع ، وباب إثبات وجوبه وقدمه . الرابع (٣٤) : إنه لو حصل في حين معين — مع أنه لا يمكنه الخروج — لكان كالمفلوج الذي لا يمكنه أن يتحرك ، أو كالمربوط الممنوع عن الحركة . وكل ذلك نقص . والنقص على الله (تعالى) (٣٥) محال .

وأما القسم الثاني . وهو أن يقال : إنه تعالى لو حصل في الحيز ، فخرجوا زكوه جاصلا فيه . فنقول : هذا محال . لأنه لو كان كذلك لما ترجع وجود

(٣١) الوجهين : ط ، من وجهين : خ

(٣٢) الجهات : سقط خ

(٣٣) وجودية : ط

(٣٥) تعالى : سقط خ

(٣٤) الخامس : ص

ذلك الاختصاص إلا بفعل (٣٦) فاعل ، وتخصيص مخصص ، وكل ما كان كذلك ، فالفاعل يتقدم عليه . فيلزم أن لا يكون حصول ذات الله تعالى في الحيز أزليا . لأن ما تأخر عن الغير لا يكون أزليا . وإذا كان الأزلي معاً عن الوضع والحيز ، امتنع أن يصير بعد ذلك مختصاً بالحيز ، وإلا لزم وقوع الانقلاب في ذاته (تعالى) (٣٧) وإلغائه محال (وبالله التوفيق) (٣٨) ،

البرهان الخامس : هو أن الأرض كرة ، وإذا كان كذلك ، امتنع كونه تعالى في الحيز والجهة . بيان الأول : إنه إذا حصل خسوف قمرى ، (فإننا إذا) (٣٩) سألنا سكان أقصى المشرق عن ابتداءه ؟ قالوا : إنه حصل في أول الليل . وإذا سألنا سكان أقصى المغرب ؟ قالوا : إنه حصل في آخر الليل . فعلما : أن أول الليل في أقصى المشرق ، هو بعينه آخر الليل في أقصى المغرب ، وذلك يوجب كون الأرض كرة . وإنما قلنا : إن الأرض لو كانت كرة ، امتنع كون الخالق في شيء من الأحياء . وذلك لأن الأرض إذا كانت كرة ، فالجهة التي هي فوق بالنسبة إلى سكان أهل المشرق ، هي تحت بالنسبة إلى سكان (أهل) (٤٠) المغرب . وعلى العكس . فلو اختص البارئ تعالى بشيء من الجهات ، لكان تعالى في جهة التحت . بالنسبة إلى بعض الناس (وعلى العكس) (٤١) وذلك باطل بالاتفاق . بينا وبين الخصم . فثبت : أنه يمتنع كونه تعالى مختصاً بالجهة .

البرهان السادس : لو كان تعالى مختصاً بشيء من الأحياء والجهات .

(٣٦) بجعل : خ (٣٧) ذاته وهو محال : خ

(٣٨) وبالله التوفيق : سقط خ

(٣٩) فإذا : ص (٤٠) أهل : سقط خ

(٤١) وعلى العكس : سقط خ

لـكان مساويا للمتحيـزات . وهذا محال فذلك محال . بيان الملازمة : أنه تعالى لو كان مختصا بحيز ، لـكان معنى كونه شاغلا لذلك الحيز : كونه بحيث يمنع غيره عن أن يكون بحيث هو . ولو كان كذلك لـكان متحيـزا ، وقد بينا في الفصل المتقدم : أن المتحيـزات بأسرها متماثلة في تمام الماهية . فثبت : أنه تعالى لو كان متحيـزا ، لـكان مثلا لـسائر المتحيـزات . وإنما قلنا : إن ذلك محال . لأن المثلين يجب تساويهما في جميع اللوازم ، فيلزم إما قدم الكل ، وإما حدوث الكل ، وذلك محال .

فإن قيل : حصول الشيء في الحيز ، و كونه مانعا لغيره عن أن يحصل بحيث هو : حكم من أحكام الذات . ولا يلزم من الاستواء في الأحكام . واللوازم : الاستواء في الماهية . والجواب عنه من وجهين :

الأول : إن المتحيـز له أحكام ثلاثة :

أحدها : أنه حاصل في الحيز ، شاغل له .

والثاني : كونه مانعا لغيره (من أن)^(٤٢) يحصل بحيث هو :

والثالث : كونه بمحال لو ضم إليه أمثاله ، حصل له حجم كبير ، ومقدار عظيم . ولا شك أن كل ما يحصل في حيز . فقد حصل له هذه الأمور الثلاثة . إلا أن الذات الموصوفة بهذه الأحكام الثلاثة ، لا بد وأن يكون له في نفسه الحجمية (ويكون له)^(٤٣) في نفسه المقدار . وهذا المعنى معقول مفترق بين كل الأحجام . ثم إنا دللنا على أن هذا المفهوم المشترك يمتنع أن يكون صفة شيء آخر ، بل لا بد وأن يكون ذاتا . وإذا كان كذلك

فالمتميزات في ذواتها متباعدة ، والاختلاف إنما وقع في الصفات ، وحيثئذ
يخصل التقريب المذكور .

والوجه الثاني : إن السؤال الذي ذكرتم - إن صح - حيثئذ لا يمكنكم
القطع بتبائن الجواهر ، لاحتمال أن يقال : الجواهر ، وإن اشتركت في
الحصول في الحيز ، إلا أن هذا الاشتراك في حكم من الأحكام . والاشتراك
في الحكم لا يقتضي الاشتراك في الماهية ، وإذا لم يثبت كون الجواهر
متباعدة ، فحيثئذ لا يبعد في العقل وجود جواهر مختصة بأحيائها على
سبيل الوجوب ، بحيث يمتنع خروجها عن تلك الأحياء ، وحيثئذ لا يطرد
دليل حدوث الأجسام في تلك الأشياء . وعلى هذا التقدير لا يمكنكم القطع
بحدوث كل الأجسام (والله أعلم) (٤٤)

البرهان السابع : إنه لو كان (تعالى) (٤٥) مختصا بالجهة والحيز ،
لسكان عظيم . لأنه ليس في العقلاء من يقول : إنه مختص بجهة ، ومع
ذلك فإنه في الحقارة مثل النقطة التي لا تنقسم ، ومثل الجزء الذي لا يتجزأ .
بل كل من قال : إنه مختص بالجهة والحيز ، قال : إنه عظيم في الذات .
وإذا كان كذلك ، فنقول : الجانب الذي منه يحاذي يمين العرش .
لما أن يكون هو الجانب الذي منه يحاذي يسار العرش ، أو غيره .
والأول باطل ، لأنه إن عقل ذلك ، فلم لا يعقل أن يقال : إن يمين العرش :
يمين يسار العرش . حتى يقال : العرش على عظمته ، مثل الجوهر الفرد ،
والجزء الذي لا يتجزأ ؟ وذلك لا يقوله قائل . والثاني أيضا باطل ، لأن
على هذا التقدير تكون ذات الله تعالى مركبة من الأجزاء .

ثم تلك الاجزاء إما أن تكون متماثلة الماهية ، أو مختلفة الماهية .
والأول : محال . لأن على هذا التقدير يكون بعض تلك الاجزاء
المتماثلة متباعدة ، وبعضها متلاقية ، والمتلان يصح على كل واحد منهما
ما يصح على الآخر (٤٦) . فعلى هذا يلزم القطع بأنه يصح على المتلاقيين أن
يصيرا متباعدين ، وعلى المتباعدين أن يصيرا متلاقيين . وذلك يقتضى
جواز الاجتماع والافتراق على ذات الله تعالى ، وهو محال .

وأما القسم الثانى : وهو أن يقال : إن تلك الاجزاء مختلفة في
الماهية . فلا بد وأن ينتهى تحليل تركيبه إلى أجزاء ، يكون كل واحد
منها مبرأ عن التركيب ، لأن التركيب عبارة عن اجتماع الوحدات .
ولولا حصول الوحدات لما عقل اجتماعهما (٤٧) . وإذا ثبت هذا فنقول : إن
كل واحد من تلك الاجزاء البسيطة ، لا بد وأن يماس كل واحد منها
بيمينه شيئا ، ويساره شيئا آخر . لكن يمينه مثل يساره . وإلا لكان
هو فى نفسه مركبا . وقد فرضناه غير مركب . هذا خلف . وإذا ثبت
أن يمينه مثل يساره ، وثبت أن المتلاين لا بد وأن يشتركا فى جميع اللوازم ،
لزم القطع بأن يماس يمينه ، يصح أن يصير يماس يساره ، وبالعكس .
ومتى صح ذلك ، فقد صح التفرق والانحلال على تلك الاجزاء . وحينئذ
يعود الأمر إلى جواز الاجتماع والافتراق على ذات الله تعالى ، وهو
محال . فثبت : أن القول بكونه فى جهة من الجهات بفضى إلى هذه
المحالات ، فيكون القول به محالا . (وبالله التوفيق) (٤٨)

البرهان الثامن : لو كان علو البارى تعالى على العالم بالحيز والجهة .

(٤٦) الاجزاء : ط

(٤٨) وبالله التوفيق : سقط خ

(٤٧) اجتماعها : ط

لـ كان علو تلك الجهة أكمل من علو البارئ تعالى . وذلك لأن يتقدير
أن تحصل ذات الله تعالى في يمين العالم أو يساره ، لم يكن موصوفا
بالعلو على العالم . أما تلك الجهة التي في جهة العلو ، فلا يمكن فرض
وجودها خالية (٤٩) عن هذا العلو . فثبت : أن تلك الجهة عالية عن العالم
لذاتها ، وثبت : أن الحاصل في تلك الجهة يكون عاليا . لا لذاته ، لكن
تبعاً لكونه حاصلاً في تلك الجهة العالية على للعالم . وإذا كان كذلك ،
فحيث يلزم أن يكون البارئ تعالى ناهياً لذاته مستكلاً بغيره . وذلك
محال . فثبت : أنه يمتنع أن يكون علوه على العالم بالجهة . والحيز وذلك
هو المطلوب .

الفصل الخامس

في حكاية الشبه العقلية في كونه تعالى مختصاً بالحيز والجهة

الشبهة الأولى : إنهم قالوا : العالم موجود ، والبارى موجود . وكل موجودين فلا بد وأن يكون أحدهما محايثاً^(١) للآخر ، أو مبايناً عنه بجهة من الجهات الست . ولما لم يكن البارى تعالى محايثاً للعالم . وجب كونه تعالى مبايناً عن العالم بجهة من الجهات الست . وإذا ثبت ذلك ، وجب كونه تعالى مختصاً بجهة فوق .

أما قولهم : إن كل موجودين فلا بد وأن يكون أحدهما محايثاً للآخر ، أو مبايناً عنه بجهة . فلهم فيه طريقان :

الأول : ادعاء الديهية فيه . إلا أنه سبق الكلام على هذه الطريقة في أول الكتاب .

والطريق الثاني : إنهم يستدلون عليه . وهو الطريق الذى اختاره ابن الميهم فى المناظرة التى حكاهما عن نفسه مع ابن فورك (قال الشيخ — رحمه الله تعالى —)^(٢) وأنا أذكر محصل تلك الكلمات على الترتيب الصحيح ، ومن^(٣) وعلى أحسن وجه يمكن تقرير الشبهة به (وهو)^(٤) أن يقال : لا شك أن كل موجودين فى الشاهد ، فأحدهما لا بد وأن يكون محايثاً للآخر ، أو مبايناً عنه بالجهة وكون كل موجودين فى الشاهد

(١) محايثاً : ط ، مجانثياً : خ

(٢) قال الشيخ رحمه الله تعالى : من خ

(٣) وعلى ط ، ومن : خ (٤) وهو : سقط خ

كذلك، إما أن يكون لخصوص كونه جوهرًا، أو لخصوص كونه عرضًا، أو لآمر مشترك بين الجوهر والعرض . وذلك المشترك إما الحدوث أو الوجود . والكل باطل سوى الوجود ، فوجب أن تكون العلة لهذا الحكم هي الوجود ، والبارى تعالى موجود ، فوجب الجزم بأنه تعالى إما أن يكون محايثًا للعالم (٤) . أو مباينًا عنه بالجهة .

واعلم : أن هذا الكلام لا يتم إلا بتقرير مقدمات : نحن نذكرها . ونذكر الوجوه التي يمكن ذكرها (٥) ، في تقرير تلك المقدمات .

أما المقدمة الأولى : (فهي أن نقول : قولنا : إن القول بأن (٦) كل موجودين في الشاهد ، لا بد وأن يكون أحدهما محايثًا للآخر أو مباينًا عنه بجهة : حكم لا بد له من علة (ويحتاج إلى دليل (٧) والدليل عليه : هو أن المعومات لا يصح فيها هذا الحكم ، وهذه الموجودات يصح فيها هذا الحكم . فلو لا امتياز ما يصح فيه هذا الحكم ، عما لا يصح فيه هذا الحكم ، بأمر من الأمور (ولا (٨) لما كان هذا الامتياز واقعا .

وأما المقدمة الثانية : وهي في بيان أن هذا الحكم لا يمكن تعليله بخصوص كونه جوهرًا ، ولا بخصوص كونه عرضًا .

فالدليل عليه . أن المقضي لهذا الحكم . لو كان هو كونه جوهرًا ، لصدق على الجوهر أنه منقسم إلى ما يكون محايثًا لغيره ، وإلى ما يكون

(٤) المحايث : أي المتخذ منه في الإشارة الحسية : بأن يكون متخالفًا فيه . والمؤلف سيذكر معناه فيما بعد .

(٥) ذكره : خ (٦) وهي قولنا : أن : خ .

(٧) يحتاج إلى دليل : سقط .

(٨) والا لما : خ . الأمور لما كان : ط

مباينا عنه . ومعلوم أن ذلك محال . لأن الجوهر يمتنع أن يكون عايشا لغيره . وبهذا الطريق تبين أن (المقتضى^(٩)) لهذا الحكم ، ليس كونه عرضا . لامتناع أن يكون العرض مباينا لغيره بالجهة .

المقدمة الثالثة : وهى فى بيان أن هذا الحكم غير معلل بالحدوث .
ويدل عليه وجوه :

الاول : إن الحدوث عبارة عن وجود سبقه العدم ، والعدم غير داخل فى العلة . وإذا سقط العدم عن درجة الاعتبار ، لم يبق إلا الوجود .

والثانى : — وهو الذى عول عليه ابن الهيصم فى المناظرة التى زعم أنها دارت بينه وبين ابن فورك — رحمهما الله تعالى — لو كان هذا الحكم معللا بالحدوث ، لكان الجاهل بكون السماء محدثة ، يجب أن يكون جاهلا بأن السماء بالنسبة إلى سائر الموجودات التى فى هذا العالم ، إما أن تكون عايشة لها ، أو مباينة عنها بالجهة . لأن المقتضى للحكم إذا كان أمرا معينا ، فالجاهل بذلك المقتضى ، يجب أن يكون جاهلا بذلك الحكم . ألا ترى أن الوجود لما كان هو المستدعى للتقسيم إلى القديم والمحدث لا جرم كان اعتقاد أنه غير موجود . مانعا من التقسيم بالقدم والحدوث ولما كان التقسيم إلى الأسود والأبيض معلقا بكونه ملونا ، كان اعتقاد أن الشيء غير ملون مانعا من اعتقاد التقسيم إلى الأسود والأبيض . ولما رأينا أن الدهرى^(١٠) الذى يعتقد قدم السموات والأرضين ، لا يمنعه ذلك من اعتقاد أن السموات والأرضين ، إما أن تكون محابشة ، وإما أن تكون مباينة بالجهة . علمنا : أن هذا الحكم غير معلل بالحدوث .

(٩) المقتضى : سقط خ

(١٠) الدهرى : خ ، الذى : ط

الوجه الثالث في بيان أن المقتضى لهذا الحكم ليس هو الحدوث :
- وقد ذكره ابن الهيثم أيضا في تلك المناظرة - وتقريره : أن كونه محدثا : وصف يعلم بالاستدلال ، وكونه بحيث يجب أن يكون إما محايثا ، وأما مباينا بالجهة : حكم معلوم بالضرورة ، والوصف المعلوم الثبوت بالاستدلال : لا يجوز أن يكون أصلا للحكم الذي يعلم ثبوته بالضرورة . فثبت بهذه الوجوه : أن المقتضى لهذا الحكم : ليس الحدوث .

المقدمة الرابعة : وهي في بيان أنه لما كان المقتضى لهذه الحكم في الشاهد هو الوجود ، والبارئ تعالى موجود ، وكان المقتضى لكونه إما محايثا للعالم أو مباينا عنه بالجهة : حاصل في حقه ، كان هذا الحكم أيضا حاصلًا هناك .

أعلم : أنا نفتقر في هذه المقدمة إلى بيان : أن الوجود حقيقة واحدة في الشاهد وفي الغائب . وذلك يقتضى كون وجوده تعالى زائدا على حقيقته . فإنه ما لم يثبت هذا الأصل لم يحصل المقصود . فهذا غاية ما يمكن ذكره في تقرير هذه الشبهة . ومن نظر في تقريرونا لهذه الشبهة وتقريرهم لها : علم (أن (١١)) التفاوت بينهما (كبير (١٢))

الجواب

(السؤال الأول) (١٣) : إن مدار هذه الشبهة على أن كل موجودين في الشاهد ، فلا بد أن يكون أحدهما محايثا للآخر ، أو مباينا عنه بالجهة . وهذه الطريقة مذكورة . وبيان من وجوه :

(١١) على أن : خ علم التفاوت : ط

(١٢) بينهما كبير : خ . وكبير : سقط ط

(١٣) السؤال الأول : زيادة ع

الأول : إن جمهور الفلاسفة يشبّهون موجودات غير محايثة لهذا العالم الجسماني ولا مباينة عنه بالجهة . وذلك لأنهم يشبّهون العقول ، والنفوس الفلكية ، والنفوس الناطقة ، ويشبّهون الهوى . ويزعمون : أن هذه الأشياء موجودات غير متحيزة ولا حالة في التحيز ، ولا يصدق عليها أنها محايثة لهذا العالم ولا مباينة عنه بالجهة . وعالم تبطلوا هذا المذهب بالدليل ، لا يصح القول بأن كل موجودين في الشاهد ، فأما أن يكون أحدهما محادياً للآخر أو مبايناً عنه .

الثاني : إن جمهور المعتزلة يشبّهون إرادات وكرهات موجودة لا في محل . ويشبّهون فناً لا في محل . وتلك الأشياء لا يصدق عليها أنها محايثة للعالم ، أو مباينة عن العالم بالجهة فما ، لم تبطلوا ذلك ، لا تتم دعواكم .

الثالث : إنا نقيم الدلالة على أن الإضافات موجودات في الإعيان ، ثم نقين أنها يمتنع أن تكون (١٣) محايثة للعالم ، أو مباينة عنه بالجهة وذلك يبطل كلامكم . وإنما قلنا : إن الإضافات أعراض موجودات في الإعيان ، لأن المعقول من كون الإنسان أباً لغيره ، مغاير لذاته المخصوصة . بدليل ، أنه يمكن أن يعقل ذاته مع الدهول عن كونه أباً أو ابناً . والمعلوم غير ماهو معلوم . وأيضاً : فإنه يمكن ثبوت ذات منفكة عن الأبوة والبنوة . مثل : عيسى عليه السلام . فإنه ما كان أباً لأحد ، ولا ابناً لأحد . والثابت غير ماهو غير ثابت . فكونه أباً و ابناً ، مغاير لذاته المخصوصة . ثم هذا المغاير إما أن يكون وصفاً سلبياً أو ثبوتياً . والأول باطل . لأن عدم الأبوة هو الوصف السلبى . والأبوة رافعه له . وافع العدم : وجود . فثبت : أن الأبوة وصف وجودى مغاير لذات الأب ، إذا ثبت هذا . فنقول : إنه مستحيل

(١٣) أن تكون : ط ، أنها : خ

أن يقال : الأبوة محايشة لذات الأب . وإلا لزم أن يقال : إنه قام بنصف .
الأب نصف الأبوة ، وبثلثة ثلث الأبوة : ومعلوم أن ذلك باطل . ومحال
أن يقال : إنها مباينة عن ذات الأب ، مباينة بالجهة والحيز . وإلا لزم كون
الأبوة جوهرأ قائما بذاته مباينا عن ذات الأب بالجهة . وذلك أيضا محال .
فثبت بهذا الدليل : وجود موجود لا يمكن أن يقال : إنه محايش للعالم (١٤) .
أو يقال إنه مباين عنه بالجهة . وإذا ثبت هذا ، بطل قولهم .

السؤال الثاني : سلنا أن كل موجودين في الشاهد ، فلا بد وأن يكون
أحدهما محايشا للآخر ، أو مباينا عنه بالجهة . لكن كون الشيء بحيث
يصدق عليه قولنا : إما أن يكون ، وإما أن لا يكون : إشارة إلى كونه
قابلا للانقسام إليهما . لكن قبول القسمة حكم عدى ، والعدم لا يعمل .
ولإنما قلنا : إن قبول القسمة حكم (عدى) (١٥) لأن أصل القبول حكم
عدى ، فوجب أن يكون قبول القسمة حكما عديا . وإنما قلنا : إن أصل
القبول حكم عدى ، لأنه لو كان أمرا ثابتا ، لكان صفة من صفات الشيء .
المحكوم عليه بكونه قابلا (فتكون) (١٦) الذات قابلة (لتلك الصفة) (١٧) ،
القائمة بها . فيكون قبول ذلك القبول زائداً عليه . ويلزم التسلسل . وإنما
قلنا : إنه لما كان أصل القبول عديا ، كان قبول القسمة أيضاً كذلك . لأن
قبول القسمة قبول مخصوص . فتلك الخصوصية إن كانت صفة موجودة ،
لزم قيام الوجود بالعدم . وهو محال . وإن كانت عدمية ، لزم القطع بأن قبول
القسمة عدى . وإذا ثبت أنه حكم عدى ، امتنع تعليله . لأن العدم نفي
محض ، فكان التأثير فيه محالا . فثبت : أن قبول القسمة لا يمكن تعليله .

(١٤) للمالم : خ ، لغيره : ط

(١٥) عدى : سقط خ (١٦) فتكون : ط ، من : خ

(١٧) لتلك الصفة : ط ، للصفة : خ

السؤال الثالث : هب أنه من الأحكام . فلم لا يجوز أن يكون ذلك معللاً بخصوص كونه جوهرآ ، أو بخصوص كونه عرضآ ؟ قوله : « لأن كونه جوهرآ يمنع من المحايثة ، وكونه عرضآ يمنع من المباينة بالجهة . وما كان علة لقبول الانقسام إلى قسمين يمتنع كونه مانعاً من أحد القسمين » قلنا : ما الذى تريدونه بقولكم . الموجود (١٨) فى الشاهد منقسم إلى المحايث (والمباين) (١٩) بالجهة ؟ إن أردتم به : أن (الموجود) (٢٠) فى الشاهد قسمان : أحدهما . هو الذى يكون محايثاً لغيره — وهو العرض — والثانى : (هو الذى) (٢١) يكون مبايناً لغيره بالجهة — وهو الجوهر — فهذا مسلم . لكنه فى الحقيقة إشارة إلى الحكمين مختلفين معللين بعلمتين مختلفتين . فإن عندنا وجوب كونه محايثاً لغيره : معلل بكونه عرضآ ، ووجوب كون القسم الثانى مبايناً عن غيره بالجهة : معلل بكونه جوهرآ . فبطل قولكم : إن خصوص كونه عرضآ وجوهرآ لا يصلحان لعلية (٢٢) هذا الحكم . وإن أردتم به أن إمكان الانقسام إلى هذين القسمين حكم واحد ، وأنه ثابت فى جميع الموجودات التى فى الشاهد . فهذا باطل . لأن إمكان الانقسام إلى هذين القسمين ، لم يثبت فى شئ من الموجودات التى فى الشاهد ، فضلاً عن أن يثبت فى جميعها . لأن كل موجود فى الشاهد فهو إما جوهر وإما عرض . فإن كان جوهرآ امتنع أن يكون محايثاً لغيره . فلم يكن قابلاً لهذا الانقسام . وإن كان عرضآ امتنع أن يكون مبايناً لغيره بالجهة ، فلم يكن قابلاً لهذا الانقسام . فثبت بما ذكرنا : أن الذى قالوه مغالطة . والحاصل : أن هذا المستدل أو هم أن قوله : « الموجود فى الشاهد إما أن

(١٨) الوجود : ط ، خ (١٩) والى المباين : ط

(٢٠) الموجود : خ ، الوجود : ط

(٢١) يجب أن : ص (٢٢) لعلية : خ ، لعله : ط

يسكون محايثا لغيره ، وإما أن يسكون مباينا عنه بالجهة : إشارة إلى حكم واحد . ثم بنى عليه أنه لا يمكن تعليل ذلك الحكم بخصوص كونه جوهرًا ولا بخصوص كونه عرضًا . ونحن بينا : أنه إشارة إلى حكيمين مختلفين . معلمين بعلمتين مختلفتين .

السؤال الرابع : سلمنا أنه لا يمكن تعليل هذا الحكم بخصوص كونه جوهرًا ، ولا بخصوص كونه عرضًا . فلم قلتم : إنه لا بد من تعليله ، إما بالحدوث وإما بالوجود ؟ وما الدليل على هذا الحصر ؟ أقصى ما في الباب أن يقال : سبرنا وبحشنا فلم نجد قسمًا آخر ، إلا أننا بينا في الكتب المطولة : أن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود ، وشرحنا أن هذا السؤال هادم لكل دليل مبني على تقسيمات منتشرة ، غير منحصرة بين النفي والإثبات .

السؤال الخامس : سلمنا أن عدم الوجدان ، يدل على عدم الوجود ، لكن لا نسلم (قولكم (٢٣)) : « إنما وجدنا لهذا الحكم علة سوى الحدوث والوجود ، وبيانه : من وجهين :

الأول : إن من المحتمل أن يقال : المقتضى لقولنا : إن الشيء إما أن يسكون محايثا للعالم ، أو مباينا عنه : هو كونه بحيث تصح الإشارة الحسية إليه . وذلك أن كل شيئين تصح الإشارة الحسية إليهما . إما أن تسكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر . وذلك كما في اللون والمتلون — وهذا هو المحايثة — وإما أن تسكون الإشارة إلى أحدهما غير الإشارة إلى الآخر — وهذا هو المباينة بالجهة — فنثبت : أن المقتضى لقبول هذه القسمة :

هو كون الشيء مشارا إليه بحسب الحس . وعلى هذا التقدير ما لم تقيعوا الدلالة على أنه مشار إليه بحسب الحس ، لا يمكن أن يقال : إنه تعالى يجب أن يكون محايثا للعالم أو مباينا عنه بالجملة . لكن كونه تعالى مشارا إليه بحسب الحس هو مما وقع النزاع فيه ، وحينئذ يتوقف صحة الدليل على صحة المطلوب . وذلك يفضى إلى الدور . وهو باطل .

الثاني : (إنه ٢٤) لا شك : أن ما سوى الله تعالى . إما أن يكون محايثا لغيره ، أو مباينا عن غيره بالجملة . ولا شك : أن الله تعالى مخالف لهذين القسمين بحقيقته المخصوصة إذ لو لم يكن مخالفا بحقيقته المخصوصة لكان إما مثلا للجواهر أو الأعراض . ويلزم منه كونه تعالى محدثا . كما أن الجواهر والأعراض محدثة . وذلك محال . وإذا ثبت هذا فقول : لا شك أن الجواهر والأعراض مشتركان في الأمر الذي به وقعت المخالفة بينهما ، وبين ذات الباري تعالى . فلم لا يجوز أن يكون المقتضى لقبول الانقسام إلى المحايث (والمباين ٢٥) هو ذلك الأمر ؟ وعلى هذا التقدير سقط هذا السؤال . لأنه لا مشترك بين الجواهر والأعراض إلا الحدوث .

السؤال السادس : سلمنا الحصر . فلم لا يجوز أن يكون المقتضى لهذا الحكم هو الحدوث ؟ قوله أولا : ه الحدوث (ماهية ٢٦) (مركبة ٢٧) من العدم والوجود ، قلنا : كل محدث فإنه يصدق عليه كونه قابلا للعدم والوجود . وأيضا : كون الشيء منقسما إلى المحايث والمباين : معناه كونه

(٢٤) انه : سقط خ

(٢٥) والمباين : خ ، وإلى المباين : ط

(٢٦) ماهية : سقط خ (٢٧) مركب : ط

قابلا للانقسام إلى هذين القسمين . فالقابلية إن كانت صفة وجودية كانت في الموضوعين كذلك ، وإن كانت عدمية فكذلك . ولا يبعد تعليل عدم بعدم . وقوله ثانيا : د لو كان المقتضى لهذا الحكم هو الحدوث ، لكان الجهل بمحدث الشيء يوجب الجهل بهذا الحكم ، قلنا : الكلام عليه من وجهين :

الأول : لم قلتم : إن الجهل بالمؤثر يوجب الجهل بالآثر ؟ ألا ترى أن جهل الناس بأسباب المرض والصحة لا يوجب جهلهم بحصول المرض والصحة ، وجهل نفاة الأعراض بالمعاني الموجبة لتغير أحوال الأجسام لا يوجب جهلهم بتلك التغيرات ، وجهل الدهرى بكونه تعالى قادرا على الخلق والتكوين لا يوجب جهله بوجود هذا العالم ؟

الثاني : لو كان الجهل بالعلة يوجب الجهل بالمعلول ، لكان العلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول . وعلى هذا التقدير لو كان المقتضى لكون الموجودين في الشاهد ، إما متباينين أو متباينين بالجهة : هو الوجود . لزم أن من علم كون الشيء موجودا ، أن يعلم وجوب كونه إما محايثا للعالم أو مباينا له . (بالجهة (٢٨)) لكن الجمهور الأعظم من أهل التوحيد يعتقدون أنه تعالى موجود ، ولا يعلمون أنه تعالى لا بد وأن يكون (إما (٢٩)) محايثا للعالم أو مباينا له . فوجب على هذا المساق : أن لا يكون المقتضى لهذا الحكم هو كونه موجودا .

وهذا السؤال قد أورده الأستاذ ابن فورك — رحمه الله — من أمحاننا — على ابن الهيثم ، ولم يقدر أن يذكر عنه جوابا سوى أن قال :

« يمتنع أن يحصل العلم بالآثر (ولا يحصل العلم بالمؤثر) (٣٠) (ولا) (٣١) »
يتمنع أن يحصل العلم بالمؤثر ، مع الجهل بالآثر ، وظال كلامه في تقرير
هذا الفرق ، ولم يظهر منه شيء معلوم يمكن حكايته . وقوله ثالثاً : « وكونه
محدثاً ووصف استدلالى ، وكونه إما محايثاً أو مبيناً : أمر معلوم بالبدية .
والوصف الاستدلالى لا يجوز أن يكون علة للحكم المعلوم بالبدية ، قلنا :
ممنوع : فإننا بينا : أن المؤثر في كثير من الأشياء : استدلالى ، والآثر
بدئى . »

السؤال السابع : سلمنا أن المؤثر في هذا الحكم ليس هو الحدوث ،
وأنه هو الوجود . لكن لم قلتم : إنه يلزم حصوله في حق الله تعالى ؟
وبيانه هو : إن المطلوب إنما يلزم ، لو كان الوجود أمراً واحداً في الشاهد
وفي الغائب . أما إذا لم يكن الأمر كذلك ، بل كان وقوع اللفظ الموجود
على الشاهد والغائب ، ليس إلا بالاشتراك اللفظى ، كان هذا الدليل ساقطاً
بالكلية .

ثم إن الكرامية لا يمكنهم أن يقولوا بأن الوجود في الغائب والشاهد :
واحد . وإذا كان كذلك لزمهم إما القول بكون البارئ تعالى مثلاً للمحدثات
من جميع الوجوه ، أو القول بأن وجوده زائد على ماهيته ، والقوم
لا يقولون بهذين الكلامين .

السؤال الثامن : سلمنا أن ما ذكرتم يدل على أن الوجود هو العلة لهذا
الحكم . لكن ههنا دليل آخر يمنع منه . وهو إن المقتضى لقبول الانقسام
في الجوهر والعرض ، لو كان هو الوجود ، لزم في الجوهر وحده أن يقبل
الانقسام ، إلى الجوهر والعرض . وإنه محال . ولزم أيضاً في العرض وحده ،

أن يقبل الانقسام إلى الجوهر وإلى العرض . ومعلوم أن ذلك محال .

فإن قالوا : إن كل جوهر وعرض فإنه يصبح كونه منقسما إلى هذين القسمين نظرا إلى كونه موجوداً ، وإنما يمتنع ذلك الانقسام نظر إلى مانع منفك وهو خصوصية ماهيته . قلنا : هذا اعتراف بأنه لا يلزم من كون الوجود عليه لصحة أمر من الأمور ، أن يصح ذلك الحكم على كل ما كان موصوفاً بالوجود ، لاحتمال أن تكون ماهيته المخصوصة مانعة من ذلك الحكم . وإذا كان كذلك ، فلم لا يجوز أن يقال : الوجود وإن اقتضى كون الشيء إما محايثاً لغيره وإما مبايناً عنه ، إلا أن خصوصية ذاته تعالى كانت مانعة من هذا الحكم . فلم يلزم من كونه تعالى موجوداً ، كونه بحيث يسكون إما محايثاً للعالم أو مبايناً عنه بالجملة ؟

السؤال التاسع : إن ما ذكرتموه من الدليل قائم في صور كثيرة ، مع أن النتيجة اللازمة عنه : باطله قطعاً . وذلك يدل على أن هذا الدليل منقوض . وبيانه من وجوه :

الأول : إن كل ما سوى الله تعالى فهو محدث ، فممكن صحة الحدوث حكماً مشتركاً بينهما . فنقول : هذه الصحة حكم مشترك فلا بد لها من عللة مشتركة . والمشارك إما الحدوث أو الوجود . ولا يمكن أن يكون المقتضى لصحة (الحدوث) (٣٢) هو الحدوث . لأن صحة الحدوث سابقة على الحدوث بالرتبة ، والسابق بالرتبة على الشيء لا يمكن تعليله بالتأخر عن الشيء . فثبت : أن صحة الحدوث غير معللة بالحدوث ، فوجب كونها معللة بالوجود . وانه تعالى موجود ، فوجب أن يثبت في حقه تعالى صحة الحدوث . وهو محال .

الثاني : إن كل موجود (٣٣) في الشاهد . فهو إما حجم وإما قائم بالحجم .
ثم فذكر التقسيم إلى آخره ، حتى يلزم أن يكون البارئ تعالى إما حجبا
وإما قائما بالحجم . والقوم لا يقولون بذلك .

الثالث : إن كل موجودين في الشاهد ، فلا بد وأن يكون أحدهما
محايثا للآخر ، أو مباينا عنه في أى جهة كان . ثم تذكر التقسيم المتقدم (٣٤)
حتى يظهر أن هذا الحكم معلل بالوجود ، والبارئ تعالى موجود ، فيلزم
أن يصح على البارئ تعالى كونه (إما) (٣٥) محايثا للعالم أو مباينا عنه
في أى جهة كانت ، من الجوانب التى للعالم . وذلك يقتضى أن لا يكون
اختصاص الله تعالى بجهة فوق : واجبا ، بل يلزم صحة الحركة على ذات
الله تعالى من الفوق إلى أسفل (٣٦) وكل ذلك عند القوم محال .

الرابع : إن كل موجودين في الشاهد ، فإنه يجب أن يكون أحدهما
محايثا للآخر ، أو مباينا عنه بالجهة . والمباين بالجهة لا بد وأن يكون
جوهرًا فردا ، أو يكون مركبا من الجواهر . وكون كل موجود في
الشاهد على أحد هذه الأقسام الثلاثة — أعنى : كونه عرضاً ، أو جوهرًا
فرداً ، أو جسما مؤلفاً (٣٧) — (لا بد وأن يكون معللا بالوجود) (٣٨)
فوجب أن يكون البارئ تعالى على أحد هذه الأقسام الثلاثة . والقوم
ينكرون ذلك . لأنه تعالى عندهم ليس بعرض ولا بجوهر ولا بجسم .
مؤلف مركب من الأجزاء والأبغاض .

(٣٣) موجودين : خ

(٣٤) الأول : خ ، المتقدم : ط (٣٥) إما : سقط خ

(٣٦) أسفل : ط

(٣٧) مؤلفا : ط

(٣٨) لا بد وأن يكون معللا بالوجود : سقط خ

الخامس : إن كل موجود يفرض مع العالم ، فهو إما مساوى للعالم . وإما أن يد منه في المقدار ، وإما أنقص منه في المقدار . فانقسام الموجود (٣٩) في الشاهد إلى هذه الأقسام الثلاثة : حكم لا بدله من علة . ولا علة إلا الوجود . والبارى تعالى موجود ، فوجب أن يكون البارى تعالى على أحد هذه الأقسام الثلاثة (٤٠) . والقوم لا يقولون به ، فثبت بما ذكرنا : أن هذه الشبهة منقوضة .

واعلم : أنا إنما طولنا في الكلام على هذه الشبهة ، لأن القوم يعولون عليها ، ويظنون أنها حجة قوية قاهرة ، ونحن بعد أن بالغنا في تنقيحها وتقريرها ، أوردنا عليها هذه الاستئلة القاهرة ، والاعتراضات القادحة . ونسأل الله العظيم أن يجعل هذه التحقيقات والتدقيقات سبباً (لمزيد الأجر) (٤١) والثواب بمنه وفضله ،

الشبهة الثالثة للكرامية في إثبات كونه تعالى في الجهة : قالوا : ثبت أنه تعالى تحوز رؤيته . والرؤية تقتضى مواجهة المرى أو شيئاً هو في حكم مقابلته . وذلك يقتضى كونه تعالى مخصوصاً بجهة . والجواب : اعلم أن المعتزلة والكرامية توافقتا (٤٢) في أن كل مرئى ، لابد وأن يكون في جهة . إلا أن المعتزلة قالوا : لسكنه ليس في الجهة فوجب أن لا يكون مرئياً (٤٣)

(٣٩) الوجود : ط (٤٠) الأربعة : خ

(٤١) لمزيد من الأجر : ط ، للأجر : خ

(٤٢) توافقا : خ

(٤٣) في الأخبار ما يدل ظاهره على « مكان » لله وجهة — تعالى عن المكان والجهة — وهذه الأخبار يجب أن تؤول لتلا تدل على مكان وجهة . لقوله تعالى : « وهو الذى فى السماء اله ، وفى الأرض اله » (الزخرف ٨٤) ولقوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » (الحديد ٤) وكيفية تأويل المكان هكذا : المكان على الحقيقة : اسم على الحيز والجهة . وعلى المجاز يكون بمعنى الرتبة والدرجة . كما تقول : محمد مكان أبيه ، أى

بدله في رتبته ودرجته . وقد جاء في التوراة أن حزقيال النبي قال عن الله عز وجل : « مبارك مجد الرب من مكان » (حز ٣ : ١٢) وفسر المفسرون من علماء بني اسرائيل قوله هذا : « بحسب مرتبته وعظم حظه في الوجود . وكذلك كل ذكر مكان جاء في الله : انما المراد به : مرتبة وجوده تعالى ، النى لا متيل لها ولا شبيهه » وكذلك قالوا في تمول الله لموسى : « هو ذا عندي موضع » (خر ٣٣ : ٢١) قالوا : ان المراد بالموضع : « مرتبة نظر وتطلع عقل ، لا تطلع عين » .

و « الكرسي » الذي يدل على المكان . على الحقيقة : اسم لموضع جلوس في مكان عالى . وعلى المجاز : الجلالة والعظمة . لأن الذي ارتفع عن الأرض وجلس على الكرسي ، صار عظيمًا بالنسبة لمن جلسوا على التراب . وقد جاء في النوراة أن الله له « كرسي » وجاء فيها أن السماء عرش الله « هكذا قال الرب : السماء عرشي » (أش ٦٦ : ١) والمفسرون من علماء بني اسرائيل بقولون : « هي تدل على وجودى وعظمتى ، كدلالة الكرسي على عظم من أهل له . هذا هو الذى يجب أن يعتقده المحققون ، لا أن ثم جسمًا يرتفع الاله عليه تعالى علوا كبيرا »

و « الجلوس » على الحقيقة يدل على القعود . وعلى المجاز يدل على الاستقرار والثبات على أكمل الحالات . وقد جاء في التوراة عن الله تعالى : « الساكن في السماوات » (مز ٢ : ٤) أى : الاله الثابت الذى لا يتغير بنحو من أنحاء التغير ، لأنه قال عن نفسه : « انى أنا الرب لا أتغير » (ملا ٣ : ٦) وعبر بالسماء عن الثبات والاستقرار « لتكون السماء هى التى لا تغير فيها ولا اختلاف أعنى : أنه لا تتغير أشخاصها كما تتغير أشخاص كائنات الأرض وفاسديها » كما يقول موسى بن ميمون . وإذا كان الشيء عظيمًا ثابتًا مثل « كرة الأرض » فانه يقاس على السماء في المعنى . ولما فسدت الأرض بطوفان نوح — عليه السلام — واستقر الطوفان على الأرض قالت التوراة : « جلس الرب على الطوفان » (مز ٢٨ : ١٠) أى أنه هو الاله الوحيد الذى عمله ، وهو الذى يملك أمره ، لا غير .

وهذا التأويل الذى عند علماء بني اسرائيل في الكرسي له تأويل يشبهه عند كثيرين من أهل الاسلام . ومنهم الامام فخر الدين الرازى ، والامام محمود بن عمر — أنعم الله عليهما — يقول بن عمر ، في الكشف : « الكرسي : ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد ، وفي

قوله : « وسع كرسيه » أربعة أوجه : أحدها : أن كرسيه لم يضق عن لاسموات والأرض ، لبسطته وسعته ، وما هو الا نصوير لعظمته وتخييل قط ، ولا كرسى ثمة ولا فعود ولا قاعد . كقوله : « وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة . والسموات مطويات بيمينه » من غير تصور قبضة وطى وبمين ، وانما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي . ألا ترى الى قوله : « وما قدروا الله حق قدره » والثاني : وسع علمه . وسمى العلم كرسبا ، تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم . والثالث : وسع ملكه ، تسمية . بمكانه الذى هو كرسى الملك . والرابع : ما روى انه خلق كرسبا ، هو بين يدى العرش . دونه السموات والأرض . وهو الى العرش كأصغر شيء . وعن الحسن : « الكرسى هو العرش » أ . هـ

و « صعد » و « هبط » يدلان على المكان بالارتفاع والانحطاط على الحقيقة . وعلى المجاز تدل كلمة صعد على علو المنزلة ، وتدل كلمة هبط على انحطاط المنزلة . فقد قال الله للاسرائيلى الغبى : « يستعلى عليك الغريب الذى فيما بينكم متصاعدا ، وانت منحط متنازلا » (تث ٢٨ : ٤٣) ويقول علماء بنى اسرائيل فى ما ورد فى التوراة عن صعود الله ونزوله : « ولما كنا معشر الآدميين فى أسفل السافلين بالموضع وبمرتبة الوجود ، بالاضافة للمحيط . وكان هو فى أعلى عليين على حقيقة وجود ، وجلالة وعظمة . لا علو مكان . وشاء تعالى : ايصال علم منه ، وافاضة وحى على بعضنا . عبر بنزول الوحي على النبى ، أو بحلول مسكنة فى موضع : بالنزول . وعبر بارتفاع حالة النبوة — تلك — عن الشخص ، أو ازالة المسكنة من الموضع : بالرفع . فكل نزلة ورفعة تجدها منسوبة للبارئ تعالى : انما أراد بها هذا المعنى . وكذلك اذا نزلت آمة بأمة أو اقلبم — بحسب مشيئته القديمة — النى تصف الكتب النبوية — قبل أن تصدر تلك النازلة — بأن أولئك افتقد الله أعمالهم ، ثم بعد ذلك أنزل بهم العقاب . فانه يكنى عن هذا المعنى أيضا : بالنزول لكون الانسان أقل من أن تفتقد أعماله ، ويعاقب عليها — لولا المشيئة — . وقد بين ذلك فى كتب النبوة . وقبل : ما الانسان حتى تذكره ، وابن البشر حتى تفتقده » ؟ (مز ٨ : ٥) . يشير الى هذا المعنى . ولذلك كنى عن هذا بالنزول . فقال : « هلم نهبط ونبيل هناك لغتهم » (تك ١١ : ٧)

« فنزل الرب لينظر » (تك ١١ : ٥) « أنزل وأرى » (تك ١٨ : ٢١)
والمعنى كله : حول العقاب بأهل السفلى ، أ.هـ .

واعلم : أن « رأى » على الحقيقة تدل على رؤية العين . وعلى
المجاز تدل على العلم ، وعلى ادراك العقل . ففي القرآن الكريم :
« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » ؟ أى : ألم تعلم . وفيه :
« ألم تر الى ربك كيف مد الظل ؟ » أى لم تدرك ذلك بعقلك . وفي النوراة :
« وقلبي رأى كثيرا من الحكمة والعلم » (جا ١ : ١٦) فرأى بمعنى
أدرك بعقله . وكل ما فى التوراة عن « رأيت الرب » (١ مل ٢٢ : ١٩)
« رأوا اله اسرائيل » (خر ٢٤ : ١٠) يحمل على هذا المجاز :
أى على الادراك العقلى ، لا على رؤية العين .

واعلم : أن « نظر » على الحقيقة تدل على الالتفات بالعين للشيء .
وعلى المجاز تدل على التفات الذهن واقباله على تأمل الشيء حتى
يدركه . مثل ما جاء فى التوراة أن الله تعالى « لم ير اثما فى يعقوب »
(عدد ٢٣ : ٢١) لأن الاثم لا يرى بالعين . ومثل قول الله تعالى
عن بنى اسرائيل انهم « ينظرون الى موسى » (حز ٣٣ : ٨) أى أنهم
يسعقبون أفعاله وأقواله ويتأملونها . ويقول علماء بنى اسرائيل : ان كل
لفظة تدل على أن الله ينظر أو نظر أحد اليه ، فانها تدل على
التفات الذهن واتباله على تأمل الشيء . لا على رؤية العين .

وقد جاء فى التوراة أن موسى عليه السلام ستر وجهه لأنه خاف أن
ينظر الى الله . وجاء فيها أنه عاين صورة الرب . ويفسر علماء
النوراة هذين النصين بقولهم : ان موسى استحيا من الله بسبب خوفه
من نظره نور الله ، لا من النظر الى الله نفسه . ولما رأى الله
استحياءه ، أفاض عليه تعالى من جوده وخيره ، ما قدر ، على
مشاهدة شبه الرب . وذلك جزاء له على أنه ستر وجهه لئلا ينظر الى
الرب . وتفسيرهم هذين النصين - بهذا المعنى شبيهه بقول رئيس
الفلاسفة : « انه لا ينبغى للناس فى كتبه أن ينسبه فيها يبحث عنه لقحة
أو تجاسر وتهجم للكلام فى ما لا علم له به . بل ينبغى أن ينسبه المعرض
والاجتهاد فى ايجاد وتحصيل اعتقادات صحيحة ، حسب مقدرة الانسان »
وشبيهه بقول موسى بن ميمون : « انه ينبغى للانسان أن لا يتهمج لهذا

والكرامية قالوا : لكنه مرتى ، فوجب أن يكون فى الجهة . وأصحابنا —
رحمهم الله — نازعوا فى هذه المقدمة . وقالوا : لانسلم أن كل مرتى فإنه
مختص بالجهة . بل لانزاع (فى) (٤٤) أن الأمر فى الشاهد كذلك . لكن
لم قاتم : إن (ما كان) (٤٥) فى الشاهد كذلك ، وجب أن يكون فى
الغائب كذلك ؟ وتقريره : إن هذه المقدمة إما أن تكون مقدمة بديهية
أو استدلالية . فإن كانت بديهية لم يكن فى إثبات كونه تعالى مختصاً
بالجهة حاجة إلى هذا الدليل . ذلك لأنه ثبت فى الشاهد أن كل قاتم بالنفس

الأمر العظيم الجليل من أول وهلة ، دون أن يروض نفسه فى العلوم
والمعارف ويهذب أخلاقه حق التهذيب ويقتل شهواته ، وتشوقاته الخبالية ،
فإذا حصل مقدمات يقينية وعليها وعلم قوانين القياس والاستدلال وعلم
وجوه التحفظ من أغاليط الذهن ، حينئذ يقدم للبحث فى هذا المعنى ،
ولا يتطلع بأول رأى يقع له ولا يمد أفكاره أولاً ويسلطها نحو ادراك الاله .
بل يستحيى ويكف ويقف حتى يستنهض أولاً أولاً « وبعد هذا الكلام مباشرة
بغول موسى بن ميمون : « وعن هذا المعنى . قيل : فسر موسى وجهه
اذ يخاف أن ينظر الى الله » (خر ٣ : ٦) مضافا الى ما يدل عليه
الظاهر من خوفه من نظر النور المتجلى لا أن الاله تدركه الاعين —
بعالى عن كل نقص علوا كبيرا — وحده له — عليه السلام — ذلك ،
ونافض عليه — تعالى — من جوده وخيره ، ما أوجب له أن قبل فيه
أخبرا : « صورة الرب يعابن » (عد ١ : ٨) وذكر الحكماء —
عليهم السلام — أن ذلك لكونه ساترا وجهه أولاً ، ثلثا ينظر الى الرب .
أما مختارى بنى اسرائيل (خر ٢٤ : ١١) فانهم تهجموا ومدوا أفكارهم
وأدركوا . لكن ادراكا ليس بكامل . ولذلك قال عنهم : « مراوا الله
اسرائيل وتحت رجله » (خر ٢٤ : ١٠) ولم يقل : « فراوا الله
اسرائيل » فقط . اذ معرض القول انها هو الانتقاد عليهم رؤيتهم ، لا فى
وصف كيف رأوا . وهو انما انتقد عليهم صورة ادراكهم التى ضمنوها
من الجسمانية ما ضمنوها . والتى أوجبت عليهم تهجمهم قبل كمالهم .
فاستحقوا الهلاك » .

(٤٤) فى : سقط خ (٤٥) ما كان كذلك : ط

فهو مختص بالجهة (وثبت أن البارئ — تعالى — قائم بالنفس) (٤٦) فوجب القطع بأنه مختص بالجهة لأن العلم الضروري حاصل بأن كل مائتة في الشاهد وجب أن يكون في الغائب كذلك . فإذا كان هذا الوجه حاصلًا في إثبات كونه تعالى في الجهة ، كان لإثبات كونه تعالى في الجهة بكونه مرئياً ، ثم لإثبات أن كل ما كان مرئياً فهو مختص بالجهة ، تطويل من غير فائدة ، ومن غير مزيد شرح وبيان . وأما إن قلنا : إن قولنا إن كل مرئى فهو مختص بالجهة : ليست مقدمة بديهية ، بل هي مقدمة استدلالية . فحينئذ مالم يذكروا على صحتها دليلاً ، لاتصير هذه المقدمة يقينية . وأيضاً (إنما كما) (٤٧) لانعقل مرئياً في الشاهد ، إلا إذا كان مقابلاً له أو في حكم المقابل للرأى . فكذلك لانعقل مرئياً إلا إذا كان صغيراً أو كبيراً ، أو ممتداً في الجهات ، أو مؤلفاً من الأجزاء . وهم يقولون : إنه تعالى يرى ، لاصغيراً ولا كبيراً ، ولا ممتداً في الجهات والجوانب والاحياز . فإذا جاز لكم أن تحكموا بأن الغائب مخالف للشاهد في هذا الباب ، فلم لا يجوز أيضاً أن المرئى في الشاهد — وإن وجب كونه مقابلاً للرأى إلا أن المرئى في الغالب — لا يجوز أن يكون كذلك ؟

التمثية الرابعة : تمسكوا برفع الأيدي إلى السماء . قالوا : وهذا شيء يفعله أرباب النحل . فدل على أنه تقرر في جميع عقول الخلق كون الإله في جهة فوق . الجواب : إن هذا معارض بما تقرر في جميع عقول الخلق : أنهم عند تعظيم خالق العالم يضعون جباههم على الأرض . ولما لم

(٤٦) وثبت : أن البارئ تعالى قائم بالنفس : سقط خ

(٤٧) فكما أنا : خ

يدل هذا على كون خالق العالم في الأرض ، لم يدل (٤٨) ما ذكره على أنه في السماء .

وأيضاً : فالخلق إنما يقدمون على رفع الأيدي إلى السماء ، لوجوه أخرى وراء اعتقادهم أن خالق العالم في السماء :

فالأول : إن معظم الأشياء نفعا للخلق ، ظهور الأنوار . وأنها (إنما ٤٩) تظهر من جانب السموات .

والثاني : إن مبنى حياة الخلق على استنشاق النفس . وليس ذلك الاستنشاق إلا من الهواء . والهواء ليس (إلا موجوداً فوق الأرض ٥٠) فلهذا السبب كان فوق الأرض أشرف مما تحت الأرض .

الثالث : إن نزول الغيث من جهة فوق .

ولما كانت هذه الأشياء التي هي منافع الخلق ، إنما تنزل من جانب السموات ، لا جرم كان ذلك الجانب عندهم أشرف . وتعلق الخاطر بالأشرف أقوى من تعلقه بالآخر . وهذا هو السبب في رفع الأيدي إلى السماء .

وأيضاً : إنه تعالى جعل العرش قبلة لدعائنا ، كما جعل الكعبة قبلة لصلاتنا .

وأيضاً : إنه تعالى جعل الملائكة وسائط في مصالح هذا العالم . قال تعالى : « فالمديرات أمرا (٥١) » ، وقال تعالى : « فالتسميات

(٤٨) لم يدل على ما ذكره : خ (٤٩) إنما : سقط خ

(٥٠) بموجود الا فوق الأرض : خ (٥١) النازعات ه

أمر (٥٢) . وأجمعوا على أن جبريل عليه السلام ملك الوحي والتنزيل
والشجرة ، وميكائيل ملك الأرزاق ، وملاك الموت ملك الوفاة . وكذا
القول في سائر الأمور . وإذا كان الأمر كذلك ، لم يبعد أن يكون
الغرض من رفع الأيدي إلى السماء : رفع الأيدي إلى الملائكة .
{ وبالله التوفيق (٥٣) }

الفصل السادس

في

الرد على الكرامية القائلين بأنه تعالى جسم
بمعنى كونه تعالى غنيا عن المحل قائما بالنفس

اعلم : أن المشهور عن قدماء الكرامية : إطلاق لفظ الجسم على الله تعالى . إلا أنهم يقولون : لا نريد به كونه تعالى مؤلفا من الأجزاء ، ومركبا من الأبعاض . بل نريد به كونه تعالى غنيا عن المحل ، قائما بالنفس . وعلى هذا التقدير ، فإنه يصير النزاع في أنه تعالى جسم أولا ؟ : نزاعا لفظيا . هذا حاصل ما قيل في هذا الباب . إلا أنا نقول : كل ما كان مختصا بمحيز أو جهة ، ويمكن أن يشار إليه بالحس . فذلك المشار إليه إما أن لا يبقى منه شيء في جوانبه الست ، وإما أن يبقى . فإن لم يبق منه شيء في جوانبه الست ، فهذا يكون كالجوهر الفرد ، كالنقطة التي لا تتجزأ ، ويكون في غاية الصغر والحقارة . ولا أظن أن عاقلا يرضى أن يقول : إن إله العالم كذلك . وأما إن بقي شيء في جوانبه الست ، أو في أحد هذه الجوانب . فهذا يقتضى كونه مؤلفا مركبا من جزئين (٢) وأكثر .

وأقصى ما في الباب : أن يقول قائل : إن تلك الأجزاء لا تقبل التفرق والانحلال . إلا أن هذا لا يمنع من كونه في نفسه مركبا مؤلفا ، كما أن الفيلسوف (٣) يقول : د الفلك جسم ، إلا أنه لا يقبل الخرق والالتئام .

(١) الفصل السادس : اعلم أن المشهور . . . الخ : ص

(٢) الجزئين أو أكثر : ط . (٣) الفيلسوف : ط الفيلسوفى : خ

فإن ذلك لا يمنعه من اعتقاد كونه جسماً طويلاً عريضاً عميقاً . فثبت :
أن هؤلاء الكرامية لما اعتقدوا كونه تعالى مختصاً بالحيز والجهة ومشاراً
إليه بحسب الحس ، واعتقدوا أنه تعالى ليس في الصغر والحقارة مثل
الجوهر الفرد والنقطة التي لا تتجزأ : وجب أن يكونوا قد اعتقدوا
أنه تعالى ممتد في الجوانب ، أو في بعض الجوانب . ومن قال ذلك فقد
اعتقد كونه مركباً مؤلفاً ، فكان امتناعه عن إطلاق لفظ المؤلف
والمركب ، امتناعاً عن مجرد هذا اللفظ ، مع كونه معتقداً بانه . فثبت :
أنهم لما أطلقوا عليه لفظ الجسم : لأجل أنهم اعتقدوا كونه تعالى طويلاً
عريضاً عميقاً ممتداً في الجهات . فثبت : أن امتناعهم عن هذا الكلام : لمحض
التقية والخوف ، وإلا فهم يعتقدون كونه تعالى مركباً مؤلفاً .

فهذا تمام الكلام في القسم الأول من هذا الكتاب (وهذا هو (٤))

القسم المشتمل على الوجوه العقلية : وبالله التوفيق .

(٤) وهو : ط ، وهذا هو : خ

(هـ) مقصود الناس في العلم الإلهي ثلاثة مقاصد : الأول : اثبات وجود

الإله تعالى . والثاني : اثبات أنه ليس بجسم ولا قوة في جسم . والثالث :
كونه واحداً . وللوصول إلى هذه المقاصد يتحدثون في مقدمات تسهل لهم
اثبات هذه المقاصد . والمؤلف رحمه الله بعد ما ذكر الأدلة السمعية من
القرآن والسنة على أن الله ليس بجسم ، ذكر الأدلة العقلية على أن الله
ليس بجسم . وإذا نفى الجهة والحيز عن الله تعالى ، فقد نفى كونه جسماً .
وأتم القسم الأول على نفى الجسمية بالسمع والعقل . وكلامه هو كلام العلماء
النابهين فقد قال محمد بن أبي بكر بن محمد التبريزي رحمه الله عليه : —

« ونشرح لفظة الجسم والقوة . فنقول : أما الجسم فهو عبارة في
اصطلاحهم عن الجوهر المتحيز ، أي الذي يمكن أن يشار إليه أنه ههنا بالحس ،
وثم بذاته ، لا بتبعية غيره ويمكن أن يفرض فيه أبعاد ثلاثة متقاطعة على زوايا
قوائم . وهي الأقطار الثلاثة أعني : الطول والعرض والعمق . وأما القوة
فهي لفظة مشتركة بين القوة الفعلية والقوة الانفعالية . أما القوة

الانفعالية : فهي عبارة عما يكون مبدأ التفسير من آخر في آخر ، من حيث أنه آخر . ومعناه : أن الشيء : الحال في الجسم إذا صدر منه أثر في جسم آخر ، يقال لذلك الشيء : أنه قوة مثل الحرارة الحاصلة في الجسم ، فانها اذا صادفت جسما آخر مهيا لقبول السخونة ، سخنته . فيقال : انها قوة باعتبار حصول ذلك الاثر عنها .

وهي - أعنى القوة - : فقد تكون عرضا في الموضوع ، وقد تكون صورة في الهيولى .

والفرق بينهما: أن العرض يكون متقوما بمحلّه الذي هو الموضوع، والمحل مقوما له . والصورة بالعكس من ذلك . أي تكون الصورة مقومة لمحلّه الذي هو الهيولى، والمحل متقوما بها . فالصورة من الجواهر ، لا من الأعراض، واسم القوة يجمعها جميعا . فمثال القوة التي تكون عرضا : الحرارة والبرودة . ومثال القوة التي تكون صورة : الصورة النارية والهوائية والمائية والارضية كالرطوبة ، أو بالعسر كاليبوسة . فالمراد بأنه ليس بجسم ولا قوة في جسم بعد الاشتراك في كونها أجساما . وأما القوة الانفعالية ، فهي عبارة عن الصفة التي بها يصير الشيء قابلا لشيء آخر . كما يقال للرطوبة أو اليبوسة: انها قوة انفعالية ، لأنها نجعل الجسم يتغير عن الدافع . اما بالسهولة كالرطوبة ، أو بالعسر كاليبوسة . فالمراد بأنه ليس بجسم ولا قوة في جسم هو أنه تعالى ليس موجودا بالصفة التي وصفناها في معنى الجسم والقوة ، فهو منزّه عن أن يكون في الجهة والحيز ، أو حالا فيما يكون في الجهة والحيز» . (ص ٢٣٥ ج ٢ دلالة الحائرين)

القسم الثاني من هذا الكتاب
في
تأويل المتشابهات من الأخبار والآيات

والكلام فيه مرتب على مقدمة وفصول :

المقدمة

في

بيان أن جميع فرق الاسلام مقرون بأنه
لابد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار

أما في القرآن • فبيانه من وجوه :

الأول : هو أنه ورد في القرآن ذكر الوجه ، و (ذكر (١)) العين ،
وذكر الجنب الواحد ، و ذكر الأيدى ، و ذكر الساق الواحدة . فلو
أخذنا بالظاهر ، يلزمنا إثبات شخص له وجه واحد . وعلى ذلك الوجه
أعين كثيرة . وله جنب واحد ، وعليه أيد كثيرة . وله ساق واحدة .
ولانرى في الدنيا شخصا أقبح صورة من هذه الصورة المتخيلة ، ولا اعتقد
أن عاقلا يرضى بأن يصف ربه بهذه الصفة .

الثاني : إنه ورد في القرآن : أنه (تعالى (٢)) نور السموات
والأرض (٣) ، وأن كل عاقل يعلم بالبدئية : أن إله العالم ليس هو هذا
الشيء المنبسط على الجدران والحيطان ، وليس هو هذا النور الفاض من
جرم الشمس والقمر والنار ، فلا بد لكل واحد منا ، من أن يفسر قوله
تعالى : د الله نور السموات والأرض (٤) ، بأنه منور السموات والأرض
أو بأنه هاد لأهل السموات والأرض ، أو بأنه مصباح السموات والأرض .
وكل ذلك تأويل .

(١) وذكر : سقط خ

(٢) تعالى : خ

(٣) النور ٣٥

(٤) النور ٣٥

الثالث : قال الله تعالى : «وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد»^(٥)، ومعلوم : أن الحديد ما نزل جرمه من السماء إلى الأرض . وقال : «وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج»^(٦) ، ومعلوم : أن الأنعام ما نزلت من السماء إلى الأرض .

الرابع : قوله تعالى : «وهو معكم أينما كنتم»^(٧) ، وقوله تعالى : «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد»^(٨) ، وقوله تعالى : «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم»^(٩) ، وكل عاقل يعلم : أن المراد منه : القرب بالعلم ، والقدرة الإلهية .

الخامس : قوله تعالى : «واسجدوا اقرب»^(١٠) ، فإن هذا القرب ليس إلا بالطاعة والعبودية . فأما القرب بالجمة : فمعلوم بالضرورة : أنه لا يحصل بسبب السجود .

السادس : قوله تعالى : «فأينما تولوا ، فثم وجه الله»^(١١) ، وقال تعالى : «ونحن أقرب إليه منكم . ولكن لا تبصرون»^(١٢) ،

السابع : قال تعالى : «من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا»^(١٣) ، ولا شك أنه لا بد فيه من التأويل .

الثامن : قوله تعالى : «فأتى الله بنيانهم من القواعد»^(١٤) ، ولا بد فيه من التأويل .

(٥) الحديد ٢٥

(٦) الزمر ٦

(٧) الحديد ٤

(٨) المجادلة ٧

(٩) الواقعة ٨٥

(١٠) النحل ٢٦

(١١) البقرة ١٦

(١٢) البقرة ١١٥

(١٣) البقرة ٢٤٥

(١٤) البقرة ٢٤٥

التاسع : قال تعالى لموسى وهارون : « إنا نرى معكيا أسع وأرى (١٥) ، هذه المعية ليست إلا بالحفظ والعلم والرحمة (١٦) . فهذه وأمثالها من الأمور التي لا بد لكل عاقل من الاعتراف بحملها على التأويل وبالله التوفيق (١٧) »

أما الأخبار : فهذا النوع فيه كثرة (١٨) .

فالأول : قوله — عليه السلام — حكاية عن الله (سبحانه (١٩) و) وتعالى :
مرضت فلم تعدنى ، استطعمتك فما أطعمتنى ، استسقيتك فما أسقيتنى .
لا يشك عاقل : أن المراد منه : التمثيل فقط .

الثانى : قوله ﷺ (حكاية عن ربه (٢٠)) « من أنانى يمشى ، أتيتته هرولة ، ولا يشك عاقل فى أن المراد منه : التمثيل والتصوير .

الثالث : نقل الشيخ الغزالى — رحمه الله — عن أحمد بن حنبل — رحمه الله — أنه أقر بالتأويل فى ثلاثة أحاديث :

أحدهما : قوله عليه السلام : « الحجر الأسود : يمين الله فى الأرض ، وثانها » : قوله عليه السلام : « إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن ، وثالثها » : قوله عليه السلام (حكاية عن الله عز (٢١) وجل) : « أنا جالس من ذكرنى ،

(١٥) طه ٤٦

(١٦) والرحمة والعلم : خ (١٧) وبالله التوفيق : ط

(١٨) فيها كثير : ط فيها كثرة : خ

(١٩) سبحانه و : خ وهذا الحديث له شبه فى انجيل متى ٢٥ : ٣٩

(٢٠) حكاية عن ربه : سقط خ

(٢١) حكاية عن الله عز وجل : سقط خ

الرابع : حكى أن المعزلة تمسكوا في خلق القرآن ، بما روى عنه عليه السلام أنه تآنى سورة البقرة وآل عمران كذا وكذا (يوم القيامة (٢٢)) كأنهما غمامتان . فأجاب أحمد بن حنبل (رحمه الله (٢٣)) وقال : د يضى ثواب قارئيهما ، وهذا تصريح (منه (٢٤)) بالتأويل .

الخامس : قوله (٢٥) عليه السلام : د إن الرحم يتعلق بحقوقى الرحمن ، فيقول سبحانه وتعالى (٢٦) : أصل من وصلك ، وهذا لا بد له من التأويل .

السادس : قال عليه السلام : دإن المسجد لينزوى من النخامة ، كما تنزوى الجلدة من النار ، ولا بد فيه من التأويل .

السابع : قال عليه السلام : د قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ، وهذا لا بد فيه من التأويل ، لأننا نعلم بالضرورة : أنه ليس فى صدورنا إصبعان بينهما قلوبنا .

الثامن : قوله عليه السلام — حكاية عن الله تعالى — : د أنا عند المنكسرة قلوبهم ، وليست هذه العندية إلا بالرحمة . وأيضاً : قال ﷺ : حكاية عن الله تعالى فى صفة الأولياء — : د فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ومن المعلوم بالضرورة : أن القوة الباصرة التى بها يرى الأشياء ليست هى الله (سبحانه (٢٧)) و تعالى .

التاسع : قال عليه السلام — حكاية عن الله سبحانه وتعالى — : الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، والعاقلة لا يثبت الله تعالى إزاراً ورداء .

(٢٢) يوم القيامة : سقط خ (٢٣) رحمه الله : سقط خ
 (٢٤) منه : من خ (٢٥) قال : خ (٢٦) وتعالى : خ
 (٢٧) سبحانه و : خ

العاشر : قال عليه السلام لأبي بن كعب : « يا أبا المنذر . أية آية في كتاب الله تعالى أعظم » ؟ فتردد فيه مرتين . ثم قال في الثالثة : آية الكرسى . فضرب يده — عليه السلام — على صدره ، وقال : « أصبت . والذي نفسى بيده . إن لها لسانا يقدر الله تعالى عند العرش ، ولا بد فيه من التأويل (٢٧) . فثبت بكل ما ذكرنا : أن المصير إلى التأويل : أمر لا بد منه لكل عاقل . وعند هذا قال المتكلمون : لما ثبت بالدليل أنه سبحانه وتعالى منزّه عن الجهة والجسمية ، وجب علينا أن نضع لهذه الألفاظ الواردة في القرآن والأخبار : محلا صحيحا ، لئلا يصير ذلك سببا للطعن فيها .

فهذا تمام القول في المقدمة (وبالله التوفيق (٢٩))

-
- (٢٨) في تفسر القرطبي المتوفى سنة ٥٧١ هـ ما نصه :
- ١ — أسند الدارمي أبو محمد في مسنده عن أبي هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تبارك وتعالى قرأ « طه » و « بس » قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام ، فلما سمعت الملائكة : القرآن ، قالت : طوبى لامة ينزل هذا عليها ، وطوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لالسنة تتكلم بهذا » .
 - قال ابن فورك : معنى قوله : « ان الله — تبارك وتعالى — قرأ « طه » و « بس » أى : أظهر وأسمع وأفهم كلامه من أراد من خلقه من الملائكة في ذلك الوقت . فقد أول « ابن فورك » قراءة الله بمعنى مجازى هو « أظهر وأسمع وأفهم » .
 - ٢ — وقال ابن عباس في قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » قال : « يريد خلق ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة ، وبعد القيامة » فقد أول ابن عباس استواء الله بمعنى مجازى هو خلق ما كان وما هو كائن .
 - ٣ — وقال الطبرى في قوله تعالى : « وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عيني » قال : « محبة منى » أى ألقى عليك رحمتى . فقد فسر المحبة بالمعنى المجازى وهو الرحمة . وأبعد المحبة عن المعنى الحقيقى . وقيل فى « ولتصنع على عيني » أى تربي وتغذى على مرأى منى . أى له عناية خاصة من الله .
- (٢٨) سقط خ

الفصل الأول

في

اثبات الصورة

اعلم : أن هذه اللفظة ماوردت في القرآن . لكنها واردة في
الآخبار :

الخبر الأول : ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم (أنه قال) (١)
« إن الله تعالى (٢) خلق آدم على صورته » (٣) وروى ابن خزيمة عن أبي
هريرة — رضى الله عنه — عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ، « لا يقولن
أحدكم لعبده : قبح الله وجهك ، ووجه من أشبه وجهك » (فإن الله خلق آدم
على صورته ،

والجواب (٤) : اعلم : أن الهباء في قوله « على صورته » ، يحتمل
أن يكون عائدا إلى شيء غير صورة آدم عليه السلام . وغير الله
تعالى ، ويحتمل أن يكون عائدا إلى آدم ، ويحتمل أن يكون عائدا إلى
الله تعالى . فهذه طرق ثلاثة :

(١) أنه قال : سقط خ

(٢) تعالى : سقط خ

(٣) في الأصحاح الأول من سفر التكوين في التوراة : « فخلق الله

الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم »

(تك ١ : ٢٧) « وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » (نك

١ : ٢٦) ويقول موسى بن مبيون في دلالة الحائرين : أن ذلك لا يؤدي إلى

التجسيم . بل المعنى : أن العقل الإلهي المتصل به ، أنه هو على صورة الله

وشاكلته « لا أن الله تعالى جسم ، فيكون ذا شكل » (ص ٢٨ ج ١) .

(٤) ما بين القوسين : سقط خ

الطريق الأول : أن يكون هذا الضمير عائداً إلى غير آدم ، وإلى غير الله تعالى . وعلى هذا التقدير ففي تأويل الخبر وجهان :

الأول : هو أن من قال لإنسان : قبح الله وجهك ، ووجه من أشبه وجهك ، فهذا يكون شتماً لآدم عليه السلام ، فإنه لما كانت صورة هذا الإنسان مشابهة لصورة آدم ، كان قوله : قبح الله وجهك ، ووجه من أشبه وجهك : شتماً لآدم عليه السلام ، ولجميع الأنبياء - عليهم السلام - وذلك غير جائز ، فلا جرم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك . وإنما خص آدم بالذكر ، لأنه عليه السلام هو الذى ابتدأت خلقه وجهه على هذه الصورة (٥) .

(٥) يقول موسى بن ميمون فى دلالة الحائرين . ما نصه : « قد ظن الناس : أن الصورة فى اللسان العبرانى تدل على شكل الشيء ونخطيطه . فأدى ذلك الى التجسيم المحض . لقوله : « لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا » (تك ١ : ٢٦) وظنوا : أن الله على صورة انسان - أعنى شكله وتخطيطه - فلزمهم التجسيم المحض ، فاعتقدوه ، ورأوا أنهم ان فارقوا هذا الاعتقاد ، كذبوا النص ، بل يعدمون الاله ان لم يكن جسماً ذا وجه ويد مثلهم فى الشكل والتخطيط . لكنه أكبر وأبهى - بزعمهم - ومادنه أيضاً ليست بدم ولحم . هذه غاية ما رأوا أنه يكون تنزيهاً فى حق الله . أما ما ينبغى أن يقال فى نفى الجسمانية ، وإثبات الوجدانية الحقيقية التى لا حقيقة لها الا بدفع الجسمانية ، فستعرف برهان ذلك كله من هذه المقالة ، وأما التنبيه هنا فى هذا الفصل على تبين معنى الصورة والمثال . فأقول : ان الصورة المشهورة عند الجهور التى هى شكل الشيء وتخطيطه ، اسمها الخصيص بها فى اللسان العبرانى « صفة » قال : « حسن الهيئة ، جميل المنظر » (نك ٣٩ : ٦) « ما هى هيئته » ؟ (١ مل ٢٨ : ١٤) « هيئة أبناء الملوك » (قض ٨ : ١٨) وقيل فى الصورة الصناعية : « وبسويه بالمنحت ويرسمه بالبركار » (أش ٤٤ : ١٣) وهذه اسمية لم تقع على الاله قط - وحاشا وكلا - أما الصورة . فهى تقع على

الثاني : إن المراد منه : لإبطال قول من يقول : إن آدم كان على صورة أخرى . مثل ما يقال : إنه كان عظيم الجثة ، طويل القامة ، بحيث يكون

الصورة الطبيعية — أعنى على المعنى الذى به تجوهر الشيء وصار ما هو؟ وهو حقيقته من حيث هو ذلك الموجود الذى ذلك المعنى فى الانسان هو الذى عنه يكون الادراك الانسانى . ومن أجل هذا الادراك العقلى قبل فبه : « على صورة الله خلقه » (تك ١ : ٢٧) ولذلك قيل : « نصقر خيالهم » (مز ٧٢ : ٦٠) لأن الاحتقار لاحق للنفس التى هى الصورة النوعية ، لا لأشكال الأعضاء وتخطيطها . وكذلك أقول : ان العلة فى سمية الأصنام صوراً : كون المطلوب منها : معناها المظنون به ، لا شكلها وتخطيطها . وكذلك أقول فى منال : « تمنيل بواسيركم » (١ صم ٦ : ٥) لأنه كان المراد منها : معنى دفع أذية البواسير ، لا شكل البواسير . فان لم يكن بد من أن تكون « صور بواسيركم » من أجل الشكل والتخطيط ، فتكون الصورة اسماً مشتركاً ، أو مشككاً . يقال على الصورة النوعية ، وعلى الصورة الصناعية ، وما مثلهما من أشكال الأجسام الطبيعية وتخطيطها : ويكون المراد به فى قوله : « نخلق آدم على صورتنا » : الصورة النوعية ، التى هى الادراك العقلى ، لا الشكل والتخطيط — قد بينا لك الفرق بين الصورة والهيئة ، وبيننا معنى الصورة .

أما المثال : فهو اسم من مثل : وهو أيضاً : شبه فى المعنى . لأن قوله : « شابهت قوق البرية » (زمور ١٠١ : ٧) لبس أنه شابه أجنتها ورشها ، به سابه حزنه حزنها . وكذلك كل شجرة فى جنة الله ، لم يمانلها فى بهجته ، شبه فى معنى الحسن (مناله) : « لهم حمة مثل حمة الحنة » (مز ٥٧ : ٥) « مثله كالأسد الذى يقوم الى الفريسة » (مز ١٦ : ١٢) كلها شبه فى المعنى ، لا فى الشكل والتخطيط . وكذلك قبل : « شبه العرش : شبه عرش » (مز ١ : ٢٧) شبه فى معنى الرفعة والجلالة ، لا فى ترتيبه وغلظه وطول رجليه — كما يظن المساكين — وكذلك شبه الحيوانات . فلما خص الانسان بمعنى فيه غريب جداً — ليس فى شيء من الموجودات من لدن فلك القمر — هو الادراك العقلى ، الذى لا تتصرف فيه حاسة ولا جارحة ولا جانحة ، شبه بادرار الاله الذى ليس هو بألة . وان كان لا شبه فى الحقيقة — لكن على بادى الراى — وقيل فى الانسان : من أجل هذا المعنى — أعنى : من أجل العقل الالئى المتصل به — أنه على صورة الله وشاكلته . لا أن الله — تعالى — جسم . فيكون ذا شكل » (دلالة الحائرين ج ١ ص ٢٦—٢٨) .

رأسه قريبا من السماء . فالنبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى إنسان معين ، وقال : إن الله خلق آدم على صورته ، أى كان شكل آدم ، مثل شكل هذا الإنسان ، من غير تفاوت البتة . فأبطل هذا البيان : وهم من توهم أن آدم - عليه السلام - كان على صورة أخرى ، غير هذه الصورة .

الطريق الثانى : أن يكون الضمير عائداً إلى آدم - عليه السلام - وهذا أولى الوجوه الثلاثة . لأن عود الضمير إلى أقرب المذكورات واجب . وفى هذا الحديث : أقرب الأشياء المذكورة هو آدم عليه السلام . فمكان عود الضمير إليه أولى . ثم على هذا الطريق ففى تأويل الخبر وجوه :

الأول : إنه تعالى لما عظم أمر آدم ، بجعله مسجود الملائكة . ثم إنه أتى بتلك الزلة . فأنه تعالى لم يعاقبه بمثل ما عاقب به غيره ، فإنه نقل : أن الله تعالى أخرجه من الجنة ، وأخرج معه الحية والطاووس ، وغير تعالى خلقهما مع أنه لم يغير خلقه (٦) آدم عليه السلام ، بل تركه على الخلقة الأولى إكراماً له وصوناً له عن عذاب المسخ . فقوله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى خلق آدم على صورته ، معناه خلق آدم على (هذه الصورة) (٧) التى هى الآن باقية من غير وقوع التبديل فيها . والفرق بين هذا الجواب ، والذي قبله : أن المقصود من هذا : بيان أنه عليه السلام كان مصوناً عن المسخ . والجواب الأول ليس فيه ، إلا بيان أن هذه الصورة الموجودة ، ليست إلا هى التى كانت موجودة من قبل ، من غير تعرض لبيان أنه جعل مصوناً عن المسخ ، بسبب زلته ، مع أن غيره صار ممسوخاً .

(٧) صورته : خ

(٦) خلق : خ

الثاني : المراد منه : إبطال قول الدهرية . الذين يقولون : « إن الإنسان لا يتولد إلا بواسطة النطفة ، ودم الطمث فقال عليه السلام : « إن الله خلق آدم على صورته ، ابتداء من غير تقدم نطفة وعلقة ومضغة .

الثالث : إن الإنسان لا يتكون إلا في مدة طويلة ، وزمان مديد ، بواسطة الأفلاك والعناصر . فقال عليه السلام : « إن الله خلق آدم على صورته ، أي من غير هذه الوسائط . والمقصود منه : الرد على الفلاسفة .

الرابع : المقصود منه : بيان أن هذه الصورة الإنسانية إنما حصلت بتخليق الله تعالى ، وإيجاده . لا بتأثير القوة المصورة والمولدة . على ما تذكره الأطباء والفلاسفة . ولهذا قال الله تعالى : « هو الله الخالق البارئ المصور (٨) » ، فهو الخالق ، أي فهو العالم بأحوال الممكنات والمحدثات ، و « البارئ » ، أي هو المحدث للأجسام والذوات بعد عدمها ، و « المصور » ، أي هو الذي يركب تلك الذوات على صورها المخصوصة وتركيباتها المخصوصة .

الخامس : قد تذكر الصورة ويراد بها الصفة . يقال : شرحت له صورة هذه الواقعة ، وذكرت له صورة هذه المسألة . والمراد من الصورة في كل هذه المواضع : الصفة . فقول له عليه السلام : « إن الله خلق آدم على صورته » أي على جملة صفاته وأحواله . وذلك لأن الإنسان حين يحدث ، يسكون في غاية الجهل والعجز . ثم لا يزال يزداد علمه وقدرته ، إلى أن يصل إلى حد السكال . فينبى النبي ﷺ أن آدم خلق من أول الأمر كاملاً

تماما في علمه وقدرته . وقوله : « خلق الله آدم على صورته ، معناه : أنه خلقه في أول الأمر على صفته ، التي كانت حاصلة له في آخر الأمر .

وأیضا : لا يبعد أن يدخل في لفظة الصورة ، كونه سعيداً أو شقياً . كما قال عليه السلام : « السعيد من سعد في بطن أمه ، والشقي من شقي في بطن أمه ، فقوله عليه السلام : « إن الله خلق آدم على صورته ، أي على جميع صفاته من كونه سعيداً أو عارفاً أو تائباً أو مقبولاً من عند الله تعالى .

الطريق الثالث : « أن يكون ذلك الضمير عائداً إلى الله تعالى . وفيه وجوه :

الأول : المراد من الصورة : الصفة - كما بيناه - فيكون المعنى : أن آدم امتاز عن سائر الأشخاص والأجسام بكونه عالماً بالمعقولات ، قادراً على استنباط الحرف والصناعات . وهذه صفات شريفة مناسبة لصفات الله تعالى من بعض الوجوه . فصح قوله عليه السلام : « إن الله خلق آدم على صورته » بناء على هذا التأويل . فإن قيل : المشاركة في صفات الكمال تقتضي المشاركة في الإلهية . قلنا : المشاركة في بعض الوازم البعيدة مع حصول المخالفة في الأمور الكثيرة ، لا تقتضي المساواة في الإلهية . ولهذا المعنى ، قال تعالى : « وله المثل الأعلى » (٩) ، وقال عليه السلام : « تخلقوا بأخلاق الله » ،

الثاني : إنه كما يصح إضافة الصفة إلى الموصوف ، فقد يصح إضافتها إلى الخالق والموجد . فيكون الغرض من هذه الإضافة : الدلالة على أن هذه الصورة ممتازة عن سائر الصور بمزيد الكرامة والجلالة .

الثالث : قال الشيخ الفزالي - رحمه الله - : « ليس الإنسان (١٠) عبارة عن هذه البنية ، بل هو موجود ، ليس بجسم ولا بجسماني ، ولا تعلق له بهذا البدن ، إلا على سبيل التدبير أو التصرف ، فقوله عليه السلام : « إن الله خلق آدم على صورته » أي أن نسبة ذات آدم عليه السلام إلى هذا البدن ، كنسبة البارئ تعالى إلى العالم ، من حيث إن كل واحد منهما ، غير حال في هذا الجسم ، وإن كان مؤثراً فيه بالتصرف والتدبير . والله أعلم .

الخبر الثاني : ما رواه ابن خزيمة في كتابه الذي سماه بـ « التوحيد » بإسناده عن ابن عمر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تقبحوا الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن »

واعلم : أن ابن خزيمة ضعف هذه الرواية ، ويقول : إن صحت هذه الرواية ، فلها تأويلان :

الأول : أن يكون المراد من الصورة : الصفة - على ما بيناه -

الثاني : أن يكون المراد من هذه الإضافة : بيان شرف هذه الصورة كما في قوله : « بيت الله ، وناقة الله » .

الخبر الثالث : ما روى صاحب « شرح السنة » - رحمه الله - في كتابه ، في باب « آخر من يخرج من النار » عن أبي هريرة (رضي الله عنه (١١)) في حديث طويل ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون . فيقول : أنا ربكم . فيقولون : نعموذ بالله . هذا مكاننا ، حتى يأتينا ربنا ، فإن بيننا وبينه علامة . فإذا أتاانا ربنا

عرفناه . فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون . فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه ،

واعلم : أن الكلام على هذا الحديث من وجهين :

الأول : أن تكون « في » بمعنى الباء . والتقدير : فيأتيهم الله بصورة غير الصورة التي عرفوه بها في الدنيا . وذلك بأن يرهبهم ملكا من الملائكة . ونظيره : قول ابن عباس رضى الله عنه في قوله تعالى : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » (١٢) ، أى بظلل من الغمام . ثم إن تلك الصورة تقول : أنا ربكم . وكأن ذلك آخر محنة تقع للمكلفين في دار الآخرة ، وتكون الفائدة فيه : تثبيت المؤمنين على القول الصالح : وإنما يقال : الدنيا دار محنة ، والآخرة دار الجزاء : على الأعم والأغلب ، وإن كان يقع في كل واحدة منهما ما يقع في الأخرى نادرا .

أما قوله عليه السلام : « إنهم يقولون : إذا جاء ربنا عرفناه » فيحمل على أن يكون المراد : فإذا جاء إحسان ربنا ، عرفناه . وقوله : « فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفونها » فعناه : يأتيهم بالصورة التي يعرفون أنها من أمارات الإحسان .

وأما قوله عليه السلام : « (فيقولون) (١٣) : بيننا وبينه علامة » فيحمل أن تكون تلك العلامة : كونه تعالى في حقيقته مخالفا للجواهر والأعراض . فإذا رأوا تلك الحقيقة عرفوا أنه هو الله .

التأويل الثاني : أن يكون المراد من الصورة : الصفة . والمعنى : أن يظهر لهم من بطش الله وشدة بأسه ، ما لم يألوه ولم يعتادوه من معاملة

الله تعالى معهم . ثم تأتيتهم بعد ذلك أنواع الرحمة والكرامة ، على الوجه الذى اعتادوه وألفوه .

الخبر الرابع : ما روى عنه عليه السلام أنه قال : « رأيت ربى فى أحسن صورة ، واعلم : أن قوله (عليه السلام) (١٤) : « فى أحسن صورة ، يحتمل أن يكون من صفات الرأى . كما يقال : دخلت على الأمير على (١٥) أحسن هيئة . أى : وأنا كنت على أحسن هيئة ، ويحتمل أن يكون ذلك من صفات المرئى .

فإن كان ذلك من صفات الرأى . كان قوله : « على أحسن صورة ، عائدا إلى (الرسول) (١٦) ﷺ وفيه وجهان :

الأول (١٧) : أن يكون المراد من الصورة : نفس الصورة . فيكون المعنى : أن الله تعالى زين خلقه وجعل صورته عندما رأى ربه . وذلك يكون سبباً لمزيد الإكرام فى حق الرسول عليه السلام .

الثانى : أن يكون المراد من الصورة : الصفة . ويكون المعنى : الإخبار عن حسن حاله عند الله ، وأنه أنعم عليه بوجوه عظيمة من الإنعام (كما كان (١٨)) وذلك لأن الرأى قد يكون بحيث يتلقاه المرئى بالإكرام والتعظيم ، وقد يكون بخلافه . فعرفنا الرسول عليه السلام أن (حالته كانت (١٩)) من القسم الأول .

(١٤) عليه السلام : خ

(١٦) رسول الله : خ

(١٥) فى : ط

(١٨) كما كان : سقط خ

(١٧) أحدهما : خ

(١٩) حاله كان : ط

وأما إن كان عائداً إلى المرئي . ففيه وجوه :

الأول : أن يكون عليه السلام رأى ربه في المنام ، في صورة مخصوصة وذلك جائز ، لأن الرؤيا من تصرفات الخيال ، ولا ينفك ذلك عن صورة متخيلة .

الثاني : أن يكون المراد من الصورة : الصفة . وذلك لأنه تعالى (٢٠) لما خص بمزيد الإكرام والإنعام في الوقت الذي رآه . صح أن يقال — في العرف المعتاد — : لني رأيت على أحسن صورة ، وأجل هيئة .

الثالث : لعله عليه السلام لما رآه ، اطلع على نوع من صفات الجلال والعزة والعظمة ، ما كان مطلعاً عليه قبل ذلك .

الخبر الخامس : ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « رأيت ربي في أحسن صورة » قال : « فوضع يده بين كتفي ، فوجدت بردها بين ثديي فعملت ما بين السماء والأرض ، ثم قال . يا محمد . قلت : لبيك وسعديك . قال : فيم يختصم الملائة الأعلى ؟ فقلت : يا رب لا (أدرى . فقال (٢١)) في أداء الكفارات ، والمشى على الأقدام إلى (٢٢) الجماعات ، وإسباغ الوضوء (على الكراهات (٢٣)) وانتظار الصلاة بعد الصلاة »

واعلم : أن قوله : « رأيت ربي في أحسن صورة » قد تقدم تأويله .

وأما قوله : « وضع يده بين كتفي » ففيه وجهان :

(٢٠) تعالى : خ يقال : ط

(٢١) لا يدرون ما : خ (٢٢) الى : ط ، في : خ

(٢٣) في السبرات : خ

الأول : المراد منه : المبالغة في الاهتمام بحاله ، والاعتناء بشأنه .
يقال : لفلان يد في هذه الصنعة ، أى هو كامل فيها .

الثاني : أن يكون المراد من اليد : النعمة : يقال . لفلان يد بيضاء ،
ويقال : إن أيادى فلان كثيرة .

وأما قوله : د بين كنى ، فإن صح . فالمراد منه : أنه أوصل إلى قلبه
من أنواع اللطف والرحمة . وقد روى د بين كنى ، والمراد (منه : مثل) (٢٤)
ما يقال : أنا في كنف فلا ، وفي ظل إنعامه .

وأما قوله : د فوجدت بردها ، فيحتمل أن المعنى : برد النعمة وروحها
وراحتها . من قولهم : عيش بارد ، إذا كان رغداً (ويحتمل كمال المعارف) (٢٥)
والذى يدل على أن المراد منه : كمال المعارف : قوله عليه السلام فى آخر
الحديث : د فعلت ما بين المشرق والمغرب ، وما ذلك إلا لأن الله تعالى
أنار قلبه وشرح صدره بالمعارف . وفى بعض الروايات : د فوجدت برد
أنامله ، وسيأتى الكلام فيه إن شاء الله تعالى .

الفصل الثاني

في

لفظ الشخص

هذا اللفظ ما ورد في القرآن . لكنه روى أن النبي ﷺ قال :
« لا شخص أحب للغيرة من الله ، (عز وجل (١)) وفي هذا الخبر لفظان
يجب تأويلهما :

الأول : الشخص . والمراد منه : الذات المعينة والحقيقة المخصوصة .
لأن الجسم الذي له شخص وحجمية ، يلزم أن يكون واحدا . فإطلاق
اسم الشخصية على الوحدة لإطلاق اسم أحد المتلازمين على الآخر .
والثاني : لفظ الغيرة . ومعناه : الزجر . لأن الغيرة حالة نفسانية
مقتضية للزجر والمنع ، فكفى بالسبب عن المسبب وهنا (والله أعلم) (٢)

الفصل الثالث

في

لفظ النفس

احتجوا على إطلاق هذا اللفظ بالقرآن والأخبار .

أما القرآن : فقوله تعالى في حق موسى عليه السلام « واصطفتك لنفسي » (١) وقال حاكيا عن عيسى عليه السلام « تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك » (٢) ، وقال في صفة أهل الثواب : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » (٣) ، وقال في تخويف الغصاة : « ويحذركم الله نفسه » (٤) ،

وأما الأخبار . فكثيرة :

الخبر الأول : ما روى أبو صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تعالى : أنا مع عبدى حين يذكرني . فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، الخبر الثاني : قوله عليه السلام : « سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضاؤه نفسه ، وزنه عرشه »

الخبر الثالث : عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « لما قضى الله الخلق ، كتب في كتابه على نفسه فهو عنده » (٥) : إن رحمتي سبقت غضبي ،

(١) طه ٤١ (٢) المائدة ١١٦
(٣) الأنعام ٥٤ (٤) آل عمران ٣٠
(٥) فهو عنده : خ .

واعلم : أن النفس جاء في اللغة على وجوه :

أحدها : البدن . قال الله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت (٦) » ، ويقول القائل : كيف أنت في نفسك ؟ يريد : كيف أنت في بدنك ؟

وثانيها : الدم . يقال : هذا حيوان له نفس سائلة . أى : دم سائل . ويقال للمرأة عند الولادة : إنها نفست بخروج الدم منها عقيب الولادة . وثالثها : الروح . قال الله تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها (٧) » .

ورابعها : العقل . قال تعالى : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » (٨) وذلك لأن الأحوال بأسرها باقية حالة النوم ، إلا العقل . فإنه هو الذى يختلف الحال فيه عند النوم واليقظة .

وخامسها : ذات الشئ . وعينه . قال الله تعالى : « وما يخدعون إلا أنفسهم (٩) » - « فاقتلوا أنفسكم » (١٠) - « ولكن ظلموا أنفسهم » (١١) إذا عرفت هذا فنقول : لفظ النفس في حق الله تعالى ، ليس إلا الذات والحقيقة . فقوله : « واصطنعتك لنفسى (١٢) » ، كالتأكيد الدال على مزيد المبالغة . فإن لإنسان إذا قال : جعلت هذه الدار لنفسى ، وعمرتها لنفسى ، فهم منه المبالغة . وقوله تعالى : « تعلم ما فى نفسى » ، ولا أعلم ما فى نفسك (١٣) ، المراد : تعلم معلومى ، ولا أعلم معلومك . وكذا القول في بقية الآيات .

وأما قوله عليه السلام - حكاية عن رب العزة - : « فإن ذكرنى في نفسه ، ذكرته فى نفسى » فالمراد : أنه إن ذكرنى بحيث لا يطلع بيره على ذلك ،

(٦) آل عمران ١٨٥	(٧) الزمر ٤٢
(٨) الانعام ٦٠ ويعلم . . . الخ من خ	(٩) البقرة ٩
(١٠) البقرة ٥٤	(١١) هود ١٠١
(١٢) طه ٤١	(١٣) المائدة ١١٦

ذكرته بإنعامي وإحساني ، من غير أن يطلع عليه أحد من عبیدی . لأن
الذكر في النفس ، عبارة عن الكلام الخفي ، والذكر السكامن في النفس .
وذلك على الله تعالى مجال .

وأما قوله : « سبحان الله ، زنه . عرسته ، ورضاء نفسه » فالمراد :
ما يرتضيه الله تعالى لنفسه ولذاته . أي تسبيحا يليق به . وأما قوله ﷻ :
« كتب كتابا على نفسه » فالمراد به : كتب كتابا ، وأوجب العمل به .
والمراد من قوله « على نفسه » : التأكيد والمبالغة في الوجوب وال لزوم .
فثبت : أن المراد بالنفس في هذه المواضع : هو الذات . وأن الغرض من
ذكر هذا اللفظ : المبالغة والتأكيد . وبالله التوفيق .

الفصل الرابع

في

لفظ الصمد

قال الله تعالى : « الله . الصمد » ذكر بعضهم في تفسير الصمد ، :
أنه الجسم الذي لا جوف له . ومنه قول من يقول لسداد القارورة :
الصمد . وشيء مصمد أى صلب ، ليس فيه رخاوة . قال ابن قتيبة : « وعلى
هذا التفسير تكون (١) الدال مبدلة من التاء ، وقال بعضهم : « الصمد (٢) :
الأمس ، من الحجر الذي لا يقبل الغبار ، ولا يدخل فيه شيء ، ولا يخرج
منه شيء .

واحتج قوم من جهال المشبهة بهذه الآية في إثبات أنه تعالى جسم .
وهذا باطل . لآنا بينا : أن كونه أحداً ، يناقض كونه جسماً ، فقدمة هذه الآية
دالة على أنه لا يمكن أن يكون المراد من الصمد : هذا المعنى ، ولأن الصمد
بهذا التفسير ، صفة الأجسام الغلظلة . وتعالى الله عن ذلك .

والجواب عنه من وجهين :

الأول : إن الصمد فعل بمعنى مقول ، من صمد إليه أى قصد .
والمعنى : أنه المصمود إليه في الحوائج . قال الشاعر :

ألا بكر التاعى عيسى بنى أسد

بعمر و(٣) بن مسعود . وبالسيد الصمد

(١) ريادة

(٢) هو : حج

(٣) نعم وابن مسعود : ط ، بعمر و بن مسعود : حج

وقال آخر :

علوته بحسامي ، ثم قلت له :

خذها حذيف ، فأنت السيد الصمد

والذي يدل على صحة هذا الوجه : ما روى ابن عباس — رضى الله عنه — أنه لما نزلت هذه (الآية) (٤) قالوا : ما الصمد ؟ فقال عليه السلام : السيد الذى يصمد إليه فى الخواارج ، قال أبو الليث صمدت صمد هذا الأمر ، أى قصدت قصده .

الوجه الثانى فى الجواب : إنا سلمنا أن الصمد فى أصل اللغة : المصمت الذى لا يدخل فيه شئ غيره . إلا أنا نقول : قد دللنا على أنه لا يمكن ثبوت هذا المعنى فى حق الله تعالى ، فوجب حمل هذا اللفظ على مجازه . وذلك لأن الجسم الذى يكون هذا شأنه ، يكون مبرأ عن الانفصال والتباين والتأثر عن الغير . وهو — سبحانه وتعالى — واجب الوجود لذاته . وذلك يقتضى أن يكون تعالى غير قابل للزيادة والنقصان . فكان المراد من الصمد فى حقه تعالى : هذا المعنى (وبالله التوفيق (٥))

(٤) الآية : سقط الخ

(٥) وبالله التوفيق : سقط خ

الفصل الخامس

في

لفظ اللقاء

أما القرآن . فقد قال الله تعالى : الذين يظنون : أنهم ملاقوا ربهم (١) ، وقال : دفن كان يرجو لقاء (٢) ربه ، وقال : بل هم ببقاء ربهم كافرون (٣) ، وأما الحديث فقد قال عليه السلام : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، قالوا : واللقاء من صفات الأجسام . يقال : التقى الجيشان . إذا قرب أحدهما من الآخر في المكان .

واعلم : أنه لما ثبت بالدليل أنه تعالى ليس بجسم ، وجب حمل هذا اللفظ على أحد وجهين :

أحدهما : أن من لقى إنسانا ، فقد (٤) أدركه وأبصره . فكان المراد من اللقاء : هو الرؤية . إطلاقا لاسم السبب على المسبب .

والثاني : إن الرجل إذا حضر عند ملك ، ولقيه ، دخل هناك تحت حكمه وقهره ، دخولا للاحياة له في دفعه . فكان ذلك اللقاء سببا لظهور قدرة الملك عليه . على هذا الوجه . فلما ظهرت قدرته وقوته وقهره

(٢) الكهف ١٧٠

(٤) فقد : زيادة

(١) البقرة ٤٦

(٣) السجدة ١٠

وشدة بأسه فى ذلك اليوم ، عبر عن تلك الحالة باللقاء . والذى يدل على
حمية قولنا : إن أحداً لا يقول بأن الخلائق تتلاقى ذواتهم فى ذات
الله تعالى على سبيل المماسه . ولما بطل حمل اللقاء على المماسه والمجاورة ،
لم يبق إلا ما ذكرناه (وبالله التوفيق) (٥)

(٥) وبالله التوفيق : سقط خ

الفصل السادس

في

لفظ النور

قال الله تعالى : «الله نور السموات والأرض . مثل نوره : كشكاة» (١) وروى ابن خزيمة في كتابه عن طاووس عن ابن عباس رضى الله عنه : أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه : «اللهم لك الحمد . أنت نور السموات والأرض ، ومن فيهن . فلك الحمد . أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، واعلم : أنه لا يصح القول بأنه تعالى هو هذا النور المحسوس بالبصر . ويدل عليه وجوه : الأول : إنه تعالى لم يقل إنه نور ، بل قال : إنه نور السموات والأرض ، ولو كان نوراً في ذاته ، لم يكن لهذه الإضافة فائدة . الثاني : لو كان كونه تعالى نور السموات والأرض ، بمعنى : الضوء المحسوس ، لوجب أن لا يكون في شيء من السموات والأرض ، ظلمة البتة . لأنه تعالى دائم لا يزال ولا يزول . الثالث : لو كان تعالى نوراً بمعنى الضوء ، لوجب أن يكون ذلك الضوء مغنياً عن ضوء الشمس والقمر والنار . والحس دال على خلاف ذلك» (٢) الرابع : إنه تعالى أزال هذه الشبهة ، بقوله تعالى : «مثل نوره ، فقد أضاف النور إلى نفسه ، ولو كان تعالى نفس النور وذاته ، لا تمتنع هذه الإضافة . لأن إضافة الشيء إلى نفسه ممتنعة . وكذلك قوله تعالى : «يهدى الله لنوره من يشاء» (٣) الخامس : إنه تعالى قال : «وجعل الظلمات والنور» (٤) فتبين بهذا : أنه تعالى خالق الأنوار .

(٢) ذلك : سقط خ

(٤) الانعام ١

(م ٩ - أساس التقديس)

(١) النور ٣٥

(٣) النور ٣٥

السادس : إن النور يزول بالظلمة : ولو كان تعالى عين هذا النور المحسوس
لكان قابلاً للعدم . وذلك يقدح في كونه قديماً واجب الوجود . السابع :
إن الأجسام كلها متماثلة — على ما سبق تقريره — ثم إنها بعد تساويها في
الماهية ، تراها مختلفة في النور والظلمة ، فوجب أن يكون الضوء عرضاً
قائماً بالأجسام والعرض يمتنع أن يكون إلهياً .

فثبت بهذه الوجوه : أنه لا يمكن حمل النور على ما ذكرناه . بل معناه : أنه
هادى أهل السموات والأرض ، أو معناه : منور السموات والأرض على
الوجه الحسن ، والتدبير الأكمل . كما يقال : فلان نور هذه البلدة . إذا
كان سبباً لصلاحها . وقد قرأ بعضهم : «لله نور السموات والأرض»
(وبالله التوفيق) (هـ)

الفصل السابع

في

الحجاب

قال تعالى : « كلا . لمنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » (١) ، قالوا : والحجاب لا يعقل إلا في الأجسام .

وتمسكوا أيضاً : بأخبار كثيرة :

الخبر الأول : ما روى صاحب شرح السنة رحمه الله - في باب الرد على الجهمية ، قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات . فقال : « إن الله تعالى لا ينام ، ولا ينبغي أن ينام ، ولكنه يخفض القسط ، ويرفعه . يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه نور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ، ما انتهى إليه بصره (من) (٢) نور ، فقال المصنف : هذا حديث أقرب به الشيخان . وقوله : « يخفض القسط ويرفعه » أراد : أنه يراعى العدل في أعمال عباده . كما قال (تعالى) (٣) : « وما ننزله إلا بقدر معلوم »

الخبر الثاني : ما يروى في الكتب المشهورة عن النبي ﷺ : « إن الله (تعالى) (٤) سبعين حجاباً من نور ، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره »

الخبر الثالث : روى في تفسير قوله تعالى : « للذين أحسنوا :

(٢) من : سقط خ

(٤) تعالى : ط

(١) المطففين ١٥

(٣) تالي : من ط

الحسنى ، وزيادة (٥) ، . إنه تعالى يرفع الحجاب ، فينظرون إلى وجهه تعالى .

واعلم : أن الكلام في الآية هو : أن أصحابنا - رحمهم الله - قالوا : إنه يجوز أن يقال : إنه تعالى محتجب عن الخلق ، ولا يجوز أن يقال : إنه محجوب عنهم . لأن لفظة الاحتجاب مشعرة بالقوة والقدرة ، والحجاب (٦) مشعر بالعجز والذلة . يقال : احتجب السلطان عن عبيده . ويقال : فلان حجب عن الدخول على السلطان . وحقيقة الحجاب بالنسبة إلى الله تعالى : محال . لأنه عبارة عن الجسم المتوسط بين جسمين آخرين . بل هو محمول عندنا : على أن لا يخلق الله تعالى في العين رؤية متعلقة به . وعند من ينسكح الرؤية على أنه تعالى يمنع وصول آثار إحسانه وفضله من لإنسان .

وأما الخبر الأول : وهو قوله عليه السلام : « حجابي : النور » ، فاعلم : أن كل شيء يفرض مؤثراً في شيء آخر ، فكل كمال يحصل للآثر ، فهو مستفاد من المؤثر . ولا شك أن ثبوت ذلك الكمال لذلك المؤثر ، أولى من ثبوته في ذلك الآثر ، وأقوى وأكمل . ولا شك أن معطى الكمالات بأسرها هو الحق تعالى (فكان كل (٧)) كمالات الممكنات بالنسبة إلى كمال الله تعالى كالعدم . ولا شك أن جملة الممكنات ليست إلا عالم الأجسام وعالم الأرواح . ولا شك أن جملة كمالات عالم العناصر بالنسبة إلى كمالات الأفلاك كالعدم . ثم كمال حال الربع المسكون بالنسبة إلى كمال العناصر كالعدم . ثم الشخص المعين بالنسبة إلى كمالات الربع المسكون كالعدم .

(٦) الحجب : ط

(٥) يونس ٢٦

(٧) وكل : ط

فيظهر من هذا : أن كمال الإنسان المعين بالنسبة إلى كمال الله تعالى : أولى بأن يقال : إنه كالأعدم . ولا شك أن روح الإنسان وحده ، لا تطيق قبول ذلك السكال ، ولا يمكنه مطالعته . بل الأرواح البشرية تضمحل في أدنى مرتبة من مراتب تلك السكالات . فهذا هو المراد بقوله عليه السلام : « لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء ، أدركه بصره » ،

الفصل الثامن

في

القرب

قال الله تعالى : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » (١) ، وقال عليه السلام (حكاية عن الله) (٢) « من تقرب إلى شعراً تقربت إليه ذراعاً ، ومن تقرب إلى ذراعاً ، تقربت إليه باعاً ، ومن أتاني يمشي ، أتيته هرولة » وروى الأستاذ ابن فورك - رحمه الله - في كتاب « المتشابهات » عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يدنو المؤمن من ربه (يوم القيامة) (٣) حتى يضع الجبار كتفه عليه ، فيقر بذنوبه ، فيقول : اعرف - ثلاث مرات - فيقول تعالى : إني سترتها عليك في الدنيا . وإني أغفرها لك . فيعطى صحيفة حسناته . وأما الكفار والمنافقون ، فينادى بهم على رؤوس الأشهاد : « هؤلاء الذين كذبوا على ربهم » (٤) »

واعلم : أن المراد من قربه ومن دنوه : قرب رحمته ودنوها من العبد . وأما قوله : « فيضع الجبار كتفه عليه » فهو أيضاً مستفاد من قرب الرحمة . يقال : أنا في كنف فلان ، أي في إناعامه . وأما ما رواه بعضهم « فيضع الجبار كتفه » فاتفقوا على أنه تصحيف ، والرواية ضبطوها بالنون ثم إن صحت تلك الرواية فهي محمولة على التقريب والغفران (والله أعلم) (٥)

(١) ق ١٦ (٣) يوم القيامة : سقط خ

(٢) حكاية عن الله : سقط خ (٤) هود ١٨

(٥) والله أعلم : من ط

الفصل التاسع

في

المجىء والنزول

احتجوا بقوله تعالى : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » (١) ، وقوله تعالى : « أو يأتي ربك » (٢) ، وقوله : « وجاء ربك » (٣) ، واحتجوا بالأخبار ، فمنها : ما رواه صاحب شرح السنة - رحمه الله - في باب « إحياء آخر الليل وهضله » (عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما) (٤)

عن النبي ﷺ أنه قال : « ما اجتمع قوم بذكرون الله ، إلا حفنهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » ثم قال : « إن الله تعالى بهمّل حتى إذا كان ثلث الليل الأخير ، ينزل إلى هذه السماء الدنيا فينادي هل من مذنب يتوب ؟ هل من مستغفر ؟ هل من داع ؟ هل من سائل ؟ إلى الفجر » قال صاحب (هذا) (٦) الكتاب : هذا حديث متفق على صحته .

وفي هذا الباب أيضا (عن) (٧) أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ، حين يبق ثلث الليل الأخير . فيقول من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ »

(١) البقرة ٢١٠ (٢) الأنعام ١٥٨

(٣) الفجر (٤) عن أبي هريرة .. عنهما : سقط خ

(٥) النبي : ط ، رسول الله : خ (٦) هذا : من ط .

(٧) عن : ط ، من حديث : خ

ثم قال : هذا حديث متفق على صحته ، وروى أيضا عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : الحديث المذكور ، وزاد فيه : « ثم يبسط يديه (تبارك) (٨) وتعالى (فيقول) (٩) : من يقرض غير عديم ولا ظلوم ، ؟ وروى صاحب هذا الكتاب في باب « ليلة النصف من شعبان » عن عروة عن عائشة رضي الله عنهما - قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ، فخرجت : فإذا هو بالبقيع . فقال : « أكنت تخافين أن يحيف الله ورسوله ؟ فقلت : يا رسول الله ظننت أنك أتيت بعض نسائك . فقال : إن الله ينزل ليله النصف من شعبان ، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم (بنى) كلب ، وبخاري ضعف هذا الحديث .

واعلم : أن الكلام في قوله : « هل ينظرون إلا أن يأنيهم الله في ظل من الغمام » من نوعين (١٠) :

الأول : أن نبين بالدلائل القاهرة أنه سبحانه وتعالى منزّه عن (المجيء والذهاب) (١١)

والثاني : أن نذكر التأويلات في هذه الآيات .

أما النوع الأول : فنقول : الذي يدل على امتناع المجيء والذهاب على الله (سبحانه و) (١٢) تعالى وجوه :

الأول : ما ثبت في علم الأصول : أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب ، فإنه لا يتفك عن المحدث . وما لا يتفك عن المحدث ، فهو محدث . فيلزم : أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب ، وجب : أن يكون محدثا مخلوقا . والإله القديم يستحيل أن يكون كذلك .

(٨) سبحانه : خ

(٩) فيقول : من ط

(١٠) وجهين : ص

(١١) الذهاب والمجيء : خ (١٢) سبحانه و : خ

والثاني : إن كل ما يصح عليه الانتقال والحجى ، من مكان إلى مكان ، فهو محدود متناه فيكون مختصا بمقدار معين ، مع أنه كان يجوز في العقل وقوعه على مقدار أزيد منه أو أنقص منه . وحينئذ يكون اختصاصه بذلك المقدار ، لأجل تخصيص مخصص . وترجيح مرجح ، وذلك على الإله القديم محال .

والثالث : وهو أن لو جوزنا . فيما يصح عليه الحجى . والذهاب ، أن يكون إلهها قديما أزليا ، فحينئذ لا يمكننا أن نحكم بنفى إلهية الشمس والقمر .

الرابع : إنه تعالى حكى عن الخليل عليه السلام : أنه طعن في إلهية الكواكب والقمر والشمس ، بقوله . « لا أحب الآفلين » (١٣) ولا معنى للأقول إلا الغيبة والحضور . فمن جوز الغيبة والحضور على الإله تعالى ، فقد طعن في دليل الخليل (وكذب الله في تصديق الخليل) (١٤) في ذلك . حيث قال : « وملك حجتنا آتيناهم إبراهيم على قومه »

وأما النوع الثاني (وهو) في بيان التأويلات المذكورة في هذه الآية : فنقول :

فيه وجوه (١٥) :

الأول : المراد : هل ينظرون إلا أن تأتيتهم آيات الله . فجعل مجيء آيات الله مجيئا له . على التفخيم لشأن الآيات . كما يقال : جاء الملك . إذا جاء جيش عظيم من جهته . والذي يدل على صحة هذا التأويل : أنه تعالى قال في الآية المتقدمة : « فإن زلتم من بعد ما جاءكم اليينات ، فاعلموا : أن الله عزيز حكيم » (١٦) فذكر ذلك في معرض الزجر والتهديد . ثم إنه تعالى أكد

(١٤) وكذب ... الخليل : سقط خ

(١٦) البقرة ٢٠٩

(١٣) الأنعام ٧٦

(١٥) وجهان : ط

ذلك بقوله : « هل ينظرون ، إلا أن يأتيهم الله » ومن المعلوم : أن بتقدير أن يصح المجيء والذهاب على الله تعالى ، لم يكن مجرد حضوره سبباً للزجر والتهديد ، لأنه عند الحضور كما يزجر قوماً ويأقبيهم ، فقد يشب قوماً ويكرهمهم . فثبت أن مجرد الحضور ، لا يكون سبباً للزجر والتهديد والوعيد ، ولما كان المقصود من الآية ، إنما هو التهديد ، وجب أن يضم في الآية مجيء الهيبة والقهر والتهديد . ومقاً أضربنا ذلك ، زالت الشبهة بالكلية . وهذا تأويل حسن موافق لنظم الآية .

الوجه الثاني : أن يكون المراد : هل ينظرون ، إلا أن يأتيهم أمر الله . ومدار الكلام في هذا الباب : أنه تعالى إذا أضاف فعلاً إلى شيء ، فإن كان ظاهر تلك الإضافة ممتنعاً ، فالواجب صرف ذلك الظاهر إلى التأويل . كما قال العلماء في قوله تعالى : « لمن الذين يحادون الله » (١٧) والمراد : يحادون أوليائه . وقد قال تعالى : « واسئل القرية (١٨) » والمراد : أهل القرية . فكذا قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا » (١٩) ، أي يا أيها الذين آمنوا . وليس فيه إلا حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه ، وذلك مجاز مشهور . يقال : ضرب الأمير فلاناً ، وأعطاه . والمراد : أنه أمر بذلك .

والذي يؤكد صحة هذا التأويل وجهان :

الأول : أن قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا » وقوله : « وجاء ربك » (٢٠) ، إخبار عن حال القيامة . ثم إن الله تعالى ذكر هذه الواقعة بعينها في سورة النمل

(١٧) المجادلة ٢٠

(١٩) يوسف ٨٢

(٢٠) الفجر ٢٢

(١٩) البقرة ٢١٠

فقال : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك (٢١) »
 فيفسار هذا مفسرا لذلك المتشابه ، لأن كل هذه الآيات لماوردت في واقعة
 واحدة ، لم يبعد حمل بعضها على البعض .

والثاني : إنه تعالى قال بعد هذه الآية : « وقضى الأمر (٢٢) » ، ولاشك
 أن الألف واللام المجهود السابق . وهذا يستدعي أن يكون قد جرى
 ذكره من قبل ذلك ، حتى تكون الألف واللام إشارة إليه . وما ذك
 إلا الذي أضمرناه من أن قوله « يأتيهم الله » أي يأتيهم (٢٣) أمر الله .

فإن قيل : أمر الله - عندكم - : صفة قديمة . فالإتيان عليها : محال . قلنا :
 الأمر في اللغة له معنيان : أحدهما : الفعل . والثاني : الطريق . قال تعالى :
 « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر (٢٤) » ، وقال : « وما أمر فرعون
 برشيده (٢٥) » ، في كل الأمر في هذه الآية على الفعل وهو ما يليق بتلك
 المواقف من الأحوال ، وإظهار الآيات المهيبة ، وهذا هو التأويل (الأول) (٢٦)
 الذي ذكرناه .

وأما إن حملنا الأمر ، على الأمر الذي هو ضد النهي . ففيه وجهان :
الأول : أن يكون التقدير هو أن مناديا ينادى يوم القيامة : ألا إن
 الله يأمركم بكذا وبكذا . فيكون إتيان الأمر : هو وصول ذلك النداء ،
 إليهم . وقوله : « في ظلل من الغمام ، أي مع ظلل . والتقدير : أن سماع
 ذلك النداء ووصول تلك الظلل : يكون (٢٧) في زمان واحد .

الثاني : أن يكون المراد من إتيان أمر الله تعالى في ظلل : حصول

(٢١) ملنحل ٣٣	(٢٢) البقرة ٢٠٩
(٢٣) يأتي : ط	(٢٤) القمر ٥٠
(٢٥) هود ٩٧	(٢٦) الأول : سقط خ
(٢٧) يكون : زيادة	

أصوات مقطعة مخصوصة في تلك الغمامات ، دالة على حكم الله تعالى على كل واحد ، مما يليق به من السعادة والشقاوة . أو يكون المراد : أنه تعالى خلق نقوشاً منظومة في ظلال من الغمام ، وتسكون النقوش جليلة ظاهرة ، لأجل شدة بياض ذلك الغمام ، وسواد تلك الكتابة . وهي دالة على أحوال أهل الموقف في الوعد والوعيد وغيرهما . وتسكون فائدة الظل من الغمام : أنه تعالى جعلها أمانة لما يريد لإزالته بالقوم فيعلمون : إن الأمر قد قرب وحضر .

الوجه الثالث في التأويل : أن يكون المعنى : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعد من العذاب والحساب ؟ فحذف ما يأتي (به) (٢٨) تعويلاً على الفهم . إذ لو ذكر ذلك العذاب الذي يأتيهم به ، لكان ذلك أسهل عليهم في باب الوعيد .

وأما إذا لم يذكره كان أبلغ في التهويل ، لأنه حينئذ تنقسم خواطرهم ، وتذهب أفكارهم في كل وجه . ومثله قوله تعالى : « فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا » وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم ، وأيدي المؤمنين » (٢٩) والمعنى : وأتاهم الله بخذلانه من حيث لم يحتسبوا . وكذا قوله تعالى : « فأتى الله بنيانهم من القواعد » (٣٠) ويقال في الكلام المتعارف المشهور ، إذا سمع بولاية رجل : جاءنا فلان بجوره وظلمه . ولا شك أنه مجاز مشهور .

الوجه الرابع في التأويل : أن تكون « في » بمعنى الباء - وحرف الجر يقام بعضها مقام البعض - وتقديره : هل ينظرون أن

(٢٨) به : من خ

(٢٩) الحشر ٢

(٣٠) النحل ٢٦

يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة . والمراد : أنه يأتيهم الله بالغمام مع الملائكة .

الوجه الخامس : - وهو أقوى من كل ما سبق - إنما ذكرنا في التفسير الكبير ، أن قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا . ادخلوا في السلم كافة ، (٣١) إنما نزل في حق اليهود . وعلى هذا التقدير يكون قوله تعالى : فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات ، (٣٢) خطاباً مع اليهود ، فيكون قوله : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ؟ ، (٣٣) حكاية عنهم . والمعنى : أنهم لا يقبلون دينكم ، إلا لأنهم ينتظرون أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام . وما يدل على أن المراد ذلك : أنهم فعلوا ذلك مع موسى عليه السلام ، فقالوا : لن نؤمن لك ، حتى نرى الله جهرة ، (٣٤) وإذا ثبت أن هذه الآية حكاية عن حال اليهود واعتقادهم ، لم يمتنع لإجراء الآية على ظاهرها . وذلك لأن اليهود كانوا على دين التشبيه . وكانوا يجوزون المجيء والذهاب على الله تعالى ، وكانوا يقولون : إنه تعالى تجلى لموسى عليه السلام على الطور في ظلل من الغمام ، فظنوا مثل ذلك في زمان محمد عليه السلام . ومعلوم : أن مذهبهم ليس بحجة .

وبالجملة : فإنه يدل على أن قوما ينتظرون أن يأتيهم الله . وليس في الآية دلالة على أن أولئك الأقوام محقون أو مبطلون . وعلى هذا التقدير زال الإشكال . وهذا هو الجواب المعتمد عن تمسكهم بالآية المذكورة في سورة الأنعام (٣٥)

(٣٢) البقرة ٢٠٩

(٣٤) البقرة ٥٥

(٣١) البقرة ٢٠٨

(٣٣) البقرة ٢١٠

(٣٥) الأنعام ١٥٨

فإن قيل : هذا التأويل كيف يتعلق بهذا الآية ، لأنه قال في آخرها :
« وإلى الله ترجع الأمور » (٣٦) ؟ قلنا : إنه تعالى حكى عنادهم وتوقيفهم
قبول الدين الحق ، على الشرط الفاسد . ثم ذكر بعده ما يجرى مجرى
التهديد لهم ، فقال : « وإلى الله ترجع الأمور »

وأما قوله تعالى : « وجاء ربك ، والمملك صففا صففا » (٣٧) فالكلام فيه
أيضا على وجهين :

الأول : أن تحمل هذه الآية على باب حذف المضاف . وعلى هذا
الوجه ، أفنى الآية وجوه :

أحدها : وجاء أمر ربك بالمحاسبة والمجازاة .

وثانيها : وجاء قهر ربك . كما يقال : جاءنا الملك القادر . إذا جاء
عسكره .

وثالثها : وجاء ظهور معرفة الله تعالى بالضرورة في ذلك اليوم . فصار
ذلك جارا مجرى مجيئه وظهوره .

الوجه الثاني : إنا لا نحمل هذه الآية على حذف المضاف . ثم فيه
وجهان :

الأول : أن يكون المراد من هذه الآية : التسك بظهور آيات الله
تعالى ، وسر آثار قدرته وقهره وسلطانه . والمقصود : تمثيل تلك الحالة
بجال الملك إذا حضر ، فإنه يظهر بمجرد حضوره من آثار الهيبة والسياسة ،
ما لا يظهر بحضور (٣٨) عساكره كلها .

(٣٦) البقرة ٢١٠

(٣٧) الفجر ٢٢

(٣٨) بظهور : ط

الثاني : إن الرب هو المربي . فلعل ملكا عظيما هو أعظم الملائكة ، كان مربيا للنبي ﷺ ، وكان هو المراد من قوله : وجاء ربك والملك صفا صفا .

وأما الحديث المشتمل على النزول إلى السماء الدنيا . فالكلام عليه من نوعين (٣٩) :

الأول : بيان (النزول . وهو) (٤٠) أن النزول قد يستعمل في غير الانتقال . وتقديره من وجوه :

أحدها : قوله (تعالى) (٤١) «وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج» (٤٢) ونحن نعلم بالضرورة : أن الجمل أو البقر ، ما نزل من السماء إلى الأرض ، على سبيل الانتقال . وقال الله تعالى : «فأنزل الله سكينته على رسوله» (٤٣) والانتقال على السكينة محال . وقال الله تعالى : «نزل به الروح الأمين على قلبك» (٤٤) والقرآن سواء قلنا : إنه عبارة عن صفة قديمة ، أو قلنا : إنه عبارة عن الحرف والصوت ، فالانتقال عليه محال . وقال الشافعي المطلبي — رضى الله عنه : - «دخلت مصر فلم يفهموا كلامي . فنزلت ثم نزلت ، ولم يكن المراد من هذا النزول : الانتقال .

الثاني : لأنه (إن) (٤٥) كان المقصود من النزول من العرش إلى السماء الدنيا ، أن يسمع نداؤه ، فهذا المقصود ما حصل . وإن كان المقصود مجرد النداء ، سواء سمعناه أو لم نسمعه ، فهذا مما لا حاجة فيه إلى النزول من العرش

(٣٩) وجهين : ص	(٤٠) النزول وهو : من خ
(٤١) تعالى : ط	(٤٢) الزمر ٦
(٤٣) الفتح ٢٦	(٤٤) الشعراء ١٩٣ — ١٩٤
(٤٥) ان : ط ، لو : خ	

إلى السماء الدنيا ، بل كان يمكنه أن ينادينا وهو على العرش . ومثاله . أن يريد من في المشرق (٤٦) إسماع من في المغرب ومناداته ، فيتقدم إلى جهة المغرب ، بأقدام معدودة . ثم يناديه ، وهو يعلم أنه لا يسمعه البتة . فههنا تكون تلك الخطوات عملاً باطلاً ، وعبثاً فاسداً . فيكون كفعل المجانين . فعلينا : أن ذلك غير لائق بحكمة الله تعالى .

الثالث : إن القوم رأوا أن كل سماء في مقابلة السماء التي فوقها ، (تكون) (٤٧) كقطرة في بحر ، و كدرهم في مفاضة . ثم كل السموات في مقابلة الكرسي ، كقطرة في البحر ، والكرسي في مقابلة العرش كذلك ، ثم يقولون : إن العرش مملوء منه ، والكرسي موضع (قدمه) (٤٨) فإذا نزل إلى السماء الدنيا ، وهي في غاية الصغر ، بالنسبة إلى ذلك الجسم العظيم ، فيما أن يقال : إن أجزاء ذلك الجسم العظيم ، يدخل بعضها في بعض ، وذلك يوجب القول بأن تلك الأجزاء قابلة للتفرق والتزق ، ويوجب القول أيضاً بتداخل الأجزاء بعضها في بعض ، وذلك يقتضى (جواز) (٤٩) تداخل جملة العالم في خردلة واحدة ، وهو محال . ولما أن يقال : إن تلك الأجزاء بليت عند النزول إلى السماء الدنيا ، وذلك قول بأنه قابل للعدم والوجود . وذلك مما لا يقوله عاقل في صفة الإله تعالى . فيثبت بهذا البرهان القاهر : أن القول بالنزول على الوجه الذي قالوه باطل .

الرابع : لما قد دللنا على أن العالم كرة . وإذا كان كذلك ، وجب القطع بأنه أبداً يكون الحاصل في أحد نصفي الأرض هو الليل ، وفي النصف الآخر هو النهار . فإذا وجب نزوله إلى السماء الدنيا في الليل — وقد دللنا على أن الليل حاصل أبداً — فهذا يقتضى أن يبقى أبداً في السماء الدنيا ، إلا أنه يستدير على ظهر الفلك بحسب استدارة الفلك ، وبحسب انتقال الليل ،

(٤٦) الشرق : ط ، المشرق : خ

(٤٧) تكون : من خ (٤٨) قدمه : سقط خ

(٤٩) جواز : من ط

من جانب من الأرض إلى جانب آخر . ولو جاز أن يكون الشيء المستدير مع الفلك أبدا : لها للعالم . فلم لا يجوز أن يكون له العالم هو الفلك ؟ ومعلوم أن ذلك لا يقوله عاقل .

النوع الثاني من الكلام في هذا الحديث : بناؤه على التأويل (٥٠)
على سبيل التفصيل ، وهو أن يحمل هذا النزول على نزول رحمته إلى الأرض . في ذلك الوقت . والسبب في تخصيص ذلك الوقت بهذا الفعل وجوه :

الأول : إن التوبة التي يؤتيها في قلب الليل : الظاهر أنها تكون خالية عن شوائب الدنيا ، لأن الأغيار لا يطلعون عليها . فتكون أقرب إلى القبول .

الثاني : إن الغالب على الإنسان في قلب الليل الكسل والنوم والبطالة ، فلو لا الجهد العظيم في طلب الدين ، والرغبة الشديدة في تحقيقه ، لما تحمل مشاق السهر ، ولما أعرض عن اللذات الجسدية ، ومتى كان الجهد والرغبة والإخلاص ، أتم وأكمل ، كان الثواب أوفر .

الثالث : إن الليل وقت الكسل والفتور ، فاحتيج في الترغيب في الاشتغال بالعبادة في الليل إلى مزيد أمور تؤثر في تحريك دواعي الاشتغال والتهجد ، فيحسن أن الشارع (إنما خص) (٥١) هذا الوقت بمثل هذا الكلام : ليكون توفر الدواعي على التهجد : أنهم فهذه الجهات الثلاثة تصلح أن تكون سببا لتخصيص الشرع هذا الوقت بهذا التشريف . ولأجلها قال الله تعالى : « وبالأسحار هم يستغفرون » (٥٢) وقال : « والمستغفرين بالأسحار » (٥٣)

(٥٠) التأويل : ط ، الدليل : خ

(٥١) بخص : ط (٥٢) الذاريات ١٨

(٥٣) آل عمران ١٧

(م ١٠ - أساس التقديس)

الوجه الرابع : إن جمعا من أشراف الملائكة ينزلون في ذلك الوقت بأمر الله تعالى كما يقال : بنى الأمير دارا ، وضرب دينارا . ومن ذهب إلى هذا التأويل : من روى الخبر بضم هـ ياء تحقيقا لهذا المعنى .

واعلم : أن تمام التقرير في تأويل هذا الخبر : أن من نزل من الملوك عند إنسان لإصلاح شأنه ، والاهتمام بأمره . فإنه يكرمه جدا . بل يكون نزوله عنده مبالغة في إكرامه (٥٤) ولما كان النزول موجبا للإكرام ، أو موجبا له ، أطلق اسم النزول على الإكرام . وهذا أيضا هو المراد بقوله تعالى : « وجاء ربك ، والملك ، صفا صفا » (٥٥) وذلك أن الملك إذا جاء وحضر لفصل الخصومات ، عظم وقعه واشتدت هيئته . (والله أعلم) (٥٦)

(٥٤) الكرامة : خ

(٥٥) الفجر ٢٢

(٥٦) والله أعلم : من ط

الفصل العاشر

في

الخروج والبروز والتجلى والظهور

قال عليه السلام : «سترون ربكم كاترون القمر ليلة البدر . لانضمامون في رؤيته ، وفي رواية : «لانضارون ، والتأويل : أن المقصود : تشبيه الرؤية بالرؤية ، لانتشبيه المرئي بالمرئي . ومعنى قوله «لانضمامون ، أي لا ينضم بعضكم إلى بعض ، كما تتضمنون في رؤية الهلال رأس الشهر ، بل رؤية جبهة من غير تكلف لطلبه ، كاترون البدر . وقوله : «لانضارون ، أي لا يلحقكم ضرر في طلب رؤيته ، بل ترونه من غير تكلف الطلب . وما روى «تضامون ، مخففا . فالمراد منه : الضيم . أي لا يلحقكم فيه ضم .

وقال أيضاً عليه السلام : «إن الله يبرز كل يوم جمعة لأهل الجنة على كتيب من كافور ، فيسكون في القرب على تبكيرهم إلى الجمعة . ألا فسارعوا إلى الخيرات ، واعلم : أنه قيل : إن هذا الخبر ضعيف . وإن صح . فالتأويل (فيه (١) : أن أهل الجنة يرون على مقادير أوقات الدنيا فيما سبق من أعمالهم الحسنة . وأما بروزه لأهل الجنة — وبذلك يتخيّل لهم — فهو أن يخلق لهم رؤية متعلقة ، وهم على كتيب من كافور . وأما قربه منهم فمعناه : القرب بالرحمة . كما قال : «من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً ، ويقال للفاسق : إنه بعيد من الله . وأيضاً ما روى

(١) فيه : خ

أنه عليه السلام قال : « ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه يوم القيامة .
ويكلمه ، وليس بينه وبينه ترجمان ، فنقول . وجه التأويل فيه : (أن (٢)
من أراد أن يتوجه إليه منهم ، فإنه يخلو به . فعبر به عنه . وإيضاً : لما
كان قادراً ، أراد (٣) أن يسمع كل واحد ، أنه لا يتكلم مع غيره (والله
أعلم) (٤)

(٢) أن : خ

(٣) وإيضاً كما كان قادراً على .. الخ : ط وفي خ : لما

(٤) سقط خ

الفصل الحادى عشر

فى

الظواهر التى توهم كونه قابلا للتجزىء
والتبعض - تعالى الله عنه علوا كبيرا

أما الذى ورد منه فى القرآن . فقوله تعالى فى حق آدم عليه السلام :
« فإذا سويته ونفخت فيه من روحي^(١) » وقال فى مريم عليها السلام :
« ونفختنا فيها من روحنا^(٢) » وقوله تعالى فى حق عيسى عليه السلام :
« وروح منه^(٣) »

وأما الخبر . فاروى أبوهريرة - رضى الله عنه - أنه عليه السلام قال : لما
خلق (الله^(٤)) آدم ، ونفخ فيه من روحه ، عطس آدم ، وشكر الله . فقال
له ربه : يرحمك ربك ، ثم قال : « هذا تحيتك ، وتحية ذريتك ، والتأويل :
أن تقول : أما إضافة الروح إلى نفسه ، فهو إضافة التشريف . وأما النفخ
(فإنه عبر^(٥)) بالسبب عن المسبب . وهذا مما يجب المصير إليه ، لا امتناع
أن يكون تعالى قابلا للتجزىء والتبعض .

(١) ص ٧٢ (٢) الانبياء : ٩١ (٣) النساء ١٧١

(٥) فالنعبير : ط

(٤) والله : ط

الفصل الثانى عشر

فى

الجواب عن استدلالهم بقوله تعالى

« أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ يُبْطِشُونَ بِهَا ؟ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ؟

أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا ؟ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ؟ »

قالوا (١) : فإنه تعالى عاب هذه الأصنام ، وطعن فى كونها آلهة ، بناء على عدم هذه الأعضاء لها . فلو لم تكن هذه الأعضاء حاصلة لله تعالى ، لتوجه الطعن هناك . وذلك باطل . والجواب عنه : أن يقال : المقصود من هذه الأيدي : شئ آخر ، سوى ما ذكرتم . وبإيانه : هو أن الكفار الذين كانوا يعبدون الأصنام كانت لهم أرجل يمشون بها ، وأيدي يبطشون بها ، وأعين يبصرون بها ، وآذان يسمعون بها . ولأن المقصود من الأرجل واليد والعين والاذن : هو هذه القوى المتحركة والمحركة . ولأن هذه الأعضاء كانت حاصلة لكم (٢) ، وغير حاصلة لها . كنتم أشرف وأعلى منها . يليق بالعقل أقدامكم على عبادتها ؟ (وبالله التوفيق) (٣)

(١) الآية رقم ١٩٥ من سورة الاعراف

(٢) وكانت هذه الأعضاء حاصلة : ص

(٢) سقط خ

الفصل الثالث عشر

في

الوجه :

احتجوا على إثباته لله تعالى بالآيات والأخبار (١) :
أما الآيات فكثيرة :

أحدها : قوله تعالى : د كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ، (٢) قالوا : وامتنع أن يكون وجه الرب ، هو الرب ، ويدل عليه وجهان : الأول : إنه تعالى أضاف الوجه إلى نفسه . وإضافة الشيء إلى نفسه : متمنعة . والثاني : (إنه) (٣) لو كان ذو الجلال صفة للرب ، لوجب أن يقال ذي الجلال ، لأن صفة المجرور مجرورة وثانيتهما ، قوله تعالى : د كل شيء هالك إلا وجهه ، (٤) . وثالثتهما : قوله تعالى : د واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، يريدون وجهه ، (٥) ورابعتهما : قوله تعالى : د ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، يريدون وجهه ، (٦) وخامستهما : قوله تعالى : د والله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا ، فثم وجهه (٧) الله ، وسادستهما : قوله تعالى (في سورة الروم) (٨) د يريدون وجه الله ، (٩) وسابعتهما : قوله تعالى : د وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله (١٠) ، وثامستهما : قوله تعالى : د إنما نطعمكم لوجهه (١١) الله ، . وتاسعتهما : قوله تعالى :

(١) بالآيات والأخبار : خ بالأخبار والآيات : ظ

(٢) الرحمن ٢٦ — ٢٧ (٣) انه : خ

(٤) القصص ٨٨ (٥) الكهف ٢٨

(٦) الانعام ٥٢ (٧) البقرة ١١٥

(٨) في سورة الروم : سقط خ (٩) الروم ٣٨

(١٠) الانسان ٩ (١١) الروم

إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، (١٢)

وأما الأحبار فكثيرة

الأول : ماروي ابن (١٣) خزيمه عن جابر ، قال لما نزل قوله تعالى :
 « قل : هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » ، (١٤) قال النبي ﷺ :
 « أعوذ بوجهك » ، ثم قال : « أو من تحت أرجلكم » ، (قال عليه السلام :
 « أعوذ ١٥ » بوجهك) ، ثم قال : « أو يلبسكم شيعاً ، ويذيق بعضكم بأس
 بعض » ، قال عليه السلام : هاتان أهون وأيسر . الثاني : روى عمار
 ابن ياسر ، عن النبي ﷺ أنه قال : « اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على
 الخلق أخيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي .
 اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق والعدل في الغضب
 والرضى ، وأسألك الرضا (١٦) في الفقر والغناء ، وأسألك نعيماً لا يبدل ،
 وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضاء بعد القضاء ، وأسألك برد
 العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، وأسألك الشوق إلى
 لقاءك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة . اللهم زينا بزينة الإيمان ،
 واجعلنا هداة مهتدين ، الثالث : قال عليه السلام : من صام يوماً في
 سبيل الله ، ابتغاء وجه الله . باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً ،
 الرابع : عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « من استعاذكم بالله فأعيذوه ،
 ومن سألكم بوجه الله فعظموه » ، الخامس : عن أبي هريرة — رضي الله
 عنه — عن النبي ﷺ أنه قال : « مثل المجاهد في سبيل الله ، ابتغاء وجه الله ،
 مثل القائم المصلح حتى يرجع من جهاده » ، السادس : قال عبد الله : قسم
 رسول الله ﷺ فقال رجل : إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله . فأتيت

(١٣) ابن : زيادة	(١٢) الليل ٢٠
(١٥) قال عليه الصلاة والسلام :	(١٤) الأنعام ٦٥
(١٦) الرضا : خ ، القضاء : ط	أعوذ بوجهك : سقط ط

النبي ﷺ فذكرت ذلك له ، فاحمر وجهه حتى وددت أني لم أخبره . فقال :
 ورحم الله موسى (١٧) قدم أودى بأكثر من هذا فصبر ، السابع : عن
 حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال : إذا دخل في صلاته ، أقبل الله
 إليه بوجهه ، ولا ينصرف عنه حتى ينصرف عنه ، أو يحدث حدثاً ،
 الثامن : عن الحارث الأشقري أن النبي ﷺ قال : إذا دخل في الصلاة فلا
 إلى يحيى بن زكريا . أن يقول لبني إسرائيل : إذا قمتم إلى الصلاة فلا
 تلتفتوا ، فإن الله يقبل بوجهه إلى عبده ، التاسع : الحديث المشهور وهو
 أنه عليه السلام قال في قوله تعالى : الذين أحسنوا الحسنى وزيادة (١٨)
 قال : دعى النظر إلى وجه الله ، وقال أيضاً : دجنان من فضة . أبنتهما
 (وأما فيهما) (٢٠) وجنتان من ذهب (أبنتهما) (٢١) وما فيهما وما بين
 القدم (٢٢) وبين أن ينظروا إلى وجه ربهم في جنة عدن ، إلا رداء المكبرياء
 على وجهه ، العاشر : عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) (٢٣) عن
 النبي ﷺ عليه وسلم (أنه قال) : المرأة عورة ، فإذا خرجت تستبشر بها
 الشيطان . وأقرب ما تكون من وجه ربها . إذا كانت في قعر بيتها ،

واعلم : أنه لا يمكن أن يكون الوجه المذكور في هذه الآيات ، وهذا
 الاختيار : هو الوجه . بمعنى العضو والتجارة ويدل عليه وجهه الأول .
 قوله تعالى : وكل شيء هالك إلا وجهه ، (٢٤) وذلك لأنه لو كان الوجه هو
 العضو المخصوص ، لزم أن يقضى جميع الجسد والبدن ، وأن يقضى العين التي
 على الوجه ، وأن لا يبقى إلا مجرد الوجه : وقد ألزم بعض حنفى

(١٧) رحيمنا الله وموسى : ط (١٨) أوحى : من ط
 (١٩) يونس ٢٦ (٢٠) وما فيهما : ط
 (٢١) أبنتهما : ط (٢٢) القدم : ط
 (٢٣) رضي الله عنه : خ (٢٤) الق ص ٨٨

المنشئة : ذلك . وهو جهل عظيم .

الثاني : إن قوله تعالى : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » ، (٢٥) ، ظاهرة : يقتضى وصف الوجه بالجلال والإكرام . ومعلوم : أن الموصوف بالجلال والإكرام : هو الله تعالى . وذلك يقتضى أن يكون الوجه ، كناية عن الذات .

الثالث : قوله تعالى : « فأينما تولوا ، فثم وجه الله » (٢٦) ، وليس المراد من الوجه ههنا : هو العضو المخصوص ، فإننا ندرك بالحس : أن العضو المسمى بالوجه ، غير موجود فى (جميع (٢٧)) جوانب العالم . وأيضاً : فلو حصل ذلك العضو فى جميع الجوانب ، لزم حصول الجسم الواحد دفعة واحدة ، فى أمكنة كثيرة ، وذلك لا يقوله عاقل .

الرابع : إن قوله تعالى : « يريدون وجهه » ، (٢٨) وقوله : « إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى » (٢٩) ، لا يمكن حمل شئ منهما على الظاهر . لأن وجهه تعالى - على مذهبهم - قديم أزلى ، والقديم الأزلى لا يراد . لأن الشئ الذى يراد : معناه أنه يراد حصوله ودخوله فى الوجود . وذلك فى القديم الأزلى : محال . وأيضاً : فقولاء كانوا يعبدون الله تعالى ، وما كانوا يريدون وجهه الله . كيف كان ؟ لأنه لو كان غضبافاً عليهم فهم لا يريدونه . وإنما يريدون منه كونه راضياً عنهم ، وذلك يدل على أنه ليس المراد من الوجه فى هذه الآيات : نفوس الجارحة المخصوصة ، بل المراد منه شئ آخر وهو كونه تعالى راضياً عنهم

(٢٦) البقرة ١١٥

(٢٨) الكهف ٢٨

(٢٥) الرحمن ٢٧

(٢٧) جميع : من ط

(٢٩) الليل ٢٠

الخامس : الخبر الذى روينا . وهو قوله عليه السلام : « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها ، إذا كانت فى قعر بيتها ، ومعلوم : أنه لو كان المراد من الوجه : العضو المخصوص ، لم يختلف الحال فى القرب والبعد . بسبب أن تكون فى بيتها أو لم تكن . أما إذا حملنا الوجه على الرضاء ، استقام ذلك . فثبت بهذه الدلائل : أنه لا يمكن أن يكون لوجه المذكور فى هذه الآيات والأخبار بمعنى العضو والجارية .

إذا عرفت هذا ، فنقول : لفظ الوجه قد يجعل كناية عن الذات تارة ، وعن الرضى أخرى .

أما الأول فنقول : السبب فى وجوب جعل الوجه كناية عن الذات (٣٠) وجوه :

الأول : إن المرئى من الإنسان فى أكثر الأوقات ليس إلا وجهه ، وبوجهه يتميز ذلك الإنسان ، عن غيره . فالوجه كأنه هو العضو الذى به يتحقق وجود ذلك الإنسان ، وبه يعرف كونه موجودا . ولما كان الأمر كذلك ، لاجرم حسن جعل الوجه اسما لكل الذات . وبما يقوى ذلك : أن القوم إذا كان معهم إنسان يرتب أحوالهم . ويقوم بإصلاح أمورهم ، سمي وجه القوم ، ووجهيهم . والسبب فيه : ما ذكرنا .

الثانى : إن المقصود من الإنسان ظهور آثار عقله وحسه وفهمه وفكره . ومعلوم : أن معدن هذه الأحوال هو الرأس ، ومظهر آثار هذه القوى هو الوجه . ولما كان معظم المقصود من خلق الإنسان إنما يظهر فى الوجه ، لاجرم حسن إطلاق اسم الوجه على كل الذات .

لثالث : إن الوجه مخصص بمنزلة الحسن واللطافة ، والتركيب

العجيب . والتأليف القريب . وكل ما في القلب من الأحوال ، فإنه يظهر على الوجه ، فلما امتاز الوجه عن سائر الأعضاء بهذه الخواص ، لاجرم حسن إطلاق لفظ الوجه على كل الذات .

وأما بيان السبب في جواز جعل لفظ الوجه كناية عن الرضى : فهو أن الإنسان إذا مال قلبه إلى الشيء ، أقبل بوجهه عليه . وإذا كره شيئاً أعرض بوجهه (عنه) (٣١) فلما كان إقبال الإنسان بوجهه عليه ، لوازم كونه مائلاً إليه ، لاجرم حسن جعل لفظ الوجه كناية عن الرضى . وإذا عرفت هذه المقدمة ، فنقول : أما قوله تعالى : كل شيء هالك إلا وجهه (٣٢) وقوله : ويبقى وجه ربك (٣٣) فالمراد منه : الذات . والمقصود من ذكره : التأكيد والمبالغة ، فإنه يقال : وجه هذا الأمر : كذا وكذا ، ووجه هذا الدليل : هو كذا وكذا ، والمراد منه : هو نفس ذلك الشيء ، ونفس ذلك الدليل . فكذا هذا .

وأما قوله تعالى : دفعتم وجهه الله (٣٤) — ولنماتنهممكم لوجه الله (٣٥) — إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، فالمراد من الكل : رضى الله تعالى . وهكذا القول في تلك الأحاديث (وبالله التوفيق) (٣٦)

(٣٢) القصص ٨٨
(٣٤) البقرة ١١٥
(٣٦) الليل ٢٠

(٣١) عنه : ط
(٣٣) الرحمن ٢٧
(٣٥) الانسان ٩

الفصل الرابع عشر

في

بعض

احتجوا على ثبوتها بالقرآن ، والأخبار .

أما القرآن : فقولته تعالى لنوح عليه السلام : واصنع الفلك بأعيننا، (١) ولموسى عليه السلام : ولتصنع على عيني، (٢) وللمحمد ﷺ : واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا، (٣)

وأما الأخبار : فروى صاحب شرح السنة - رحمه الله - في باب ذكر الدجال ، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قام رسول الله ﷺ في الناس فإثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال ، فقال : دإني لا تذكره . وما من نبي إلا أنذر قومه . لقد أنذر نوح قومه ، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه : إنه أعور ، وإن الله ليس بأعور، (٤) ثم قال صاحب الكتاب : هذا حديث صحيح ، أخرجه البخاري في كتابه ، وروى أيضاً عن ابن عباس (رضي الله عنه) (٥) أنه ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال : دإل الله لا يخفى عليكم ، إنه ليس بأعور ، - وأشار بيده إلى عينيه - د وإن المسيح الدجال أعور عينه (٦) . كأن عينه عنية طافية ، ثم قال : وهذا حديث اتفق الشيخان على صحته ، وما يدل

(١) هود ٣٧ .

(٢) الطور ٤٨

(٣) طه ٣٩

(٤) حديث أن الله ليس بأعور أورده محمد بن اسحق بن خزيمة في

(٥) رضي الله عنه : سقط خ

كاتب التوحيد ص ٤٣ - ٤٤

(٦) عين : ط

أيضا على إثبات العين لله تعالى : ماروى في الدعوات : « احفظنا بعينك الى لا تنام ، وأيضا يقال في العرف : عين الله عليك .
واعلم : أن (النصوص من القرآن) (٧) لا يمكن إجراؤها على ظاهرها لوجوه :

الاول : إن ظاهر قوله تعالى : « ولتصنع على عيني » (٨) يقتضى أن يكون موسى - عليه السلام - مستقرا على تلك العين ، ملتصقا بها ، مستعلما عليها . وذلك لا يقوله عاقل .

الثاني : إن قوله تعالى : « واصنع الفلك بأعيننا » (٩) يقتضى أن يكون آلة تلك الصنعة هي تلك الأعين .

الثالث : (إن) (١٠) إثبات الأعين في الوجه الواحد ، قبيح .
فثبت : أنه لا بد من المصير إلى التأويل ، وذلك هو أن تحمل هذه الالتفات على شدة العناية والحراسة . والوجه في حسن هذا المجاز : أن من عظمت عنايته بشيء ، وميله إليه ، ورغبته فيه ، كان كثير النظر إليه .
فحمل لفظ العين - التي هي آلة لذلك النظر - كناية عن شدة العناية .

وأما هذا الخبر الذي رويته . فمشكل ، لأن ظاهره يقتضى أن النبي ﷺ أظهر الفرق بين الإله تعالى ، وبين الدجال . بكون الدجال أعور ، وكون الله تعالى ليس بأعور . وذلك بعيد . وخبر الواحد إذا بلغ هذه الدرجة في ضعف المعنى ، وجب أن يعتقد أن الكلام كان مسبوqa بمقدمة ، لو ذكرت ، لزال هذا الإشكال . أليس راوى هذا الحديث هو ابن عمر ؟

(٧) نصوص القرآن : ط

(٩) الطور ٤٨

(٨) طه ٣٩

(١٠) ان : سقط خ

ومن المشهور أن ابن عمر^(١١) (رضي الله عنهما) لما روى قوله ^{عليه السلام} :
« إن الميت لي عذب ببكاء أهله » طعنت عائشة - رضي الله عنها - فيه .
وذكرت : أن هذا الكلام من الرسول كان مسبقا بكلام آخر - واحتجت
على ذلك بقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، (١٢) — لو حكى
لزال هذا الإشكال ، فكذا همنا . إنه من البعد صدور مثل هذا الكلام
عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) (١٣) الذي اصطفاه الله تعالى لرسالته ،
وأمره ببيان شريعته (وبالله التوفيق) (١٤)

(١١) من خ ثم ان المشهور : من
(١٢) فاطر ١٨ . (١٣) من خ
(١٤) وبالله التوفيق : من ط

الفصل الخامس عشر

في

النفيس

١٠٠

هذا اللفظ غير وارد في القرآن . لكنه روئى عن النبي ﷺ أنه قال :
« لا تسبوا الريح ، فإنها من نفس الرحمن » ، وقال أيضا : « إني لأجد نفس
الرحمن من جانب اليمين ، والتأويل : إنه مأخوذ من قوله : نفست عن
فلان ، أى فرجت عنه . ونفس (١) الله عن فلان ، أى فرج عنه ، والريح
إذا كانت طيبة ، فقد زالت هذه المكروه ، فلما وجدها من قبل اليمين فقد
حصل المقصود ، فالمقرون بالمكروه ، مكروه (المقرون بالمحسوب) (٢)
محبوب . فلما وجد النبي ﷺ النصرة من قبل اليمين ، فقد وجد التنفيس من
المكروهات من ذلك الجانب ، فلا جرم صدق قوله : « إني لأجد نفس
الرحمن من قبل اليمين » ولهذا قال النبي ﷺ : « الإيمان يمان والحكمة
يمان ، وهذا هو المراد من قوله : إن الريح من نفس الرحمن . أى هى مما
جعل الله فيها (من) (٣) التنفيس والتنفيس (وبالله التوفيق) (٤)

(٢) وبالمحسوب : ط

(٤) يهبط

(١) وانفس : ط

(٣) من : من ح

الفصل السادس عشر

في اليـد

اعلم : أن هذه اللفظة وردت في القرآن ، والأخبار .
أما القرآن . فقد وردت هذه الصيغة بصيغة الوجدان نارة ، وبصيغة
التثنية أخرى . كقوله تعالى : « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي (١) »
وقوله : « بل يدها مبسوطتان » (٢)

وأما الأخبار . فكثيرة : الأول : ما روى أن النبي ﷺ قال : « التقي
آدم وموسى . فقال موسى : أنت الذى خلقك الله يده ، وأسجد لك
ملائكته ، ونفخ فيك من روحه ، وأمرك بأمر فعصيته . فأخرجك من
الجنة . فقال آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك التوراة بيده .
أفتلومنى على أمر قد قدره الله على ، قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ قال : فخرج
آدم موسى ، وهذا الخبر اشتمل على أن موسى (عليه السلام) أثبت (٤)
لله تعالى اليد ، وكذلك آدم قال بذلك . الثاني : روى أبو هريرة - رضى
الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله تعالى الخلق كتب بيده على
نفسه : إن رحمتى سبقت غضبي » الثالث : روى عبد الله بن عمر عن النبي
ﷺ أنه قال : « إن الله (٥) يفتح أبواب السماء في تلك الليل الباقي فيبسط

(٢) المسألة ٤٤

(١) ص ٧٥

(٣) عليه السلام : سقط خ (٤) نهت اليد : ط

(٥) انه بفتح : ط

يده ، فيقول : ألا عبد يسألنى فأعطيه . ولا يزال (٦) كذلك حتى يطلع
الفجر ، الرابع : روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أحدكم
ليصدق بالتمرة ، إذا كانت من الطيب — ولا يقبل الله إلا طيبا — فيجعلها
الله في يده اليمنى . ثم يرببها كما يربى أحدكم فلوله وفصيله ، حتى نصير مثل
أحد ، الخامس : الحديث المشهور . وهو قوله ﷺ : « إن الصدقة تقع في
يد الرحمن ، قبل أن تقع في يد الفقير ، السادس : ما تواتر النقل عن
النبي ﷺ أنه كان يقول : « والذي نفسى بيده ، السابع : قوله عليه السلام :
« إن الله خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا ، والأحاديث في هذا الباب :
كثيرة .

واعلم : أن لفظ اليد حقيقة في هذه الجارحة المخصوصة ، إلا أنه
يستعمل على سبيل المجاز ، في أمور غيرها : فالأول : إنه يستعمل لفظ
اليد في القدرة يقال : يد السلطان فوق يد الرعية . أى : قدرته غالبية على
قدرتهم . والسبب في حسن هذا المجاز : أن كمال حال هذا العضو ، إنما
يظهر بالصفة المسماة بالقدرة . ولما كان المقصود من اليد حصول القدرة ،
أطلق اسم القدرة على اليد . وقد يقال : هذه البلدة في يد الأمير ، وإن كان
الأمير مقطوع اليد . ويقال : فلان في يده الأمر والنهى ، والحل والعقد .
والمراد : ما ذكرناه : والثاني : إن اليد قد يراد بها النعمة . ولأنما حسن هذا
المجاز ، لأن آلة إعطاء النعمة اليد . فإطلاق اسم اليد على النعمة ، إطلاق لا سبب
السبب على المسبب ، الثالث : إنه قد يذكر لفظ اليد صلة للكلام على سبيل
التأكيد . كقولهم : يدك أو كتفك . ويقرب منه : قوله تعالى : « فقد موابين يدي
نجاكم صدقة (٧) » ، وقوله : « بين يدي رحمتي (٨) » ، فإن النجوى الرحمة .
ولا يكون لها هذان العضوان المسميان باليدين .

إذا عرفت هذه المقدمة . فنقول : أما قوله تعالى : د يد الله فوق أيديهم^(٩)، فالمعنى : إن قدرة الله تعالى غالبية على قدرة الخلق . وأما قوله تعالى حكاية عن اليهود - أنهم قالوا : د يد الله مغولة^(١٠) - فاليد ههنا بمعنى النعمة . والدليل عليه : أن اليهود إما أن يقال : إنهم مقرون بإثبات الخالق ، أو يقال : بأنهم منكرون له . فإن أقروا به ، امتنع أن نقول : إن خالق العالم جعل مغولاً مقيداً^(١١) . فإن ذلك لا يقوله عاقل . وإن أنكروه لم يكن للقول بكونه مغولاً فائدة . فثبت : أن المراد : أنهم كانوا يعتقدون أن نعم الله تعالى عبوسة عن الخلق ، بمنوعة عنهم ، فصارت هذه الآية من أقوى الدلائل على أن لفظة اليد قد يراد بها النعمة . وأما قوله تعالى : د بل يدها مبسوطتان^(١٢) فالمراد منه أيضاً : النعمة . ويدل عليه

وجهاً :

الأول : إن هذا ورد في معرض الجواب عن قول اليهود : د يد الله مغولة ، ولما بينا بالدليل : أن قولهم د يد الله مغولة ، ليس معناه الغل والحبس ، بل معناه : احتباس نعم الله تعالى عنهم ، وجب أن يكون قوله : د بل يدها مبسوطتان ، عبارة عن كثرة نعم الله تعالى وشمولها للخلق ، حتى يكون الجواب مطابقاً للسؤال .

والثاني : إن قوله : د بل يدها مبسوطتان ، لو حملناه على ظاهره ، لزم كون يديه مبسوطتين ، مثل يد صاحب التشنيع^(١٣) - تعالى الله عنه - فثبت : أن المراد منه : إفاضة النعم .

(٩) الفتح ١٠
(١٠) المائدة ٦٤
(١١) مثهوراً : ط ، مقيداً : خ (١٢) المائدة ٦٤
(١٣) التشنيع : ط ، التشنيع : خ

وأما قوله تعالى : «فما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي» (١٤) فنقول :

للعلباء فيه قولان :

القول الأول : إن اليدين صفتان قائمتان بذات الله تعالى . يحصل بهما التخلق على وجه التكريم والاصطفاء ، كما في حق آدم عليه السلام .

واحتج القائلون بهذا الوجه . بوجوه : الأول : إن قوله تعالى : «فما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي» مشعر بأنه تعالى إنما جعل آدم مسجوداً للبلائكة ، لأنه تعالى خلقه بيديه . فلو كانت اليد عبارة عن القدرة ، لكانت علة هذه المسجودية . حاصلة في كل المخلوقات ، فوجب هذا الحكم في الكل . وحيث لم يحصل ، علمنا أن اليد صفة سوى القدرة . والثاني : إن قدرة الله تعالى واحدة ، واليد موصوفة بالثنائية . والثالث : إن قوله (تعالى) (١٥) : «لما خلقت بيدي» يدل على كونه مخصوصاً بأنه مخلوق . والتخصيص بالذكر يدل على نفي الحكم عما عداه . فوجب في كل من سوى آدم عليه السلام ، أن لا يكونوا مخلوقين باليدين ، ولا يشك في أنهم مخلوقون بالقدرة . وذلك يقتضي أن تكون اليد شيئاً سوى القدرة .

والقول الثاني : إن اليد ههنا هي القدرة . ويدل عليه وجوه : الأول : إن القدرة عبارة عن الصفة التي يكون الموصوف بها متمكناً من الإيجاد والتكوين ، ونقل الشيء من العدم إلى الوجود . ولما كان المسمى باليد كذلك ، كان ذلك المعنى نفس القدرة . والثاني : إن قدرة الله تعالى صفة قديمة ، واجبة الوجود ، فوجب تعلقها بكل ما يصح أن يكون مقدوراً . وإلا لزم افتقارها في ذلك الاختصاص إلى المخصص . لكن المخصص (١٦)

(١٤) ص ٦٥ ، (١٥) تعالى : سقط خ

(١٦) المصحح : ط ، المخصص : خ

للمقدورية هو الإمكان وهذا يقتضى أن يكون كل ممكن مقدوراً لله تعالى . ولا شك أن وجود آدم - عليه السلام - من الممكنات ، فيكون وجود آدم من جملة متعلقات قدرة الله - تعالى - فلو فرضنا صفة (١٧) أخرى مستقلة بإيجاد هذا الممكن ، لزم أن يجتمع على الأثر الواحد مؤثران مستقلان . وذلك محال . الثالث : إن إثبات صفة سوى القدرة مؤثرة في وجود آدم ، مما لا دليل على ثبوتها . فلم يجز إثباتها . لاعتقاد الإجماع على أن إثبات صفة من صفات الله تعالى ، مر غير دليل ، لا يجوز .

والجواب عن القول (١٨) الأول : أما ما تمسكوا به أولاً : فهو أنه لو كان تخليق آدم باليدين يوجب سزيد الاصطفاء ، لكان تخليق البهائم والأنعام بالأيدي ، يوجب رجحانها على آدم ، في هذه الاصطفاء لقوله تعالى في صفة تخليقها : « مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون » (١٩) ثم نقول : لم لا يجوز أن يكون معنى قوله تعالى : « خلقت يدي » : هو بيان الكثرة عناية الله تعالى في إيجادهم وتكويرهم . فإن الإنسان إذا أراد المبالغة في إصلاح بعض المهمات ، وفي تكميله ، فقد يقول : هذا الشيء أعمله يدي . ومن المعلوم أن التخليق بغير هذا النوع من العناية ، ما كان حاصله في حق غير آدم عليه السلام .

والجواب عما تمسكوا به ثانياً : إن التثنية لا تدل على حصول العدد ، بدليل : قوله تعالى : « فقدموا بين يدي نجواكم صدقة » (٢٠) . وقواه : « يدي رحمة » (٢١)

والجواب عما تمسكوا به ثالثاً : إن التخصيص بالذكور هنا ، لم يدل

(١٧) جهة : ط ، صفة : خ .

(١٩) يس ٧١

(١٨) الوجه : ص

(٢١) الفرقان ٤٨

(٢٠) المجادلة ١٢

على نفي حكمه عما عداه للناس (لكننا) (٢٢) بينا : أن التخليق باليدين : عبارة عن التخليق المخصوص بمزيد الكرامات والتشريفات (٢٣). وهذا المجموع ما كان حاصله في (حق) (٢٤) غير آدم - عليه السلام -

وأما الأحاديث . فنقول : أما قوله ﷺ : « خلق آدم بيده » ، وكتب التوراة بيده ، فذلك حق يدل على أن المراد : التخصيص بمزيد الكرامات (٢٥) وكذا قوله : « كتب بيده على نفسه أن رحمتي سبقت غضبي » ، وأما قوله ﷺ : « إن الله يفتح أبواب السماء في تلك الليل الباقي فيبسط يده ، فالمراد : إفاضة النعمة » ، وإيصال الرحمة والمغفرة إلى المحتاجين . وأما قوله ﷺ : « الصدقة تقع في يد الرحمن » ، فالمراد منه : شدة العناية بقبول تلك الصدقات ، ونسكير الثواب عليها . وكذا المراد بقوله (عليه السلام) (٢٦) : « دخر طينة آدم بيده » ، وأما قوله عليه السلام : « والذي نفسى بيده » ، فالمراد باليد هنا . نقدره .

والذى يدل على أن هذه الالفاظ يجب تأويلها : أن قوله ﷺ « الصدقة تقع في يد (٢٧) الرحمن » ، ليس المراد منه اليد بمعنى العضو والجراحة . ويدل عليه وجوه :

الأول : لنا شاهد أن تلك الصدقة ما وقعت إلا في يد الفقير . قالوا : بأنها وقعت في يد أخرى ، هي عضو مركب من الأجزاء والأعضاء ، مع أنها لا تراها ولا تحس بها ، تشكيك في الضروريات .

الثاني : هذا يقتضى أن تكون يد الله ظرفاً لصدقات العباد . وذلك على خلاف ظاهر قوله تعالى : « يد يده مبسوطتان » ،

(٢٢) لكننا : من خ (٢٣) والتشريف : ط

(٢٤) حق : خ (٢٥) الكرامة : خ

(٢٦) عليه السلام : خ (٢٧) يدى : ط

الثالث : إن ذلك يقتضى أن تكون يد المعطى فوق يد المعبود ،
حتى يمكنه أن يوقع الصدقة فى يد الرحمن . وذلك مناقض لظاهر قوله
تعالى : « يد الله فوق أيديهم » ،

الرابع : إن ذلك يقتضى أن يكون هو على العرش ، ويده على
الأرض . وذلك لا يقوله عاقل . فثبت : أنه لا بد فى هذه الظواهر من
التأويلات (وبالله التوفيق) (٢٨)

الفصل السابع عشر

في اثبات القبضنة

هذه اللفظة قد وردت (١) في الأخبار ، والقرآن .

أما القرآن . فقوله تعالى : « والارض جميعاً قبضته يوم القيامة » (٢)
وأما الأخبار . فكثيرة : الخبر الأول : (ما) (٣) روى (بن) (٤) خزيمه
في كتابه الذي سماه : « التوحيد » ، عن أنى موسى الأشعري (رضى الله
عنه) (٥) عن النبي ﷺ (أنه) (٦) قال : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها
من جميع الارض ، فجاء بنو آدم على قدر الارض ، فجاء منهم الاحمر والاسود ،
والسهل والجبل ، والخبيث والطيب » الخبر الثاني : (ما) (٧) روى (بن) (٨)
خزيمة في كتابه عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) (٩) عن النبي ﷺ : أن الله
قبض (١٠) قبضة ، وقال : « إلى الجنة برحمتي ، وقبض قبضة ، وقال : « إلى النار
ولا أبالي » الخبر الثالث : عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه -
عن النبي ﷺ في القبضتين : « هذه في الجنة ولا أبالي ، وهذه في النار
ولا أبالي » واعلم : أن ظاهر الآية يقتضى أن تكون الارض قبضته .
وذلك محال . لأن الارض محتوية على النجاسات . فكيف يقول القائل :
لإنها قبضة إله العالم ؟ ولأن (القرآن مملوء من أن الارض مخلوقة) (١١)
وقبضة الخالق لا تكون مخلوقة . ولأن الارض تقبل الاجتماع والافتراق

(١) أفردت : ط

(٢) ما : سقط خ

(٣) ما : سقط خ

(٤) بن : من خ

(٥) رضى الله عنه : من خ

(٦) أنه : خ

(٧) ما : سقط خ

(٨) ابن : من خ

(٩) رضى الله عنه : من خ

(١٠) قد قبض : ط

(١١) ولأن التراب مخلوق من الارض : ط

والعمارة والتخريب (١٢) ، وقبضة الخالق لا تكون كذلك . فإذا لابد من التأويل . وهو أن يقال : إن الأرض في قبضته . إلا أن هذا الكلام . كما يذكر . ويراد به احتواء الأنامل على الشيء ، فقد يذكر ويراد به كون الشيء في قدرته وتصرفه وملكه . يقال : هذه البلدة في قبضة السلطان . والمراد : ما ذكرناه . وأما القبضة المذكورة في الخبر فالمراد : أنه تعالى ميز (١٣) من تراب الأرض مقدار القبضة . وهذا مجاز مشهور . يقال للشيء القليل : إنه قبضة وحفنة . والمراد : أن مقداره مثل ذلك (وبالله التوفيق) (١٤)

(١٢) والتفريق : ط ، والتخريب : خ

(١٣) ميز : ط ، بين : خ (١٤) وبالله التوفيق : ط

الفصل الثامن عشر
في
ما تمسكوا به في اثبات اليمين لله عز وجل

احتجوا بالقرآن ، والأخبار .

أما القرآن : فقوله تعالى : « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي (١) ؟ »
وقوله تعالى : « بل يدها مبسوطتان (٢) »

وأما الخبر : فما روى ابن خزيمة عن أبي هريرة (رضي الله عنه (٣))
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لما خلق الله آدم ونفخ فيه
الروح : عطس . فقال : الحمد لله ، فحمد الله ، يا ذن الله . فقال له ربه (٤)
يرحمك ربك يا آدم . ثم قال له : يا آدم اذهب إلى الملائكة فقل : السلام
عليكم (فلما ذهب وقال (٥)) قالوا : عليكم السلام ورحمة الله (ثم رجع
إلى ربه . فقال : هذه تحيتك وتحية بنيك وبنيتهم . فقال الله تعالى (٦)
- ويداه مقبوضتان - إخرأيهما شئت . فقال : اخترت يميني ربى - وكنت
يديه يمين مباركة - ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته . فقال . أى رب ما هؤلاء ؟
فقال : هؤلاء ذريتك ، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه (٧) »

واعلم : أن هذا الحديث طويل . ومقصودنا هنا : هذا القدر . وقد

(١) ص ٧٥ (٢) المائدة ٦٤

(٣) رضى الله عنه : من خ (٤) ربه : خ

(٥) فلما ذهب وقال : سقط خ

(٦) ما بين القوسين : من خ

(٧) بين عقبه : ط بين عينيه : خ وهذا يدل على أن الإنسان مجبر
والقرآن يصرح بأنه مختار .

عرفت : أنه لا يمكن حمل لفظ اليد في حق الله تعالى على الجارحة . وتدل
ههنا وجوه أخرى :

فالأول : إن ظاهر الحديث يدل على أن كلتا يديه يمين . واليدين بمعنى
الجارحة ، إذا كانت كلتاهما يميناً ، كان ذلك في غاية القبح ، وتشويه الخلقة -
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -

والثاني : إن إحدى اليدين إذا كانت غير وافية بالعمل ، كانت ناقصة
(وجل إلهنا عنه ، وإن كانت وافية بالعمل كانت ناقصة) (٨) وذلك يوجب
نقصاً في الصورة .

والثالث : إن ظاهر الخبر الذي روينا ، يدل على أنه كان يلعب مع
آدم (عليه السلام) (٩) كما يلعب الصبيان بعضهم مع بعض ، حين (١٠) يقبضون
أيديهم على الزوج والفرد . والصبيان إذا فعلوا ذلك ضربهم المعلم وأدبهم .
فكيف ينسب ذلك إلى رب العالمين ، وأحكم الحاكمين ؟ فثبت : أنه
يجب حمل ذلك على المبالغة (١١) في الحفظ والحراسة ، وشدة العناية
(وبالله التوفيق)

(٨) مابين القوسين : من خ (٩) عليه السلام : ط
(١٠) حتى : ط ، حين : خ (١١) الباكورة : ط ، المبالغة : خ

الفصل التاسع عشر
في
اثبات اليمين لله تعالى

احتجوا عليه (١) بالقرآن ، والأخبار .

أما القرآن . فقله تعالى : «والسماوات مطويات بيمينه (٢)» وقوله :
«لأخذنا منه باليمن» (٣)

وأما الأخبار . فكثيرة : الأول : قوله عليه السلام : «كلتا يديه
يمين» والثاني : عن أبي هريرة أنه قال : قال (رسول الله ﷺ) (٤) : «يقبض
الله الأرض يوم القيامة ، ويطوى السماوات بيمينه . ثم يقول : أنا الملك .
فأين ملوك الأرض ؟»

الثالث : روى صاحب شرح السنة (رحمه الله) (٥) في باب «الإيمان
بالقدر» عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : سمعت (النبي ﷺ) (٦)
يقول : «إن الله خلق آدم ، ثم مسح ظهره بيمينه ، ثم استخرج منه
ذرية (٧) فقال : خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون .
ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للنار ، وبعمل
أهل النار يعملون»

(١) عليه : من خ
(٢) الحاقة ٤٥
(٣) رحمه الله : من خ
(٤) الزمر ٦٧
(٥) عليه السلام : خ
(٦) رسول الله : خ
(٧) ذريته : ط

الرابع : روى ابن خزيمة في كتابه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أن أحدكم يتصدق بالتمرة من (كسب (٨) طيب - ولا يقبل الله إلا طيبا - فيجعلها في يده اليمين ، ثم يرببها كما يربى أحدكم فلوله وفصيله ، حتى يصير مثل أحد ،

واعلم : أن اليمين عبارة عن القوة والقدرة . والدليل عليه : أنه سمي الجانب الأيمن ، باليمين ، لأنه أقوى الجانبين ، وسمى الحلف ، باليمين ، لأنه يقوى عزم الإنسان على الفعل أو الترك . قال الشاعر :

إذا ما راية رفعت لمجد

تلقاها عرابة باليمين

إذا عرفت هذا (فنقول (٩)) : ظهر الوجه في قوله تعالى : « والسموات مطويات بيمينه » ، أما قوله تعالى « لا أخذنا منه باليمين » ، فالمراد منه . يمين المأخوذ (أى ثم أخذنا بيمين) (١٠) ذلك الإنسان وهو كما يقال : أخذت بيمين الصبي ، وذهبت به إلى المكتب ، وإن كان المراد يمين الآخذ فالمراد منه : القوة والقدرة . وإذا عرفت ذلك في الآية ، فاعرف مثله في الأخبار .

(٨) كسب : سقط خ

(٩) فنقول : خ

(١٠) أى أخذنا منه : ط والمراد : اهلكنا المكذب

الفصل العشرون

في الكف

هذا اللفظ غير وارد في القرآن . لكنه مذكور في الخبر . روى ابن خزيمة في كتابه الذي سماه بـ « التوحيد » عن أبي هريرة (رضى الله عنه) (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) أنه قال : « من تصدق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا طيبا ، ولا يصعد إلى السماء إلا الطيب - تقع في كف الرحمن فيريها كما يرى أحدكم فصيله ، حتى أن التمرة لتعود مثل الجبل العظيم » وروى هذا الحديث برواية أخرى عن أبي هريرة . وفيه : « إن الرجل ليتصدق باللقمة . فتربو في يد الله تعالى » أو قال : « في كف الله تعالى ، حتى يكون مثل الجبل . فتصدقوا » (٣)

واعلم : أن هذا يدل على أن أبا هريرة كان مترددا في أنه هل سمع لفظ اليد أو لفظ الكف ؟ ويمكن أن يقال : سمعها معاً في مجلسين مختلفين . وروى ابن خزيمة في آخر هذا الباب ، عن أبي الحباب (٤) . أنه سمع أبا هريرة يذكر هذا الحديث موقوفا . فثبت بطريق الضعف : هذا الحديث . وبتقدير الصحة : فهو كناية عن زيادة الاهتمام بذلك الفعل ، وقوة العناية به - كما تقدم مثله في سائر الالفاظ - (وبالله التوفيق) (٥)

(١) من خ
(٢) وسلم : خ وآله : ط
(٣) هذا الحديث مروي بروايات مختلفة ، ذكرها ابن خزيمة في التوحيد واثبات صفات الرب ص ٦٠ - ٦٢
(٤) ابن حبان ، ط ، أبي الحباب : خ وهو سعيد بن يسار (ص ٦٣ التوحيد) .
(٥) سقط خ

الفصل الحادى والعشرون

فى

السّاعِد

وذكر فى حديث (١) آخر طويل : د ساعد الله : أشد من
ساعِدك ،

(قال الداعى إلى الله المصنف رضى الله عنه) (٢) : إذا صبح هذا الحديث
فحمل على كمال القدرة . ونظيره : قوله تعالى : د إن الله هو الرزاق
ذو القوة المتين (٣) ،

(٢) قال المصنف رحمه الله تعالى : ح

(١) آخر حديث : ط

(٣) الذاريات ٥٨

الفصل الثمانى والعشرون

فى

الأصابع

هذه اللفظة غير مذكورة فى القرآن . لكنها مذكورة فى الأخبار :

الخبر الأول : روى القشيري عن مسلم بن الحجاج عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : كان النبي ﷺ (١) يسكن أن يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قالوا : يا رسول الله (آمنا بك وبما جئت به . فهل تخاف علينا ؟) (٢) فقال : « القلوب بين إصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها (كيف شاء (٣) »

الخبر الثمانى : (ما) (٤) روى صاحب شرح السنة فى باب قوله تعالى : « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم (٥) » أن النبي ﷺ (٦) قال : « ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع رب العالمين (إذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء يزيغه أزاعه) (٧) قال : وكان (النبي) (٨) ﷺ يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » - « والميزان بين يدي الرحمن يرفع أقواماً ، ويضع آخرين إلى يوم القيامة »

(١) وآله وسلم : ط

(٢) أما أنباك غفران ما أتيتك ؟ فهل تخاف بعد ؟ : ط

(٣) سقط خ (٤) ما : سقط خ (٥) الأنعام ١١٠

(٦) وآله وسلم : ط

(٧) إذا شاء عصمه وإذا شاء غير بريته إذا غر : ط

(٨) النبا : من خ

والخبر الثالث : روى ابن خزيمة في كتابه عن علقمة عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : أتى النبي ﷺ رجل من أهل الكتاب . فقال : يا أبا القاسم ، أبلغك أن الله (تعالى) (١) يحمل الخلائق على إصبع ، والسموات (على إصبع (٢)) والارضين على إصبع ، والشجر على إصبع (٣) ، والثرى على إصبع ؟ قال : فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه . فأنزل الله تعالى : وما قدروا الله حق قدره (٤) ، إلى آخر الآية . ثم ذكر ابن خزيمة هذا الحديث برواية أخرى عن عبد الله (بإسناد حسن (٥)) وقال : فضحك (النبي (٦)) ﷺ تعجباً وتصديقاً له .

واعلم : أنه ليس المراد من الإصبع : العضو الجسماني . وبدل عليه وجوه :

الأول : لأنه يلزم أن يكون لله تعالى بحسب كل قلب : إصبعان ، أو يلزم أن يكون لله إصبعان (فقط (٧)) وهما حاصلان في بطن كل إنسان ، حتى يسكون (الجسم) (٨) الواحد حاصلًا في أمكنة كثيرة . وذلك كاه سخيّف وباطل .

الثاني : لأنه يلزم أن يكون إصبعاه في أجوافنا . مع أنه تعالى على العرش - عند المجسمة - وذلك أيضاً محال .

الثالث : لأنه يقتضى أن لا يصح منه التصرف إلا بالأصابع وهو عجز

(٩) تعالى : خ (١٠) على إصبع : من خ
 (١١) ما بين القوسين : سقط خ (١٢) الزمر ٦٧
 (١٣) بن حسن : خ وانظر الحديث في ص ٧٦ من كتاب النوحيد .
 (١٤) النبي : من ط (١٥) فقط : خ يعदान : ط
 (١٦) الجسم : من ط
 (م ١٢ - أساس التقديس)

وحاجة وذلك على الله تعالى محال . والتأويل الصحيح فيه : إن الشيء الذي يأخذه الإنسان بأصابه يكون مقدور قدرته . ومحل تصرفه على وجه السهولة ، من غير عناية أصلاً . ولما كانت الإصبع سبباً لهذه المسكنة والقدرة ، جعل لفظ الإصبع كناية عن تلك القدرة الكاملة .

إذا عرفت هذه المقدمة . فنقول : أما الحديث الأول ففيه سر لطيف .

وذلك لأن المتصرف في البدن ، هو القلب . والقلب لا ينفك عن الفعل وعن الترك . والفعل موقوف على حصول الدواعي إلى الفعل ، والترك موقوف على (عدم) (١٧) حصول تلك الدواعي . ولا خروج عن هاتين الحالتين ، لأن الخروج عن طرفي النقيض محال . ثم إن حصول الدواعي إلى الفعل من الله تعالى ، ولا حصول له من العبد . وإلا لافتقر العبد في تحصيل ذلك الدواعي إلى داع آخر ، ويلزم التسلسل وهو محال . فثبت : أن القلب واقع بين هاتين الحالتين . فإن حصل فيه ما يدعو إلى الفعل ، أقدم (١٨) على الفعل . وإن لم يحصل فيه ذلك ، بقى على الترك . فحصول هاتين الحالتين في قلوب المؤمنين للفعل والترك ، كالإصبعين المؤثرين في قلب الأسياء . وتقلب القلب بسبب هاتين الداعيتين ، يشبه تقلب الشيء المأخوذ بالإصبعين من حال إلى حال . وكما أن الإنسان يتصرف في الشيء المأخوذ بإصبعه بتلك الأصابع ، فخلق سبحانه (وتعالى) (١٩) يتصرف في قلوب عباده بواسطة خلق تلك الدواعي . وهذه النكتة هي السر الأعظم ، والقانون الأشرف في مسألة القضاء والقدر . وقد عبر النبي ﷺ بهذه اللفظة الوجيزة ، والنكتة اللطيفة ، عن هذا السر اللطيف .

(١٧) على حصول ضد تلك الدواعي : لا .

(١٨) أقدم : خ ، عزم : ط

(١٩) وتعالى : من خ

وما يدل على أن المراد ما ذكرناه : ما روينا في الخبر أنه ﷺ كان كثيراً ما يقول : اللهم ثبت قلبي على دينك ،

وأما الخبر الذي رواه عبد الله عن اليهود . فالكلام فيه من وجهين :
الأول : إن هذا الكلام (كلام اليهود) (٢٠) فلا يكون حجة . ولعل النبي ﷺ ضحك عند هذا الكلام استخفافاً به ، فإن الإنسان العاقل إذا سمع كلاماً ، قد يضحك عليه استخفافاً به . بقى أن يقال : أن عبد الله نقل أنه ﷺ ضحك في كلامه نصديقاً له . إلا أنا نقول : هذا تمسك بمجرد الظن ، فلا يكون حجة أصلاً ، ثم إنه معارض بما روى في الخبر أنه ﷺ قرأ عند ذلك قوله تعالى : وما قدرُوا الله حق قدره ، وهذا مشعر بأنه عليه السلام كان منكراً للكلام . الوجه الثاني : إنه إن صَحَّ هذا الخبر فهو محمول على كونه تعالى قادراً على التصرف في هذه الأجسام العظيمة ، بقدرة لا يدفعها دافع ، ولا يعارضها مانع . وذلك لأننا بينا أن الشيء الذي يأخذه الإنسان بإصبعيه يكون قادراً على التصرف فيه على أسهل (٢١) الوجوه ، فكان ذلك الإصبع هنا لتعريف كمال قدرة الله تعالى . ونفاد تصرفه في هذه الأجسام العظيمة . ونظيره قولهم في وصف فعل من الأعمال بالسهولة واليسر : هذا العمل في كفه ، بل على رأس إصبعه . والمراد : ما ذكرناه (وبالله التوفيق) (٢٢)

(١٩) كلام اليهود : من خ

(٢١) أسهل : خ ، اكمل : ط

(٢٢) وبالله التوفيق : سقط خ

الفصل الثالث والعشرون

في

الأنامل

هذه اللفظة غير واردة (في القرآن (١)) ولكنها واردة في الخبر .
وهو ما روى عن النبي ﷺ أنه قل : د وضع يده على كتفى ، (وفي رواية :
وضع كفه على كتفى) (٢) فوجدت برد أنامله فعلمت ما كان وما يكون ،
والتأويل : (مثل أن يقال) (٣) للملك الكبير : ضع يدك على رأس فلان .
والمراد : اصرف عنايتك إليه . فقوله : د وضع يده على كتفى ، معناه :
صرف العناية إلى . وقوله : د فوجدت برد أنامله ، معناه : وجدت أثر
تلك العناية ، فإن العرب تعبر عن وجدان الراحة واللذة ، بوجدان البرد .
وإذا أرادوا الدعاء قالوا : برد الله تلك الديار .

(١) في القرآن : من خ (٢) زيادة من خ
(٣) أن يقال : ص

الفصل الرابع والعشرون

في

الجنب

قال الله تعالى : يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله (١) ،

واعلم : أن المراد ههنا من الجنب : الوحي (٢) . والسبب في حسن
هذا المجاز : أن جنب الشيء إنما يسمى جنباً لأنه (به (٣)) بصير ذلك
الشيء مجانباً لغيره . فمن أتى بعمل على سبيل الإخلاص في حق الله تعالى ،
فقد جانب في ذلك العمل غير الله . فيصح أن يقال : (لأنه أتى بذلك) (٤)
العمل في جنب الله . وهذه الاستعارة معروفة معتادة في العرف (وبالله
التوفيق) (٥)

(١) الزمر ٥٦

(٢) الوجه : ط ، الوحي : خ

(٣) به : خ

(٤) يقال ذلك العمل : ط (٥) وبالله التوفيق : سقط خ

الفصل الخامس والعشرون

في الساق

احتجوا على الساق بالقرآن والخبر .

أما القرآن : فقوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود (١) »

وأما الخبر : فقد روى صاحب شرح السنة (رحمه الله) (٢) في قوله تعالى : « إن زلزلة الساعة شيء عظيم (٣) » عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد (له) (٤) كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة . فيذهب ليسجد له ، فيعود (على) (٥) ظهره ضبة - آ ، واعلم : أنه لاجبة للقوم في هذه الآية ، وفي هذا الخبر . ويدل عليه وجوه :

الأول : لأنه ليس في الآية أن الله تعالى يكشف عن ساق (٦) ، بلفظ مالم يسم فاعله .

والثاني : إن إشارات الساق الواحد للحيوان نقص . وتعالى الله عنه .

(١) القلم ٤٢ ويدعون إلى السجود : من ط
(٢) رحمه الله : ط (٣) أول الحج
(٤) له : ط (٥) على : ط
(٦) القلم ٤٢ ويكشف : من ط

الثالث : إن الكشف عن الساق ، إنما يكون عند الاحتراز عن
تلوث الثوب بشيء مخدوور - وجل إله العالم عنه - بل نقول : المراد
بالساق : شدة أهوال القيامة . يقال : قامت الحرب على ساقها . أى شدتها .
فقوله : ، يكشف عن ساق ، أى عن شدة القيامة ، وعن أهوالها ،
وأنواع عذابها . وأضافه إلى نفسه لأنها شدة لا يقدر عليها إلا الله تعالى .

الفصل السادس والعشرون

في الرجل والقدم

أما الرجل . فقد روى صاحب شرح السنة - رحمه الله - في آخر كتابه ،
عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« تحتاج الجنة والنار . فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ،
وقالت الجنة : فإلى لا يدخلني ، إلا ضعفاء المسلمين وسقطهم . فقال تعالى
للجنة : إنما أنت رحمى أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار :
إنما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى . ولكل واحدة منكما
ملؤها . فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع (الله تعالى) (١) فيها رجله ، فتقول :
قط قط . فهناك (تمتلئ) (٢) ويزوى بعضها إلى بعض . ولا يظلم الله أحداً
من خلقه . وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً ، قال صاحب شرح السنة
(رحمه الله (٣)) : هذا حديث متفق على صحته ، أخرجه الشيخان .

وأما القدم . فروى صاحب هذا الكتاب ، عن أنس (رضى الله
تعالى عنه (٤)) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال
جهنم تقول : « هل من مزيد » ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها ، فتقول .
قط (قط) (٥) وعزتك . ويزوى بعضها إلى بعض . ولا يزال في الجنة

(١) الله تعالى : ط ، الجبار : خ

(٢) تمتلئ : خ (٣) رحمه الله : ط

(٤) رضى الله عنه : ط (٥) قط قط : خ

فضل ، حتى ينشئ الله تعالى خلقا ، فيسكنهم فضول الجنة ، قال صاحب شرح السنة « هذا حديث متفق على صحته ، أخرجه الشيخان ، واعلم . أن هذه الأحاديث لا يمكن إجراؤها على ظاهرها . وبدل عليه وجوه :

الاول : إن الجنة والنار جمادان . فكيف يتصور منهما الحاجة والخاصمة ؟ فإن قالوا : إن الله تعالى يحملهما من الأحياء ، فنقول : إذا حصلت هذه الحالة ، وعرفا ربهما ، امتنعت حصول هذه الحاجة . لأنهما يعرفان أن كل ما يفعله إله العالم فهو عدل وصواب . وعلى هذا التقدير لا تبقى تلك الحاجة . وأيضا : إذا علم الله أنه إذا خلق الحياة فيهما ، فإنهما يقدمان على الحاجة ، ولا تنقطع تلك الحاجة إلا إذا وضع قدمه في النار . كان يجب أن لا يخلق الحياة فيهما ، لئلا تحصل هذه الفتنة .

والثاني : إن هذا الحديث يقتضى أنه تعالى ما كان عالما بمقدار أهل الشواب والعقاب ، فلا جرم خلق الله الجنة والنار ، أوسع من قدر الحاجة ولا جرم احتاج إلى أن يخلق للجنة خلقا آخر ، وأن قدمه في النار .

والثالث : إنه إذا كان له رجل . فالظاهر أنه لا يضع تلك الرجل في النار ، لأنه لو وضع رجله في النار ، وانطفئت النار ، فقد زال العذاب عن أهل النار . وهو غير جائز . وإن بقيت النار مشتعلة ، لزم وقوع الاحتراق في تلك الرجل . وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . فإن قالوا : لم لا يجوز أن يبقى الاحتراق في أبدان السكفار ، ويصون نفسه عن النار والاحتراق ؟ فنقول : إذا قدر على ذلك فلم (لم) (٦) يقدر

على أن ينفي المواضع الخالية عن جهنم ، حتى لا تصير ملجأ إلى وضع القدم فيها .

الرابع : إن النار إنما تطلب بقوطها : « هل من مزيد » ؟ : الذين يستحقون العذاب . ولذلك إذا لم يكن مستحقاً للعذاب ، لم يكن وضع تلك الرجل جواباً عن قوطها : « هل من مزيد » ؟

الخامس : إنه تعالى إن قدر على إسكات جهنم عن تلك المطالبة ، فلم يسكت ؟ وإن (لم يقدر ^(٧)) على إسكاتهما فهذا يوم أنه تعالى جعل رجل نفسه فداء لغيره . وذلك لا يفعله (إلا) ^(٨) أعجز الناس وأجبنهم ^(٩) .

السادس : إن نص القرآن يدل على أن جهنم تمتلئ من المكافين . قال الله تعالى : (لأملاؤن جهنم منكم ، ومن تبعك منهم أجمعين) ^(١٠) وقال : « لأملاؤن جهنم من الجنة والناس أجمعين » ^(١١) وهذا على خلاف قوطهم (إن جهنم ^(١٢)) تمتلئ من رجل الله - تعالى الله عنه علواً كبيراً - فثبت بهذه الوجوه : أن هذه الأخبار ضعيفة جداً .

ثم نقول : إن قلنا بتقدير صحة هذه الالفاظ (فهي ^(١٣)) محتملة للتأويل . فإن من سعى لإزالة خصومة ، وتسكين فتنة ، صح أن يقال : إن فلانا وضع رجله في هذه الواقعة ، ووضع قدمه فيها . ويقال في المجاز المتعارف الظاهر : لك قدم مبارك ، وضع قدمك فيها حتى يصلح ويزول

(٧) لم يقدر : ط ، قدر : خ

(٨) إلا : من ط (٩) وأجبنهم : ط ، وأخسهم : خ

(١٠) ص ٨٥ (١١) هود ١١٩

(١٢) إن جهنم : من خ (١٣) فهي : من ط

الشر . فهذا مجاز سائغ . وحمل اللفظ عليه محتمل . ومن هذا الباب :
ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما قضى الله بين خلقه استلقى
على قفاه . ثم وضع إحدى رجليه على الأخرى ، ثم قال : لا ينبغي لأحد
أن يفعل مثل هذا ، والتأويل : أن المباشر يعمل إذا أئمة استلقى على قفاه .
فعبر النبي صلى الله عليه وسلم عن تميم الأمر بهذه العبارة . وكذا القول
في وضع إحدى الرجلين على الأخرى (وبالله التوفيق (١٤))

الفصل السابع والعشرون

في

الضحك

هذا الوصف لم يرد في القرآن . لكنه ورد في الخبر . روى صاحب شرح السنة - رحمه الله - في باب « آخر من يخرج من النار » عن ابن مسعود - رضي الله عنه - حديثاً طويلاً في صفة من أخرجه الله بفضله من النار . قال : « فسمع أصوات أهل الجنة فيقول : أي رب أدخلنيها . فيقول الله : يا ابن آدم ، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها ؟ فيقول : أي رب . أستهزئ مني ، وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود ، وقال : ألا تسألوني مم أضحك ؟ فقالوا : مم تضحك ؟ فقال . هكذا (١) ضحك رسول الله ﷺ فقالوا : ومم بضحك رسول الله ﷺ ؟ فقال : من ضحك رب العالمين . فيقول الله : إني لا أستهزئ بك ، ونا على ما أشاء قدير ، وذكر أيضاً في أول هذا الباب ، حديثاً طويلاً ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - إلى أن قال : « ثم يقول : يا رب أدخلني الجنة . فيقول الله : أو لست قد زعمت أن لا تسألني غيره ؟ ويلك يا ابن آدم ، ما أغدرك . فيقول : يا رب لا تجعلني أشقى خلقك . فلا يزال يدعو حتى يضحك . فإذا ضحك منه ، أذن الله له بالدخول في الجنة ،

واعلم : أن حقيقة الضحك على الله تعالى محال . ويدل عليه وجوه :

الأول : قوله تعالى : « وأنه هو أضحك وأبكى » (٢) يبين أن اللائق به أن يضحك ويبكى . فأما الضحك والبكاء ، فلا يليقان به . والثاني : إن

(١) هنا : ط هكذا : خ (٢) النجم ٤٣

الضحك سنج يحصل في جلد الوجه ، مع حصول الفرح في القلب وهو على الله تعالى محال . والثالث : لو جاز الضحك عليه ، لجاز البكاء عليه . وقد التزمه بعض الحققى ، وزعم : أنه بكى على أهل طوفان نوح عليه السلام . وهذا جهل شديد . فإنه تعالى هو الذى خلق الطوفان . فإن كرهه فلم خلقه ؟ وإن لم يكرهه ، فلم ينكر عليه ؟ الرابع : إن الضحك إنما يتولد من التعجب ، والتعجب حالة تحصل للإنسان عند الجهل بالسبب . وذلك في حق عالم الغيب والشهادة محال .

إذا ثبت هذا ، فنقول : وجه التأويل فيه من وجوه : أحدها : إن المصدر كما يحسن إضافته إلى المفعول ، فكذلك يحسن إضافته إلى الفاعل . فقله : ضحكك من ضحك الرب ، أى من الضحك الحاصل في ذاتي ، بسبب أن الرب خلق ذلك الضحك . الثاني : أن يكون المراد : أنه تعالى لو كان (٤) من يضحك كالمملوك ، كان هذا القول مضحكا له . الثالث : أن يحمل الضحك على حصول الرضى والإذن . وهذا فرع مشهور من الاستعارة .

وأما حديث أبي هريرة - رضى الله عنه - وهو أن العبد يقول : لا تجعلنى أشقى خلقك ، فيضحك الله منه ، فيجوز أن يكون قد وقع الغلط في الإعراب . وكان الحق : فيضحك الله منه ، أى يضحك الله الملائكة من ذلك القول . والذى يدل على أن ما ذكرناه ، محتمل : أن أبا هريرة ، وأبا سعيد الخدرى رضى الله عنهما اختلفا في قدر عطية ذلك الرجل . فقال أبو سعيد : يعطيه الله ذلك المطلوب ، وعشرة أمثاله . وقال أبو هريرة : يعطيه الله ذلك ، ومثله معه . وهذا الاختلاف بينهما في الحديث مذكور في كل كتب الأحاديث . ولما لم يضبط هذا الموضع من الخبر ، يجوز عدم الضبط في ذلك الإعراب (وبالله التوفيق) (٥)

(٤) ممن : ط ، يمكن : خ

(٣) سنج : ط ، شنج : خ

(٥) وبالله التوفيق : من ط

الفصل الثامن والعشرون

في

الفرح

عن النعمان بن بشير - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : الله أفرح بتوبة العبد من العبد ، إذا ضلت راحلته في أرض فلاة في يوم قائل ، وراحلته عليها زاده ومزاده . إذا ضلت (راحلته أيقن بالهلاك) (١) ، وإذا وجدها ، فرح بذلك . فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا العبد ، وقال ﷺ : لا يبطأ الرجل المساجد للصلاة والذكر ، إلا تبشش الله تعالى إليه ، كما تبشش أهل الغائب بغائبهم ، إذا قدم عليهم ، والتأويل : هو أن من يرضى بالشئ يفرح به . فيسمى الرضا : بالفرح . وهذا هو الكلام في البشاشة . ومن هذا الباب قوله ﷺ : عجب ربكم من شاب ليس له صبوة ، وفي حديث آخر : عجب ربكم من ثلاثة : القوم إذا اصطفوا في الصلاة ، والقوم إذا صلوا في قتال المشركين ، ورجل يقوم إلى الصلاة في جوف الليل ، وقرأ : دبل حجبت ويسخرون - بضم التاء - وذلك يدل على ثبوت هذا المعنى في حق الله تعالى . واعلم : أن التأويل هو : أن التعجب حالة تحصل عند استعظام الأمر . فإذا عظم الله تعالى فعلاً ، إما في كثرة ثوابه أو في كثرة عقابه ، جاز إطلاق لفظ التعجب عليه (والله التوفيق) (٢)

(١) البصير بالفلاة : خ

(٢) من ط

الفصل التاسع والعشرون في الحياء

قال الله تعالى : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً (١) ما ، وروى سلمان - رضى الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله حي كريم ، يستحي إذا (٢) رفع العبد يديه إليه ، أن يردهما صفراً . حتى يضع فيهما خيراً ،

واعلم : أن الحياء : تغير وانكسار يعتري الإنسان في خوف ما يعاتب ويذم به . واشتقاقه من الحياة . يقال : حي الرجل . كما يقال : نسي الرجل وخشى ، وسطى القوس ، إذا أغفلت هذه الأجزاء . جعل الحياء لما يعتريه (٣) من الانكسار . والتغير متنكس القوة ، منتقص الحياة . ولهذا يقال : فلان هلك حياء من كذا (ومات حياء من كذا) (٤) ورأيت الهلال في وجهه من شدة الحياء ، وذاب حياء .

إذا ثبت هذا . فنقول : لا بد من تأويله . وفيه وجهان :

الأول : وهو أن القانون الكلي في أمثال هذه الصفات : أن كل صفة تثبت للعبد مما يختص بالأجسام . إذا وصف الله تعالى بذلك ، فهو محمول على نهايات الأغراض ، لا على بدايات الأغراض . مثاله : أن الحياء حالة تحصل للإنسان ، ولها مبدأ ونهاية . أما البداية فيها فهو التغير

(١) البقرة ٢٦ (٢) رفع ط ، مد : خ
(٣) يقربه : ط ، يعتريه : خ (٤) ومات حياء من كذا : خ

الجسماني ، الذي يلحق الإنسان من خوف أن يسب إلى القبيح. وأما النهاية فهي أن يترك الإنسان ذلك الفعل ، فإذا ورد الحياء في حق الله تعالى ، فليس المراد منه : ذلك اللحق (٥) الذي هو مبدأ الحياء وتقدمته . بل المراد : هو ترك الفعل الذي هو منتهاه وغايته . وكذلك الغضب له مبدأ وهو غليان دم القلب وشهوة الانتقام ، وله غاية وهو إيصال العقاب إلى المغضوب عليه . فإذا وصفنا الله تعالى بالغضب ، فليس المراد هو ذلك المبدأ - أعني غليان دم القلب وشهوة الانتقام - بل المراد : تلك النهاية ، وهي إنزال العقاب . فهذا هو القانون .

والثاني : إن الذي لا يجوز على الله (تعالى (٦)) من جنس هذه الأوصاف . فهل يجوز ذكره على سبيل النفي عن الله تعالى ؟ قال بعضهم : إنه لا يجوز إطلاق هذه الالفاظ على طريقة النفي ، بل يجب أن يقال : إنه تعالى لا يوصف (بها) فأما أن يقال : إنه لا يستحي ويطلق ذلك . فمحال . لأنه يوهن نفى ما يجوز عليه . وما ذكره الله تعالى في كتابه من قوله : لا تأخذه سنة ولا نوم (٧) ، - دلم يند ولم يولد (٨) ، فهو وإن كان في صورة النفي ، لكنه ليس في الحقيقة . بل المراد منه : نفى صحة الانصاف ، وكذا قوله : دما كان لله أن يتخذ من (٩) ولد ، وقوله : دما اتخذ الله من (١٠) ولد ، وقوله : د وهو يطعم ولا يطعم (١١) ، وليس كل ما ورد في القرآن إطلاقه ، جاز أن يطلق في المخاطبات ، بل الحق : أنه لا يجوز إطلاق ذلك إلا مع بيان أنه محال ، تنع في حق الله تعالى .

(٥) اللحق : خ ، الجواب : ط (٦) تعالى : خ

(٧) البقرة ٢٥٥ (٨) الاخلاص ٣

(٩) مريم ٣٥ (١٠) المؤمنون ٩١

(١١) وهو يطعم وهو لا يطعم : الانعام : ١٤

وقال آخرون : لا بأس بإطلاق هذا النفي . لأن هذه الصفات منتفية
عن الله تعالى . فكان الإخبار عن عدمها : صدقاً . فوجب أن يجوز ذلك
(النفي) (١٢)

(بقي أن) (١٣) يقال : إن الأخبار عن انتفاءها . يقتضى (صحة
إطلاقها) (١٤) عليه . إلا أننا نقول : هذه الدلالة ممنوعة . فإن الإخبار
عن عدم الشيء لا دلالة فيه على أن ذلك الشيء جائز عليه أو ممتنع
(عنه) (١٥) بل لو قرن باللفظ ما يدل على انتفاء الصحة أيضاً ، كان ذلك
أحسن من حيث إنه يكون مبالغة في البيان في إزالة الإيهام . وليس يلزم
من كون غيره أحسن منه ، كونه في نفسه قبيحاً (واقفه أعلم) (١٦)

(١٢) النفي : سقط خ

(١٣) بقي أن : خ وقد يقال : ط

(١٤) سحتها : خ (١٥) عنه : خ

(١٦) والله أعلم : سقط خ

الفصل الثلاثون
في
ما يتمسكون به في اثبات الجهة لله تعالى

تمسكوا في ذلك بالقرآن والأخبار (والمعقول . والوجوه المركبة من السمع والعقل) (١)

أما القرآن : فن عشرة أوجه :

الأول : التمسك بالآيات الستة الواردة بلفظ الاستواء على العرش (٢).

الثاني : التمسك بالآيات المشتملة على لفظ الفوق . فقد قال تعالى :

« وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير » (٣) ، وقال : « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة » (٤) ، وقال : « يخافون ربهم من فوقهم » (٥) ،

الثالث : الآيات المشتملة على لفظ العلو . كقوله تعالى : « وهو العلي

العظيم » (٦) ، وقوله تعالى : « وهو العلي الكبير » (٧) ، وقوله : « سبح اسم

ربك الأعلى » (٨) ، وقوله : « إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى » (٩) ، وأيضا :

تواتر النقل في قوله تعالى : « سبحان الأعلى » (١٠) ،

(١) زيادة

(٢) منها : « ثم استوى على العرش » (الأعراف ٥٤)

(٣) الأنعام ١٨ (٤) الأنعام ٦١

(٥) النحل ٥٠ (٦) البقرة ٢٥٥

(٧) سبأ ٢٣ (٨) الأعلى ١

(٩) الليل ٢٠

(١٠) قراءة بدل «سبح» وفي ط : سبحان ربى الأعلى

الرابع : الآيات المشتملة على لفظ العروح لإليه والصمود . قال تعالى :
« نخرج الملائكة والروح (١١) إليه » ، وقال : « إليه يصعد الكلم
الطيب (١٢) » .

الخامس . الآيات المشتملة على لفظ الإنزال والتزليل . قالوا : وهي
كثيرة تزيد على المئتين في حق القرآن المبين ، والروح والملائكة المقربين
والتوراة والإنجيل .

السادس : الآيات المقرونة بحرف « إلى » مع أنها لا انتهاء الغاية منها :
قوله تعالى : « إلى ربها ناظرة (١٣) » ، وذلك يقتضى انتهاء النظر إليه .
وقوله : « ثم إلى ربكم ترجعون » (١٤) وقوله : « وإلى المصير (١٥) » ، وقوله :
« أرجعي إلى ربك (١٦) » .

السابع : قوله تعالى : « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (١٧) »
والحجاب إنما يصح في حق من يكون جسما ، وفي جهة . حتى يصير محجوبا
بسبب شيء آخر .

الثامن : الآيات الدالة على أنه في السماء . قال : « أم أمنتم من في
السماء (١٨) » ؟ وقال : « قل : لا يعلم من في السموات والأرض الغيب
إلا الله (١٩) » .

التاسع : الآيات المشتملة على الرفع إليه . قال تعالى في حق عيسى
عليه السلام : « إني متوفيك ورافعك إلى (٢٠) » ، وقوله : « وما قتلوه يقنا .

(١٢) فاطر ١٠	(١١) المعارج ٤
(١٤) السجدة ١١	(١٣) القیامة ٢٣
(١٦) الفجر ٢٨	(١٥) الحج ٤٨
(١٨) الملك ١٧	(١٧) المطففين ١٥
(٢٠) آل عمران ٥٥	(١٩) النمل ٦٥

بل رفعه الله إليه، (٢١)

العاشر : الآيات المشتملة على العندية ، كقوله : « إن الذين عند ربك (٢٢) ، وقوله : « عند ملك مقتدر (٢٣) ، وقوله : « رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة (٢٤) ، وقوله : « فالذين عند ربك (٢٥) ، وقوله : « ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ، (٢٦)

فهذا بيان وجوه تمسكتهم من القرآن في إثبات الجهة لله تعالى . قالوا والذي يدل على أنها محكمة غير متشابهة : أنها في غاية الكثرة ، وقوة الدلالة . ولو كانت من المتشابهات ، لتكلم فيها أحد من الصحابة والتابعين وذكروا تأويلاتها . وحيث لم ينقل عن أحد منهم ذلك ، علمنا أنها محكمة لامتشابهة .

وأما الأخبار فكثيرة :

الخبر الأول : ما رواه أبو داود في باب «الرد على الجهمية والمعتزلة» عن حسن بن محمد بن مطعم ، عن أبيه ، عن جده . قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هلكت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلك الأموال . فاستسق لنا ربك ، فإننا نستشفع بالله عليك وبك ، على الله . فقال عليه السلام : « سبحان الله . سبحان الله ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه . ثم قال : « ويحك أما تدري أن الله شأنه أعظم من ذلك ؟ إنه لا يستشفع به علي أحد . إنه لغوق

(٢١) النساء ١٥٧ — ١٥٨ (٢٢) الأعراف ٢٠٦

(٢٣) القبر ٥٥ (٢٤) التحريم ١١

(٢٥) فصلت ٣٨ (٢٦) الأنبياء ١٩

سمواته على عرشه ، وأنه عليه هكذا ، وأشار وقبب بيده ، مثل القبة عليه
وأشار أبو الأزهر أيضا : « يأت به أطيظ الرجل (٢٧) بالراكب »

الخبر الثاني : ماروي صاحب شرح السنة في باب «سعة رحمة الله تعالى»
عن أبي هريرة (رضي الله عنه (٢٨) عن النبي ﷺ : لما قضى الله الخلق
كتب كتابا ، فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي .

الثالث : ما أخرج في الصحيح عن عمر بن الحكم ، أنه قال : كنت
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله : إن لي جارية كانت
ترعى غنما ، فحجتها . فقدت شاة ، فسألتها . فقالت : أكلها الذئب .
فاستبقت (٢٩) عليها فلطمت وجهها . وعلى رقبة . أفاعتقها ؟ فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين الله » ؟ فقالت في السماء . فقال :
« من أنا » ؟ قالت : أنت رسول الله . فقال عليه السلام : « ااعتقها فإنها مؤمنة »
قالوا : وهذا يدل على التصريح من (رسول الله) (٣٠) صلى الله عليه وسلم
بأن الله في السماء .

وأما المعقول : فقد تقدم من قولهم : إنا تعلم بالضرورة : أن كل
موجودين ، فلا بد وأن يكون أحدهما حالا في الآخر ، أو مباينما عنه
بجهة من الجهات . وتقدم الاستقصاء في الجواب عنها . وبالله التوفيق .

وأما الوجوه المركبة من السمع والعقل فوجهان :

الأول : قصه المعراج . تدل على أن المعبود مختص بجهة فوق . وربما
تمسكوا في هذا المقام بقوله : « ثم دنى فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ،

(٢٧) الرجل : ط ، الرجل : خ (٢٨) رضي الله عنه : خ

(٢٩) فأسفت : ط ، فاستبقت : خ

(٣٠) الرسول : خ

وهذا يدل على أن ذلك الدنو بالجهة . ثم قال : د فأوحى إلى عبده ما أوحى ، وهذا يدل على أن ذلك الدنو إنما كان من الله تعالى . وهذا يدل على أنه مختص بجهة فوق .

الثاني : تمسكوا بقول فرعون : د يا هامان ابن لي صرحا ، لعل أبلغ الأسباب . أسباب السموات . فأطلع إلى إله موسى ، (٣١) ثم أن موسى عليه السلام (ما(٣٢)) أنكر عليه هذا الكلام . فدل ذلك : على أن الإله في السماء .

فهذا جملة ما يتمسكون به في هذا الباب .

واعلم : أن لنا في الجواب عن هذه الكلمات : نوعان من الجواب :

النوع الأول : أن نقول للكرامية : أنتم ساعدتمونا على أن ظواهر القرآن ، وإن دلت على إثبات الأعضاء والجوارح لله تعالى . فإنه يجب القطع بنفيها عن الله تعالى ، والجزم بأنه منزه عنها . وما ذاك إلا أنه لما قامت الدلائل القطعية على استحالة الأعضاء والجوارح على الله تعالى ، وجب القطع بتنزيهه الله عنها ، والجزم بأن مراد الله تعالى من تلك الظواهر ، شئ آخر . فكذا في هذه المسألة : نحن ذكرنا الدلائل العقلية القاطعة في أنه تعالى يمتنع أن يكون مختصا بالمكان والجهة والحيز . وإذا كان الأمر كذلك ، وجب القطع بأن مراد الله تعالى من هذه الظواهر التي تمسكتم بها ، شئ آخر سوى إثبات الجهة لله تعالى . وهذا إلزام قاطع ، وكلام قوى . إلا أن نقول : إن تلك الدلائل العقلية التي تمسكتم بها ، ليست قطعية . بل هي محتملة . فنحن إذا يجب علينا أن نتكلم معكم في تقرير تلك الدلائل ،

ودفع وجوه الاحتمال عنها . فثبت بهذا الطريق : أنا متى بينا أن تلك الدلائل العقلية قاطعة يقينية لم تقدر الكرامية على معارضة تلك العقليات اليقينية بهذه الظواهر . وهذا كلام في غاية القوة . وعند هذا نختار مذهب السلف ، ونقول : لما عرفنا بتلك القواطع العقلية : أنه ليس مراد الله تعالى من هذه الآيات : إثبات الجهة لله تعالى ، فلا حاجة بنا بعد ذلك إلى بيان أن مراد الله تعالى من هذه الآيات . ما هو ؟ وهذا الطريق أسلم في ذوق النظر ، وعن الشغب أبعد .

النوع الثاني : أن نتكلم عن كل واحد من هذه الوجوه على سبيل التفصيل :

أما الذي تمسكوا به أولا . وهو الآيات الستة الدالة على استواء الله تعالى (٣٣) على العرش . فنقول : إنه لا يجوز أن يكون مراد الله تعالى من ذلك الاستواء : هو الاستقرار على العرش . ويدل عليه وجوه :

الأول : إن ما قبل هذه الآية ، وهو قوله تعالى : د تنزيلاً من خلق الأرض والسموات العلى ، قد بينا أن هذه الآية تدل على أنه تعالى غير مختص بشيء من الأحياء والجهات .

الثاني : إن ما بعد هذه الآية ، وهو قوله تعالى : د له ما في السموات وما في الأرض ، قد بينا : أن السماء هو الذي فيه سموا وفوقية ، فكل ما كان في جهة فوق ، فهو سما . وإذا كان كذلك ، فقوله : د له ما في السموات وما في الأرض ، يقتضى أن كل ما كان حاصلًا في جهة فوق ، كان في السماء . وإذا كان كذلك ، فقوله : د له ما في السموات وما في الأرض ، يقتضى أن كل ما كان

حاصلاً في جهة فوق ، فهو ملك لله تعالى وملوك له . فلو كان تعالى مختصاً بجهة فوق ، لزم كونه ملوكاً لنفسه (من غير محل) (٣٤) وهو محال . فثبت : أن ما قبل قوله « الرحمن على العرش استوى » (٣٥) وما بعده . ينفي كونه سبحانه وتعالى مختصاً بشيء من الأحياء والجهات . وإذا كان كذلك امتنع أن يكون المراد بقوله « الرحمن على العرش استوى » : هو كونه مستقراً على العرش .

الثالث : أن ما قبل هذه الآية وما بعدها : مذكور لبيان كل قدرة لله تعالى ، وغاية عظمته في الإلهية ، وكال التصرف ، لأن قوله : « تنزيلاً من خلق الأرض والسموات العلى » (٣٦) لا شك أن المفهوم منه : بيان كمال قدرة الله تعالى ، وكال إلهيته . وقوله : « دله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » (٣٧) يبين أيضاً لكمال ملكه (٣٨) وإلهيته . وإذا كان الأمر كذلك ، وجب أن يكون قوله : « الرحمن على العرش استوى » كذلك . وإلا لزم أن يكون ذلك كلاماً أجنبيّاً عما قبله وعما بعده . وذلك غير جائز فأما إذا حملناه على كمال استيلائه على العرش ، الذي هو أعظم المخلوقات في الموجودات المحدثه ، كان ذلك موافقاً لما قبل هذه الآية ولما بعدها . فكان هذا الوجه أولى ،

الرابع : إن الجالس على العرش لا بد وأن يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش ، غير الحاصل منه في يسار العرش : فيلزم كونه في نفسه مؤلفاً ومركباً وذلك على الله تعالى محال .

(٣٤) من غير محل : خ (٣٥) طه ه
(٣٦) طه ع (٣٧) طه ج
(٣٨) ملكه : ط ، شأنه : خ

الخامس : إن الجالس على العرش إن قدر على الحركة والانتقال كان محدثاً . لأن ما لا ينفك عن الحركة والسكون ، كان محدثاً . وإن لم يقدر على الحركة . كان كالمربوط ، بل كان كالزمن ، بل أسوأ حالا منهما ، فإن الزمن إذا اراد^(٣٩) الحركة في رأسه أو حقيقته ، أمكنه ذلك ، وكذا المربوط وهو غير ممكن في الله تعالى .

السادس : إنه لو حصل في العرش (فإن حصل)^(٤٠) في سائر الأحياء ، يلزم منه كونه مخالطاً للقاذورات والنجاسات : وإن لم يكن كذلك ، كان له ظرف ونهاية وزيادة ونقصان ، وكل ذلك على الله تعالى محال .

السابع : قوله تعالى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ، فلو كان العرش مكاناً لمعبودهم ، لكانت الملائكة الذين يحملون العرش حاملين إله العالم . وذلك غير معقول ، لأن الخالق هو الذي يحفظ المخلوق . أما المخلوق فلا يحفظ الخالق ولا يحمله . ولا يقال : هذا إنما يلزم إذا كان الإله معتمداً على العرش متكئاً عليه ، ونحن لا نقول ذلك . لأننا نقول على هذا التقدير : لا يكون الله تعالى مستقراً على العرش ، لأن الاستقرار على الشيء ، إنما يحصل إذا كان معتمداً عليه . ألا ترى أنا إذا وضعنا جسماً على الأرض ، قلنا : إنه مستقر على الأرض ، ولا نقول : الأرض مستقرة عليه . وماذا كان إلا لأن الشيء معتمداً على الأرض ، والأرض غير معتمدة عليه . ولو لم يكن الإله معتمداً على العرش ، لحينئذ لا يكون مستقراً على العرش ، وعلى هذا التقدير ، يلزمهم ترك ظاهر الآية . وحينئذ تخرج الآية عن كونها حجة .

الثامن : إنه تعالى كان ولا عرش ولا مكان . ولما خلق الخلق ، يستحيل

(٤٠) لكان حاصلًا : ط

(٣٩) شاء : خ ، اراد : ط

أن يقال : إنه تعالى صادر مستقراً على العرش ، بعد أن لم يكن كذلك .
لأنه تعالى قال : « ثم استوى » على العرش ، وكلمة « ثم » للتراخي .

التاسع : إن ظاهر قوله تعالى : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » (٤١) وقوله : « وهو معكم أينما كنتم » (٤٢) وقوله : « وهو الذي في السماء إله ، وفي الأرض (٤٣) إله » ، ينفى كونه مستقراً على العرش ، وليس تأويل هذه الآيات لنفي الآيات التي تمسكوا بها على ظاهرها : أولى من العكس .

العاشر : إن الدلائل العقلية القاطعة التي قدمنا ذكرها ، تبطل كونه تعالى مختصاً بشيء من الجهات . وإذا ثبت هذا ، ظهر أنه ليس المراد من الاستواء : الاستقرار . فوجب أن يكون المراد : هو الاستيلاء ، والقهر ونفاذ القدر ، وجريان الأحكام الإلهية . وهذا مستقيم على قانون اللغة .
فقد قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

والذي يقرر ذلك : أن الله - تعالى - إنما أنزل القرآن بحسب عرف أهل اللسان وعاداتهم . ألا ترى أنه تعالى قال : « وهو خادعهم » (٤٤) وقال : « وهو أهون عليه » (٤٥) وقال : « مكروا ومكر الله » وقال : « الله يستهزئ بهم » (٤٧) والمراد في الكل : أنه تعالى يعاملهم معاملة الخادعين والمأكرين والمستهزئين . فكذلك همنا ، المراد من الاستواء على العرش : التدبير بأمر الملك والملوكوت . ونظيره : أن القيام أصله الانتصاب ، ثم يذكر بمعنى الشروع في الأمر ، كما يقال : قام بالملك .

(٤٢) الحديد ٤
(٤٤) النساء ١٤٢
(٤٦) آل عمران ٥٤

(٤١) ق ١٦
(٤٣) الزخرف ٨٤
(٤٥) الروم ٢٧
(٤٧) البقرة ١٥

فإن قيل : هذا التأويل غير جائز . لوجوه : الأول : إن الاستيلاء
عبارة عن حصول الغلبة بعد العجز . وذلك في حق الله تعالى محال .
الثاني : إنه إنما يقال : فلان استولى على كذا ، إذا كان له منازع ينازعه
وذلك في حق الله تعالى محال . الثالث : إنه إنما يقال فلان استولى على
كذا : إذا كان المستولى عليه موجودا (قبل ذلك) (٤٨) وهذا في حق الله
تعالى محال . لأن العرش إنما حدث بتكوينه وتحليقه . الرابع : إن
الاستيلاء بهذا المعنى حاصل بالنسبة إلى كل المخلوقات . فلا يبقى لتخصيص
العرش بالذكر فائدة .

والجواب : إن مرادنا بالاستيلاء القدرة التامة الخالبة عن المنازع
والمعارض والمدافع . وعلى هذا التقدير ، فقد زالت هذه المطاعن بأسرها .
وأما تخصيص العرش بالذكر . ففيه وجهان : الأول : إنه أعظم
المخلوقات ، يخص بالذكر لهذا السبب ، كما أنه خصه بالذكر في قوله :
« هو رب العرش العظيم » (٤٩) لهذا المعنى . قال الشيخ العزالي - رحمه الله -
في كتاب « إلهام العوام » : « السبب في هذا التخصيص : هو أنه تعالى يتصرف
في جميع العالم ، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، بواسطة العرش .
فإنه تعالى لا يحدث صورة في العالم مالم يحدثها في العرش ، كما لا يحدث النقاش
والكاتب صورة البناء (على البياض ، مالم يحدثها في الدماغ ، بل لا يحدث
صورة البناء) (٥٠) في الخارج . مالم يحدث صورته في الدماغ ، بواسطة القلب
والدماغ يدبر الروح أمر عالمه الذي هو يدبر . فكذا بواسطة العرش
يدبر الله أمر كل العالم » (٥١)

(٤٨) قبل ذلك : سقط خ

(٤٩) المؤمنون ١١٦ (٥٠) ما بين القوسين : سقط خ

(٥١) العبارة في الحام العوام صفحة ٧٥

واعلم : أن هذا الكلام مبنى على أصول الحكما (فى أن تأثير) (٥٢) البارى تعالى فى العقل ، وتأثير العقل فى تدبير العالم العلوى ، وتأثير تدبير العالم العلوى فى السفلى . وقد تكلمنا عليه فى المكتب العقلية المحضة .

أما الذى ذكره ثانياً وهو التسك بالآيات المشتملة على ذكر

الفوقية . جوابه : أن لفظ الفوق (يستعمل) فى الرتبة والقررة . فقد قال الله تعالى : « وفوق كل ذى علم عليم » (٥٣) - « وإنا فوقهم قاهرون » (٥٤) « يد الله فوق أيديهم » (٥٥) والمراد بالفوقية فى هذه الآيات : الفوقية بالقهر والقدرة (ويستعمل فى الفوق ، الذى بمعنى الجهة) (٥٦) قال تعالى : « بعوضة فما فوقها » (٥٧) أى أزيد منها فى صفة الصغر والحقارة . وإذا كان لفظ الفوق محتملاً للفوق فى الرتبة ، والفوق فى الجهة ، فلم حملوه على الفوق فى الجهة ؟

والذى يدل على أن المراد بلفظ الفوق هنا : الفوق بالقدرة والممكنة

وجوه :

الأول : إنه قال : « وهو القاهر فوق عباده » (٥٨) والفوقية المقرونة بالقهر ، هى الفوقية بالقدرة والممكنة ، لا بمعنى الجهة . بدليل : أن الحارس قد يكون فوق السلطان فى الجهة . ولا يقال إنه فوق السلطان (٥٩) .

(٥٢) وهو أن تأثير : ص (٥٣) يوسف ٧٦

(٥٤) الأعراف ١٢٧ (٥٤) الفتح ١٠

(٥٥) الفتح ١٠

(٥٦) زيادة (٥٧) البقرة ٢٦

(٥٨) الأنعام ٦١

(٥٩) السلطان فقط : خ

الثاني : إنه تعالى وصف نفسه بأنه مع عبده فقال : **د** إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون (٦٠) ، (وقال : **د** إن الله مع الصابرين (٦١)) وقال **د** وهو معكم أينما كنتم (٦٢) ، وقال : **د** ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (٦٣) ، وقال : **د** وإذا سألك عبادي عني ؟ فإني قريب (٦٤) ، وقال : **د** ما يكون من بحوي ثلاثة إلا هو رابعهم (٦٥) ، وإذا جاز حمل المعية في هذه الآيات : على المعية بمعنى العلم والحفظ والحراسة فلم لا يجوز حمل الفوقية في الآيات التي ذكرت على الفوقية بالقهر والقدرة والسلطنة ؟

الثالث : إن الفوقية الحاصلة بسبب الجمة ، ليست صفة المدح ، لأن تلك الفوقية حاصلة للجمة والخير بعينها وذاتها ، وحاصلة للمتمكن في ذلك الخير بسبب ذلك الخير ولو كانت الفوقية بالجمة صفة مدح ، لزم أن تكون الجمة أفضل وأكمل من الله تعالى . ولا يقال : يلزمكم أن تقولوا : بأن القدرة أفضل وأكمل من الله تعالى . لأننا نقول : القدرة صفة القادر ، وممتعة الوجود بدونه ، بخلاف الخير والجمة . فإنه غنى عن الممكن . فثبت : أن السكال والفضيلة إنما يحصلان بسبب الفوقية ، بمعنى القدرة والسلطنة . فكان حمل الآية عليه أولى .

أما قوله تعالى في صفة الملائكة : **د** يخافون ربهم من فوقهم (٦٦) ، ففيه جواب آخر : وهو أنه يحتمل أن يكون قوله : **د** من فوقهم ، صلة لقوله : **د** يخافون ، أى يخافون من فوقهم ربهم . وذلك لأنهم يخافون نزول العذاب عليهم من جانب فوقهم .

(٦١) الانفك ٤٦ وفي خ ومع الصابرين

(٦٣) ق ١٦

(٦٥) المجادلة ٧

(٦٠) النحل ١٢٨

(٦٢) الحديد ٤

(٦٤) البقرة ١٨٦

(٦٦) النحل ٥٠

وأما الذى ذكره ثالثاً . وهو التمسك بالآيات المشتملة على لفظ

العلو : فالجواب : إن لفظ العلو كما يستعمل فى العلو بسبب الجهة ، فقد يستعمل أيضاً فى العلو بسبب القدرة . فإنه يقال : السلطان أعلى من غيره ، ويكتب فى أمثلة السلاطين : الديوان الأعلى . ويقال لأمرهم (٦٧) الأمر الأعلى (ويقال (٦٨)) لمجالسهم : المجلس الأعلى . والمراد فى الكل : العلو ، بمعنى : القهر والقدرة . لا بسبب المكان والجهة .

وأيضاً : قال الله تعالى لموسى : « لا تخف لأنك أنت الأعلى » (٦٩) وقال : « ولا تهزوا ولا تحزنوا ، وأنتم الأعلون » (٧٠) ، وقال : « وكلمة الله هى العليا » (٧١) ، وقال فرعون : « أنا ربكم الأعلى » (٧٢) ، والعلو فى هذه المواضع بمعنى العلو بالقدرة ، لا بمعنى العلو بالجهة .

والذى يدل على أن المراد ما ذكرناه : وجوه :

الأول : لأنه تعالى قال : « سبح اسم ربك الأعلى » (٧٣) ، فحكم بأنه تعالى أعلى من كل ما سواه . والجهة شئ سواه . فوجب أن تكون ذاته أعلى من الجهة . وما كان أعلى من الجهة ، يتمتع أن يكون علوه بسبب الجهة . فثبت : أن علوه لنفس ذاته ، لا بسبب الجهة . ولا يقال : الجهة ليست بشئ موجود حتى قد دخل تحت قوله : « سبح اسم ربك الأعلى » ، لأننا نقول : قد بينا فى باب الدلائل العقلية : أنها لا بد وأن تكون أمراً موجوداً .

الثانى : هو أنه تعالى لو كان فى جهة فوق . فإما أن يكون له فى جهة

(٦٧) لأمرهم : خ

(٦٨) يقال : سقط ح

(٧٠) آل عمران ١٣٩

(٦٩) طه ٦٨

(٧٢) النزاعات ٢٤

(٧١) التوبة ٤٠

(٧٣) أول الأعلى .

فوق : نهاية ، وإما أن لا يكون له في تلك البهجة : نهاية ، فإن كان الأول لم يكن أعلى الأشياء لان الأحياء الخالية فوقه تكون أعلى منه ، ولأنه قادر على خلق الأجسام في جميع الأحياء . فيكون قادراً على خلق عالم في تلك الأحياء التي هي فوقه ، فيكون ذلك العالم على ذلك التقدير أعلى منه . وإنما قلنا : لانهاية لذات الله تعالى من جهة فوق ، لأن هذا الجانب المنتهى منه ، مخالف في الماهية للجانب الذي هو غير متناه . ولا يصح على كل واحد منهما ما صحح على الآخر ، وصح أن ينقلب غير المنتهى متناهياً ، والمنتهى غير متناه . وذلك يقتضى جواز الفصل والوصل في ذات الله تعالى . وهو محال .

الثالث : إنه إذا كان غير متناه من جانب الفوق ، فلا جزء إلا وفوقه جزء آخر . وكل ما فوقه غيره : لم يكن أعلى الموجودات . فإذا لم يكن في تلك الأجزاء شيء هو أعلى الموجودات . فثبت بما ذكرنا : أن كل ما كان مختصاً بالجهة ، فإنه لا يمكن وصفه بأنه أعلى الموجودات . وإذا كان كذلك وجب أن يكون علوه - تعالى - لا بالجهة والخيز . وهو المطلوب .

وأما الذي تمسكوا به رابعاً : وهو الآيات المشتملة على لفظ العروج . كقوله تعالى : « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض . ثم يعرج إليه (٧٤) » ، وقوله : « ذى المعارج تعرج الملائكة والروح (٧٥) إليه ، فجوابه : إن المعارج جمع معرج ، وهو المصعد ، ومنه قوله تعالى : « ومعارج عليهم - ا يظهم . ون (٧٦) » ، وليس في هذه الآيات (٧٧) بيان أن تلك المعارج : معارج لأي شيء ؟ فحقت حجتهم في هذا الباب . بل يجوز أن تكون تلك

(٧٥) المعارج ٢ - ٣

(٧٤) السجدة ٥

(٧٦) الزخرف ٣٣

(٧٧) الآية : خ

المعارج : معارج لنعم الله تعالى ، أو معارج للملائكة ، أو معارج لأهل الثواب .
 وأما قوله تعالى : « تعرج الملائكة والروح إليه » فنقول : ليس المراد من
 حرف « إلى » في قوله « إليه » : المسكن . بل المراد : انتهاء الأمر إلى
 مراده . ونظيره : قوله تعالى : « وإليه يرجع الأمر كله » (٧٨) ، والمراد :
 انتهاء أهل الثواب إلى منازل العز والكرامة . كقول إبراهيم : « إني ذاهب
 إلى ربي سيهدين » (٧٩) ، ويسكون هذا إشارة إلى أن دار الثواب أعلى الأماكن
 وأرفعها ، بالنسبة إلى أكثر المخلوقات .

وأما الذي تمسكوا به خامساً : وهو لفظ الإنزال والتنزيل . فجوابه :
 إن مذهب الخصم : أن القرآن حروف وأصوات . فيكون الانتقال
 عليها محالاً . فكان إطلاق لفظ الإنزال والتنزيل عليها مجازاً بالاتفاق .
 فلم يحز التمسك به . وأيضاً : فقد يضاف الفعل إلى الأمر به . كما يضاف
 إلى المباشر . ألا ترى أنه تعالى أضاف قبض الأرواح إلى نفسه . فقال
 تعالى : « والله يتوفى الأنفس حين موتها » (٨٠) ، ثم أضافه إلى ملك الموت .
 فقال : « قل : يتوفاكم ملك الموت » (٨١) ، ثم أضافه إلى الملائكة . فقال :
 « حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا » (٨٢) ، وأيضاً : قال : « ورسلسنا
 لديهم يكتبون » (٨٣) ، ثم قال : « وإنا له كاتبون » (٨٤) ، وأيضاً : قال تعالى :
 « يؤذون الله » (٨٥) أي أوليائه . وقال : « قلها آسفونا » (٨٦) أي (آذوا) أوليائنا
 وقال : « يخادعون الله » (٨٧) ، أي رسوله والمؤمنين . وبالله التوفيق .

(٧٨) هود ١٢٢	(٨٠) الزمر ٤٢
(٧٩) الصافات ٩٩	(٨٣) الزخرف ٨٠
(٨١) السجدة ١١	(٨٥) الأحزاب ٥٧
(٨٢) الأنعام ٦٢	
(٨٤) الأنبياء ٩٤	
(٨٦) الزخرف ٥٥	
(٨٧) البقرة ٩	

وأما الذى تمسكوا به سادسا وهو التمسك بصيغة د إلى ، فى حق الله تعالى . كقوله : د إلى ربها فاطرة ، (٨٨) والنظر إلى الشئ يوجب رؤيته ، فجاز أن يكون المراد من النظر هو الرؤية . على سبيل إطلاق اسم السبب على المسبب . وأيضا : حكى الله تعالى عن الخليل عليه السلام أنه قال : د إلى ذاهب إلى ربى سيهدين (٨٩) ، وليس المراد منه : القرب بالجهة . فكذا ههنا . والله أعلم .

وأما الذى تمسكوا به سابعا . وهو قوله تعالى : د أم أمنتم من فى السماء (٩٠) ، ؟ لجوابه : إنه لا يمكن إجراء هذه الآية على ظاهرها . ويدل عليه وجهان :

الأول : إنه قال : د وهو الذى فى السماء إله ، وفى الأرض (٩١) إله ، وهذا يقتضى أن يكون المراد من كونه فى السماء ، ومن كونه فى الأرض معنى واحدا . ولما كان كونه فى الأرض ليس بمعنى الاستقرار ، فكذلك كونه فى السماء ، يجب أن لا يكون بمعنى الاستقرار . سلطنا . أنه يمكن إجراء هذه الآية على ظاهرها . لكننا نقول بموجبه : فلم لا يجوز أن يكون المراد من د أم أمنتم من فى السماء (٩٢) ، ؟ الملائكة الذين هم فى السماء ؟ لأنه ليس فى الآية (٩٣) ما يدل على أن الذى فى السماء هو الإله لا الملائكة . ولا شك أن الملائكة أهداء الكفار والفاسق . سلطنا . أن المراد هو الله . تعالى ، لكن لم لا يجوز أن يكون المراد من د أم أمنتم من فى السماء ، :

(٨٩) الصافات ٩٩

(٨٨) القيامة ٢٣

(٩١) الزخرف ٨٤

(٩٠) الملك ١٧

(٩٢) الملك ١١ : وفى خ بدل « أم أمنتم من فى السماء » : أم

(٩٣) الكلام : ط ، الآية : خ

ملكه؟ وخص السماء بالذكر لأنها أعظم من الأرض تفخيماً للشأن .
وأما الذى تمسكوا به ثامناً . وهو لفظ الحجاب . فجوابه : لم لا يجوز
أن يكون المراد من الحجاب : عدم الرؤية . وذلك لأن الحجاب يقتضى
المنع من الرؤية ، فكان إطلاق لفظ الحجاب على المنع من الرؤية : مجازاً
من باب إطلاق اسم السبب على المسبب .

وأما الذى تمسكوا به تاسعاً . وهو الآيات المشتملة على الرفع . كقوله
تعالى : د ب ل رفعه الله إليه (٩٤) ، وقوله : د والعمل الصالح يرفعه (٩٥) ،
فالجواب : إن الله تعالى لما رفعه إلى موضع الكرامة ، ومكان آخر ، مسح
— على سبيل المجاز — أن يقال : إن الله تعالى رفعه إليه . كما أن الملك
إذا عظم منصب لإنسان (٩٦) حسن أن يقال : إنه رفعه من تلك الدرجة
إلى درجة عالية ، وأنه قربه (٩٧) من نفسه . ومنه قوله تعالى : والسابقون
السابقون : أولئك المقربون (٩٨) ،

وأما الذى تمسكوا به عاشراً . وهو الآيات المشتملة على (لفظ) (٩٩)
العندية : (فلم لا يجوز أن يكون المراد بالعندية : العندية بالشرف) (١٠٠)
والدليل عليه : قوله عليه السلام — حكاية عن رب العزة — : د أنا عند
المنكسرة قلوبهم لأجلى ، وقوله : د أنا عند ظن عبدي بي ، بل هذا أقوى
لأن النصوص التى ذكرها تدل على أن الملائكة عند الله (وهذه النصوص

(٩٤) النساء ١٥٨

(٩٥) فاطر ١٠ (٩٦) انسانا : ط ، منصب انسان : خ

(٩٧) يريه : ط ، قربه : خ

(٩٨) الواقعة ١٠ — ١١ (٩٩) لفظ : ط

(١٠٠) فلا يجوز أن يكون المراد بالعندية : الحيز . بل المراد بها

الشرفة : ط

يُدل على أن الله تعالى عند العبد . وأيضا : قال (١٠١) تعالى : « وإن له عندنا لزني ، » (١٠٢) وليس المراد بهذه العندية (العندية) (١٠٣) بالجملة فكذا همنا . فهذا هو الإشارة إلى الجواب عن الوجوه التي تمسكوا بها من القرآن في إثبات الجهة لله تعالى . وبالله التوفيق

وأما الأخبار التي تمسكوا بها . فنقول :

أما الخبر الأول : فلعل أن من الناس من روى هذا الخبر على وجه آخر . فقال إنه عليه السلام قال : « وضع عرشه على السموات . هكذا ، وقبب بإصبعه مثل القبة ، فإن حملنا الرواية على هذا الوجه ، فلا إشكال فيه البتة (وإما أن أخذنا بتلك الرواية . فقال الشيخ أبو سلمان الخطابي : إن الكيفية عن الله تعالى ، وعن صفاته : منتفية (١٠٤) والمقصود من هذا الكلام : التقريب والتفهم وشرح عظمة الله تعالى من حيث يدرك فهم الإنسان (١٠٥) . وقوله : « وإنه يسط به ، معناه إنه ليعجز عن جلاله وعظمته ، حتى يسط به ، إذا كان مغلوبا (١٠٦) وذلك لأن أطيظ الرجل بالراكب إنما يكون لقوة مافوقه ، ولعجزه عن احتماله فهو عليه السلام يقرب (١٠٧) بهذا النوع (من التمسك عنده : معنى عظمته تعالى (١٠٨) وارتفاع عرشه ، ليعلم المخاطب أنه تعالى أجل وأعلى من أن يجعل شيئا لأحد من خلقه .

وأقول : إن ظاهر هذا الحديث يدل على كونه جعل متناهما (في

(١٠١) ما بين القوسين : من خ

(١٠٣) ص ٤٠

(١٠٥) السائل : ط

(١٠٨) من عظمة الله تعالى : ط

(١٠٢) من خ

(١٠٤) الزيادة من خ

(١٠٦) معلولا : ط

(١٠٧) قريب : ط

القوة (١٠٩) وإلا لما (ينسب بالقوة وعلى كونه معتمدا على عرشه
محتجا إليه، وإلا لما (١١٠) حصل الأطيع . وكل ذلك يتنافى الالهية .
فعلمنا : أنه لا بد فيه من حمل اللفظ على غير ظاهره .

وأما الخبر الثاني : وهو قوله عليه السلام . « لما قضى الله الخلق . كتب
كتابا فهو عنده فوق العرش » فالجواب عنه : ما تقدم من لفظ « عند »
في القرآن .

وأما الخبر الثالث : فجوابه : إن لفظه « أين ؟ » كما يجعل سؤالا عن المكان
فقد يجعل سؤالا عن المنزلة والدرجة . يقال : أين فلان من فلان ؟ فلعل
السؤال كان عن المنزلة ، وإشارتها إلى السماء . أى هو رفيع القدر جدا .
ولما اكتفى منها بتلك الإشارة لقصور عقلها ، وقلة فهمها . وهذا الجواب
يصلح أن يكون جوابا عن تمسكهم بالخبر الثاني ، وهو لفظ « عنده »
لأن لفظ « عند » يذكر لبيان المنزلة والدرجة .

ومن هذا الباب أيضاً : أن رجلا قال للنبي ﷺ : أين كان ربنا قبل
أن يخلق السماء ؟ فقال عليه السلام : « في عمامة تهته هواء ، وفوقه هواء »
وهذا يروى على وجهين :

أحدهما : بالمد وهو السحاب الرقيق .

والثاني : بالقصر . فإذا روى مقصورا كان المعنى : إنه تعالى كان
وحده ولم يكن معه غيره . شبه العدم بالعدمى . فكأنه قال : لم يسكن شيء
سواه ، لا فوق ولا تحت (ولا شمال ولا يمين (١١١)) فإذا قيل : كان في

(١٠٩) في القوة : ط (١١٠) من خ

(١١١) من ط

عمى . فالله (١١٢) أنه تعالى كان فيه بمعنى القدرة والتدبير . والرواية الأولى : أولى . لما روى عن عمران بن الحصين ، (١١٣) قال : قال (رجل لرسول الله ﷺ) (١١٤) : أخبرنا عن أول هذا الأمر ؟ قال : كان الله ولم يكن معه شيء ، وهذا يدل على أن رواية العمى - بالقصر - : أولى من المد .

ومن هذا الباب أيضا : ما روى أنس - رضى الله عنه - قال : كان جبريل عند النبي ﷺ فأتاه ملك . فقال : أين تركت ربنا ؟ فقال : في الأرضين لجاء آخر . فقال : أين تركت ربنا ؟ فقال : في سبع سموات لجاء آخر . فسأله عنه ؟ فقال : في المشرق . وآخر في المغرب . والتأويل : لأنه على وفق قوله تعالى : وهو الذي في السماء إله ، وفي الأرض إله (١١٥) ، وقوله : وهو الله في السموات وفي الأرض (١١٦) ، وقوله : د فأينما تولوا فثم وجه الله (١١٧) ، أى هو تعالى في كل مكان بالحفظ والتدبير والإلهية .

وأما قصة المعراج . فالمقصود : أنه يريه الله - تعالى - أنواع مخلوقاته في عالم العلوى والعالم السفلى ، لتكون معاهداته للدلائل أكثر ، فتصير نفاذ أقوى وأكمل . كما في حق الخليل - عليه السلام -

وأملوه : د ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى (١١٨) ، ففيه وجوه :

(١١١) معناه : ط

(١١٢) خصين : خ

(١١٣) الزخرف ٨٤

(١١٤) البقرة ١١٥

(١١٨) النجم ٨ - ٩

(١١٤) زيادة

(١١٦) الأنعام ٣

الأول: إن هذا الدنو دنو المنزلة والكرامة . كقوله تعالى: « واسجد
واقرب (١١٩) » ، وقال عليه السلام - حكاية عن الله تعالى - : « من
تقرب إلى شبرا ، تقربت إليه ذراعا ،

الثاني : « ثم دنا فتدلى ، أى جبريل دنا من محمد - عليهما السلام -
والدليل عليه : قوله تعالى في آية أخرى : (واتقد رآه بالأفق المبين (١٢٠))
ثم لما دنا جبريل من محمد - عليهما السلام - حصل الوحي من الله تعالى
إليه ولهذا قال (١٢١) : « فأوحى إلى عبده ما أوحى » (١٢٢) ،

وأما الجواب عن التمسك بقول فرعون « يا هامان ابن لى صرحا » (١٢٢)
فهو أن هذا الكلام من فرعون . وهو معارض بأن موسى - عليه السلام -
لم يقل الرب فى السماء ، بل قال : « رب السماء » (١٢٣) ، ثم إن فرعون
كان قد ظن فيه أن الإله مستقر فى السماء . فهذا هو الجواب عن هذه
الشبهة (وبقائه التوفيق (١٢٤))

(١١٩) آخر العلق

(١٢٠) التكوير ٢٣٠

(١٢٢) غافر ٣٦

(١٢٤) سقط خ

(١٢١) النجم ١٠

(١٢٣) الشعراء

الفصل الحادى والثلاثون

فى

كلام كلّى فى أخبار الآحاد

نقول : أما التمسك بخبر الواحد فى معرفة الله تعالى فغير جائز ، ويدل عليه وجوه :

الاول : إن أخبار الآحاد مظلونة . فلا يجوز التمسك بها فى معرفة الله تعالى وصفاته . وإنما قلنا . إنها مظلونة . وذلك لأننا أجمعنا على أن الرواة ليسوا معصومين . وكيف ؟ والروافض لما اتفقوا على عصمة «على» (رضى الله عنه (١)) وحده . هؤلاء المحدثون كفروهم . وإذا كان القول بعصمة «على» - كرم الله وجهه - يوجب عليهم تكفير القائلين بعصمة «على» فكيف يمكنهم القول بعصمة هؤلاء الرواة ؟ وإذا لم يكونوا معصومين ، كان الخطأ عليهم جائزاً ، والكذب عليهم جائزاً . وحينئذ لا يكون صدقهم معلوماً ، بل مظلوناً . فثبت : أن خبر الواحد مظلون . فوجب أن لا يجوز التمسك به . لقوله تعالى : «إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً» (٢) ولقوله تعالى فى صفة الكفار : «إن يتبعون إلا الظن» (٣) ولقوله : «ولا تقف ما ليس لك به علم» (٤) ولقوله : «وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» (٥) ، ترك العمل فى فروع الشريعة - لأن المطلوب فيها الظن - فوجب أن يبقى فى مسائل الأصول على هذا الأصل .

(٢) النجم ٢٨
(٤) الاسراء ٣٦

(١) سقط خ
(٣) النجم ٢٨
(٥) الاعراف ٣٣

والمعجب من الحشوية . أنهم يقولون : الاشتغال بتأويل الآيات المتشابهة . غير جائز . لأن تعيين ذلك التأويل : مظنون . والقول بالظن في القرآن (لا يجوز)^(٦) ثم لأنهم يتكلمون في ذات الله تعالى وصفاته بأخبار الأحاد ، مع أنها في غاية البعد عن القطع واليقين . وإذا لم يجوزوا تفسير ألفاظ القرآن بالطريق المظنون ، فلأن يمتنعوا عن الكلام في ذات الحق تعالى ، وفي صفاته ، بمجرد الروايات الضعيفة أولى .

الثاني : إن أجل طبقات الرواة قدراً ، وأعلام منصباً : الصحابة — رضي الله عنهم — ثم إنا نعلم ، أن رواياتهم لا تفيد القطع واليقين . والدليل عليه : أن هؤلاء المحدثين رووا عنهم : أن كل واحد منهم طعن في الآخر ، ونسبه إلى ما لا ينبغي .

أليس من المشهور : أن عمر طعن في خالد بن الوليد ؟ وأن ابن مسعود وأبا ذر ، كانا يباغتان في الطعن في عثمان ؟ وقل عن عائشة — رضي الله عنها — أنها بالغت في الطعن في عثمان .

وأليس أن عمر قال في عثمان : إنه يخلف بأقاربه ؟ وقال في طلحة والزبير : أشياء أخرى ، تجري هذا المجرى .

أليس أن علياً (كرم الله وجهه)^(٧) سمع أن أبا هريرة يوماً كان يقول : أخبرني خليل أبو القاسم . فقال له علي : متى كان خليلك ؟

أليس أن عمر — رضي الله عنه — نهي أبا هريرة عن كثرة الرواية ؟

أليس أن ابن عباس (رضي الله عنهما)^(٨) طعن في خبر أبي سعيد في المحرق ، وطعن في خبر أبي هريرة في غسل اليمين . وقال كيف يصنع (بمرأنا)^(٩) ؟

(٧) كرم الله وجهه : ط

(٩) طهراً منا : ط

(٦) غير جائز : خ

(٨) من خ

أليس أن أباهريرة لما روى : « من أصبح جنباً فلا صوم له ، طعنوا فيه ؟
 أليس أن ابن عمر لما روى : « أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » :
 طعنوا طائفة فيه ، بقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » (١٠)
 أليس أنهم طعنوا في خبر فاطمة بنت قيس ، وقالوا : لا ندع كتاب
 ربنا ، وسنة نبينا ، لخبر امرأة ، لا ندرى أصدقت أم كذبت ؟
 أليس أن عمر طالب أبا موسى الأشعري في خبر الاستئذان بالشاهد
 وغلظ الأمر عليه ؟

أليس أن علياً كان يستحلف الرواة ؟
 أليس أن علياً قال لعمر (رضي الله عنهما) (١١) في بعض الوقائع : إن
 قاربوك فقد غشوك ؟
 واعلم : أنك إذا طالعت كتب الحديث ، وجدت من هذا الباب ما لا
 يعد ولا يحصى .

وإذا ثبت هذا ، فنقول : الطاعن . إن صدق ، فقد توجه الطعن على
 المظنون ، وإن كذب فقد توجه على الطاعن . فكيف كان فتوجه الطعن (١٢)
 لازم إلا أننا قلنا : إن الله تعالى أثق على الصحابة - رضي الله عنهم - في
 القرآن على سبيل العموم . وذلك يفيد ظن الصدق . ولهذا الترجيح قبلنا
 رواياتهم في فروع الشريعة . أما الكلام في ذات الله وصفاته ، فكيف
 يمكن بناؤه على (هذه) (١٣) الروايات الضعيفة ؟

الثالث : وهو أنه اشتهر فيما بين الأمة : أن جماعة من الملاحدة ،
 وضعوا أخباراً منكورة ، واحتالوا في ترويحها على المحدثين . والمحدثون

(١١) من خ
 (١٣) علي الرواية : خ

(١٠) فاطر ١٨
 (١٢) فالطعن : خ

إسلامة قلوبهم ما عرفوها ، بل قبلوها . وأى منكر فوق وصف الله تعالى بما يقدح في الإلهية ، ويبطل الربوية ؟ فوجب القطع في أمثال هذه الأخبار بأنها موضوعة . وأما البخارى^(١) والقشيري^(٢) فهما ما كانا عالمين بالغيوب ، بل اجتهدا واحتاطا بمقدار طاقتهما ، وأما اعتقاد أنهما علما بجميع الأحوال الواقعة في زمان الرسول ﷺ إلى زماننا ، فذلك لا يقوله عاقل . وغاية ما في الباب : أنا نحسن الظن بهما ، وبالذين رويا عنهم إلا أنا (إذا) (١٤) شاهدنا خبرا مشتملا على منكر ، لا يمكن إسناده إلى الرسول ﷺ قطعنا بأنه من أوضاع الملاحدة ، ومن ترويجاتهم على أولئك المحدثين .

الرابع : إن هؤلاء المحدثين يخرجون الروايات بأقل العلل . مثل : إنه كان ما تلا إلى حب دهل ، فكان رافضيا ، فلا تقبل روايته . ومثل : كان «معبد الجهنى» قائلا بالقدر ، فلا تقبل روايته . وما كان فيهم عاقل يقول : إنه وصف الله تعالى بما يبطل إلهيته وربوبيته ، فلا تقبل روايته (إن) (١٥) هذا من العجائب .

الخامس : إن الرواة الذين سمعوا هذه الأخبار من الرسول ﷺ ما كتبوها عن لفظ الرسول ، بل سمعوا شيئا في مجلس ، ثم أنهم رواوا تلك الأشياء بعد عشرين سنة أو أكثر . ومن سمع شيئا في مجلس مرة واحدة ، ثم رواه بعد العشرين والثلاثين^(٣) ، لا يمكنه رواية تلك الألفاظ بأعيانها . وهذا كالمعلوم بالضرورة . وإذا كان الأمر كذلك ، كان القطع حاصلا بأن شيئا من هذه الألفاظ : ليس من ألفاظ الرسول ﷺ بل ليس ذلك إلا من ألفاظ الراوى وكيف يقطع بأن هذا الراوى (ما) (١٦)

(١٤) إذا : سقط : خ

(١٥) ان : ط وإعلم أن الشيخ « زاهد الكوثري » كان يقول بذلك ، فقد طعن في بعض المفسرين بأنه مجسم . (١٦) ما : خ

سمع ما جرى في ذلك المجلس ؟ فإن من سمع كلاما في مجلس واحد ، ثم إنه ما كتبه ، وما كرر عليه كل يوم ، بل ذكره بعد عشرين سنة أو ثلاثين . فالظاهر : أنه ينسى منه شيئا كثيرا ، أو يتشوش عليه نظم الكلام وترتيبه وتركيبه . ومع هذا الاحتمال فكيف يمكن التمسك به في معرفة ذات الله تعالى وصفاته ؟

واهم : أن هذا الباب كثير الكلام . إلا أن القدر الذي أوردناه كافٍ في بيان أنه لا يجوز التمسك في أصول الدين بأخبار الآحاد (والله أعلم) (١٧)

الفصل الثانى والثلاثون

فى

أن البراهين العقلية اذا صارت معارضة بالظواهر النقلية
فكيف يكون الحال فيها ؟

اعلم : أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء ، ثم وجدنا أدلة نقيضة يشعر ظاهرها بخلاف ذلك . فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة : إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل — فيلزم تصديق النقيضين وهو محال — وإما أن نبطلهما^(١) — فيلزم تكذيب النقيضين . وهو محال — (وإما أن تكذب الظواهر النقلية ، وتصدق الظواهر العقلية)^(٢) وإما أن تصدق الظواهر النقلية وتكذب الظواهر العقلية — وذلك باطل — لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية ، إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية : لإثبات الصانع ، وصفاته ، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ وظهور المعجزات على (يد) (٣) محمد ﷺ ولو صار القدرح فى الدلائل العقلية القطعية ، صار العقل متهما ، غير مقبول القول . ولو كان كذلك لخرج عن أن يكون مقبول القول فى هذه الأصول . وإذا لم تثبت هذه الأصول ، خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة . فثبت : أن القدرح فى العقل لتصحيح النقل ، يفضى إلى القدرح فى العقل والنقل معا . وإذنه باطل . ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن (يقطع بمقتضى) (٤) الدلائل العقلية (٥) القاطعة : بأن هذه الدلائل

(١) نبطل : ط (٢) زياده ح (٣) يد : خ

(٤) نقطع بنقيض : خ (٥) النقلية : خ

النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة ، أو (يقال : إنها صحيحة) (٦)
إلا أن المراد منها غير ظواهرها . ثم إن جوزنا التأويل : اشتغلنا على
سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل . وإن لم تجوز التأويل
فوضنا العلم بها إلى الله تعالى . فهذا هو القانون الكلى المرجوع إليه في
جميع المتشابهات (وبالله التوفيق) (٧)

(٦) أن كانت صحيحة : خ

(٧) من ط — واعلم : أن القانون الكلى الذى يقول به الامام فخر الدين —
وهو القانون الصحيح — لم يأخذه عن الفزالى والجوينى وغيرهما من
علماء المدرسة الاشعرية فحسب ، بل هذا القانون مفصل فى كتاب
« الفصل » لابن حزم الاندلسى ، فى الجزء الاول . وابن حزم — رحمه
الله — متعصب له أكثر من تعصب الامام فخر الدين . وقد نظم صاحب
« المنتخب الجليل » شعرا فى هذا القانون . هو :

إذا ما النقل خالف حكم عقل نؤله . فنكسبه رجوعا
لأن العقل أصل النقل مهما يخالف أصله ، سقطا جميعا

والشيخ ابن تيمية يقول فى « درء تعارض العقل والنقل » : « إذا
تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع » وقوله صحيح فى تعليل أحكام
الشريعة . فلو قال انسان ما : ما الحكمة فى تحريم لحم الجمل على
بنى اسرائيل . لأن العقل يقول ان لحم الجمل كسائر لحوم الأنعام غير
مضر للصحة ؟ من الممكن أن يقول الشيخ ابن تيمية فى هذا وشبهه : ان
الشرع يقدم لأن أحكام الله لا تعلق لأن مشرعها أحكم من بنى البشر .
وقوله غير صحيح فى آيات الكتاب — وما القانون الا فى آيات الكتاب ،
وابن تيمية يشاغب ليمنع المجاز فى آيات الكتاب — فان قول الله تعالى
ان المنافقين « نسوا الله فنسيهم » قول شرعى والنسيان غير جائز على
الله . وهذا قول عقلى . والتعارض هنا حاصل بين ظاهر النص
الشرعى الذى يثبت نسيانا لله الذى لا ينسى . وبين الحكم العقلى الذى
يمنع النسيان عن الله الذى لا ينسى . وعليه . فلا بد من التأويل .
ويتعين أن يقدم الحكم العقلى الذى هو عدم النسيان ، على ظاهر الحكم
الشرعى الذى يثبت النسيان . هذا هو قانون الامام فخر الدين . وعلى
قانونه نقول فى هذا النص : ان النسيان على المجاز هو الاهمال . أى
تعاليم الله فأهلهم الله ونزع منهم عنايته ورحمته .

القسم الثالث من هذا الكتاب

في

تقرير مذهب السلف

وفيه فصول :

الفصل الأول

في

أنه هل يجوز أن يحصل في كتاب الله

تعالى ، ما لا سبيل لنا الى العلم به ؟

اعلم : أن كثيرا من الفقهاء والمحدثين والصوفية ، يجوزون ذلك .
والمتكلمون ينكروونه . واحتجوا بالآيات والأخبار (والمعقول (١)) .

أما الآيات فكثيرة .

أحدها : قوله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها (٢) » ،
أمر الناس بالتدبر في القرآن . ولو كان القرآن غير مفهوم ، فكيف يأمرنا
بالتدبر فيه ؟

الثاني : قوله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ؟ ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (٣) » ، فكيف يأمرنا بالتدبر فيه ، لمعرفة نفي
التناقض في الاختلاف ، مع أنه غير مفهوم للخلق ؟

الثالث : قوله تعالى : « وإنه لتفزيل رب العالمين ، نزل به الروح
الأمين ، على قلبك . لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين (٤) » ، ولو لم
يكن مفهوما ، فكيف يمكن أن يكون الرسول منذرا به ؟

(١) سقط خ

(٢) النساء ٨٢

(٣) محمد ٢٤

(٤) الشعراء ١٩٢ — ١٩٥

وأَيْضاً : قوله : « بلسان عربي مبين »^(٥) يدل على أنه نازل بلغة العرب ،
وإذا كان كذلك ، وجب أن يكون معلوما .

الرابع : قوله تعالى : « لعلهم الذين يستنبطونه منهم »^(٦) ، والاستنباط
منه لا يمكن إلا بعد الإحاطة بمعناه ،

الخامس : قوله تعالى : « تبياناً لكل شيء »^(٧) ، وقوله : « ما فرطنا في
الكتاب من شيء »^(٨)

السادس : قوله تعالى : « هدى للمتقين »^(٩) ، وما لا يكون معلوما
لا يكون هدى .

السابع : قوله تعالى : « حكمة بالغة »^(١٠) ، وقوله : « وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين »^(١١) ، وكل هذه الصفات لا تحصل في غير المعلوم .
الثامن : قوله تعالى : « قد جاءكم من الله نور ، وكتاب مبين »^(١٢) ،
ولا يكون مبيناً إلا وأن يكون معلوما .

التاسع : قوله تعالى : « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟
إن في ذلك لرحمة وذكرى »^(١٣) ، فكيف يكون الكتاب كافياً ، وكيف
يكون ذكرى ، مع أنه غير مفهوم ؟

العاشر : قوله تعالى : « هذا بلاغ للناس ، وليذروا به »^(١٤) ، فكيف

(٥) الشعراء ١٩٥

(٦) النساء ٨٣

(٨) الأنعام ٣٨

(٩) القمر ٥

(١٠) المائدة ١٥

(١١) إبراهيم ٥٢

(١٢) النحل ٨٩

(١٣) البقرة ٢

(١٤) يونس ٥٧

(١٥) العنكبوت ٥١

يكون بلاغا ، وكيف يقع الإنذار به ، وهو غير معلوم ؟ وقال في آخر الآية : « وليذكر أولو الألباب »^(١٥) ، وإنما يكون كذلك إذا كان معلوما .

الحادي عشر : قوله تعالى : « قد جاءكم برهان من ربكم ، وأنزلنا إليكم نورا مبينا »^(١٦) ، فكيف يكون برهاننا ونورا مبينا ، مع أنه غير معلوم .
الثاني عشر : قوله تعالى : « فمن اتبع هداي ، فلا يضل ولا يشقى » ، ومن أعرض عن ذكري ، فإن له معيشة ضنكا »^(١٧) ، وكيف يمكن اتباعه تارة ، والإعراض عنه أخرى ، مع أنه غير معلوم ؟

الثالث عشر : قوله تعالى : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم »^(١٨) ، وكيف يكون هاديا ، مع أنه غير معلوم للبشر ؟

الرابع عشر : قوله عز وجل : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه »^(١٩) ، إلى قوله : « سمعنا وأطعنا » والطاعة لا تتمكن إلا بعد العلم . فوجب كون القرآن مفهوما .

* * *

وأما الأخبار . فقوله ﷺ : « إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به ، لن تضلوا . كتاب الله ، وعترتي »^(٢٠) ، وكيف يمكن التمسك به ، وهو غير معلوم ؟ وعن علي - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : « عليكم بكتاب الله ، فيه نباء ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى

(١٥) إبراهيم ٥٢

(١٦) النساء ١٧٤

(١٧) طه ١٢٣ - ١٢٤

(١٨) الاسراء ٩

(١٩) البقرة ٢٨٥

(٢٠) حسنى وعترتى : ط

في غيره ، أضله الله . هو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم . هو الذي لا تزيج به الأهواء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه . من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به أفلح ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم ،
وأما المعقول . فمن وجوه :

الاول : إنه لو ورد في القرآن شيء لاسبيل لنا إلى العلم به ، لكانت تلك المخاطبة تجري مجرى مخاطبة العربية بالزنجية . وهو غير جائز .
الثاني : المقصود من الكلام : الإفهام ، ولولم يكن مفهوما ، لكان عبثا .
الثالث : إن التحدى وقع بالقرآن . وما لم يكن معلوما ، لم يجوز ،
بالتحدى به .

فهذا مجموع كلام المتكلمين (وبالله التوفيق) (٢١)

احتج مخالفوهم بالآية ، والخبر ، والمعقول .
أما الآية . فمن وجهين .

الاول : قوله تعالى في صفة المتشابهات : وما يعلم تأويله إلا الله (٢٢) ،
والوقف ههنا لازم . وسيأتى دليله إن شاء الله ،
الثاني : الحروف المقطعة المسطورة (٢٣) في أوائل السور .
وأما الخبر . فقوله عليه السلام : وإن من العلم كهيئة المكون ، لا يعلمها
إلا العلماء بالله . فإذا نطقوا به أفكره أهل الغرة بالله ،

وأما المعقول : فهو أن الأفعال التي كلفنا بها قسمان : منها ما نعرف وجه الحكمة فيه على الجملة بعقولنا ، كالصلاة والزكاة والصوم . فإن الصلاة تواضع وتضرع للخالق ، والزكاة لإحسان إلى المحتاجين ، والصوم قهر النفس . ومنها ما لا نعرف وجه الحكمة فيه ، كأفعال الحج . فإننا لا نعرف وجه الحكمة في رمي الجمرات ، والسعى بين الصفا والمروة . ثم اتفق المحققون على أنه كما يحسن من الحكيم تعالى أن يأمر عباده بالنوع الأول ، فكذلك يحسن بالنوع الثاني . لأن الطاعة من النوع الأول لا تدل على كمال الانقياد ، لاحتمال أن المأمور ، إنما أتى به لما عرفه بعقله من وجه المصلحة فيه . أما الطاعة في النوع الثاني فإنها تدل على كمال الانقياد ، ونهاية التسليم ، لأنه لما لم يعرف فيه وجه المصلحة البتة ، لم يكن إتيانه به ، إلا لمحض الانقياد والتسليم . وإذا كان الأمر كذلك في الأفعال ، فلم لا يجوز الأمر كذلك في الأقوال ؟ وهو أن الذي أقرله الله علينا ، وأمرنا بتعظيمه في قرآنه ، ينقسم إلى قسمين : منه ما يعرف معناه (ونحيط به) بفحواه ، ومنه ما لا نعرف معناه البتة ، ويكون المقصود من إنزاله والتسليف بقراءته وتعظيمه : ظهور كمال العبودية والانقياد لأوامر الله تعالى .

بل ههنا قاعدة أخرى : وهي أن الإنسان إذا وقف على المعنى ، وأحاط به ، سقط وقعه عن القلب ، وإذا لم يقف على المقصود مع جزئه بأن المتكلم بذلك أحكم الحاكمين ، فإنه يبقى قلبه ملتفتا إليه أبدا ، ومفتكرا فيه أبدا .

ولباب التسليف : اشتغال السر بذكر الله تعالى ، والتفكير في كلامه

فلا يبعد أن يقال : إن في بقاء العبد ملتفت الذهن مشغول الخاطر
بذلك أبدا : مصلحة عظيمة له . فيتعبد الله تعالى بذلك ، تحصيلًا
لهذه المصلحة .

فإننا ما عندي من كلام الفريقين في هذا الباب (وبالله
التوفيق (٢٥))

الفصل الثانى

فى

وصف القرآن بأنه محكم ومتشابه

اعلم : أن كتاب الله تعالى : دل على أنه بكمليته محكم ، ودل على أنه بكمليته متشابه ، ودل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه .

أما الذى يدل على أنه بكمليته محكم : فهو قوله تعالى : دآر . كتاب أحكمت آياته (١) ، - دآر . تلك آيات الكتاب الحكيم ، (٢) قد ذكر فى هاتين الآيتين : أن جميعه محكم . والمراد من المحكم بهذا المعنى : كونه حقاً فى ألفاظه ، وكونه حقاً فى معانيه . وكل كلام سوى القرآن ، فالقرآن أفضل منه فى لفظه ومعناه . وأن أحداً من الخلق لا يقار على (الإيمان بكلام) (٣) يساوى القرآن فى لفظه ومعناه . والعرب تقول فى البناء الوثيق ، والعهد الوثيق ، الذى لا يمكن حله (٤) : إنه محكم . فهذا معنى وصف كل القرآن بأنه محكم .

وأما الذى يدل على أنه بكمليته متشابه : فهو قوله تعالى : د كتاباً متشابهاً (٥) والمعنى : أنه يشبه بعضه بعضاً فى الحسن والفصاحة ، ويصدق بعضه بعضاً . وإليه الإشارة بقوله تعالى : د ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، أى لكان بعضه وارداً على نقيض الآخر ، ولتفاوت نطق الكلام فى الجزالة والفصاحة .

وأما الذى يدل على أن بعضه محكم ، وبعضه متشابه . فهو قوله تعالى :

(١) أول هود (٢) أول لقمان (٣) كلام : خ
(٤) نقضه : ط (٥) الزمر ٢٣

هو الذى أنزل عليك الكتاب . منه آيات محكمات — هن أم الكتاب —
وأخر متشابهات،^(٦) ولا بد لنا من تفسير المحكم والمتشابهة بحسب أصل
اللغة ، ثم من تفسيرهما فى عرف الشريعة . أما المحكم فى اللغة : فالعرب تقول
حكمت وأحكمت وحكمت ، بمعنى : رددت (ومنع)^(٧) والحاكم يمنع
الظالم عن الظلم ، وحكمة اللجام تمنع الفرس عن الاضطراب . وفى حديث
النخعي : « أحكم اليقيم كما تحكم ولدك ، أى امنعه من الفساد . وقوله :
« أحكموا سفهاءكم ، أى امنعهم . وبناء محكم أى وثيق يمنع من
تعرض له . وسميت الحكمة حكمة ، لأنها تمنع الموصوف بها عما لا ينبغي .
وأما المتشابهة : فهو أن يكون أحد الشيتين متشابهاً للآخر ، بحيث يعجز
الذهن عن التمييز . قال (الله)^(٨) تعالى : « إن البقر تشابه علينا »^(٩)
وقال : « تشابهت قلوبهم »^(١٠) ومنه اشتبه الأمر . إذ لم يفرق بينهما .
ويقال لأصحاب المخاريق : أصحاب الشبهات . وقال عليه السلام : الحلال
بين والحرام بين . وبينهما أمور مشتهرات ، وفى رواية (أخرى)^(١١)
« متشابهات » . فهذا تحقيق الكلام فى المحكم والمتشابهة ، بحسب أصل اللغة .

وأما فى عرف العلماء . فاعلم : أن الناس قد أكثروا فى تفسير المحكم
والمتشابهة ، وكتب من تقدمنا مشتملة عليهما . والذى عتدى فيه : أن اللفظ
الذى جعل موضوعاً لمعنى . إما أن يكون محتملاً لغير ذلك المعنى ،
أو لا يكون ؟ فإن كان موضوعاً لمعنى ولم يكن محتملاً لغيره فهو النص ،
وإن كان محتملاً لغير ذلك المعنى . فلما أن يكون احتمالهما لأحدهما راجحاً
على الآخر ، وإما أن لا يكون . بل يكون احتمالهما على السوية . فإن كان

(٧) سقط خ
(٩) البقرة ٧٠
(١١) أخرى : سقط خ

(٦) آل عمران ٧
(٨) الله : خ
(١٠) البقرة ١١٨

احتماله لأحدهما راجحاً على احتماله للآخر، كان ذلك اللفظ بالنسبة إلى الراجح ظاهراً، وبالنسبة إلى المرجوح مؤولاً، وأما إن كان احتماله لهما على السوية . كان اللفظ بالنسبة إليهما معاً مشتركاً، وبالنسبة إلى كل واحد منهما على التعيين (١٢) مجحلاً (١٣) فخرج من هذا التقسيم: أن اللفظ إما أن يكون نصاً أو ظاهراً أو مجحلاً، أو مؤولاً. فالنص والظاهر يشتركان في حصول الترجيح، إلا أن النص راجح مانع من النقيض، والظاهر راجح غير مانع من النقيض (فالنص والظاهر يشتركان في حصول الترجيح) (١٤) وهذا القدر هو المسمى بالمحكم . وأما المجمل والمؤول . فهما يشتركان في أن دلالة اللفظ غير راجحة . إلا أن المجمل لارجحان فيه بالنسبة إلى كل واحد من الطرفين (والمؤول فيه رجحان بالنسبة إلى طرف المشترك ، وهو عدم) (١٥) الرجحان بالنسبة إليه ، وهو المسمى بالمتشابه ، لأن عدم الفهم حاصل فيه

ثم اعلم : أن اللفظ إذا كان بالنسبة إلى المفهومين على السوية . فهنا يتوقف الذهن . مثل القرء بالنسبة إلى الحيض والظهر . وإنما الصعب المشكل : أن يكون اللفظ بأصل وضعه راجحاً في أحد المفهومين ، ومرجوحاً في الآخر . ثم إن الراجح يكون باطلاً ، والمرجوح حقاً . مثاله من القرآن : قوله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية . أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » (١٦) فظاهر هذا الكلام : أنهم يؤمرون بأن يفسقوا . ومحكمه : قوله تعالى : « إن الله لا يأمر بالفسحشاء » (١٧) (رداً على الكفار

(١٢) المعنيين : ط (١٣) محتملاً : ط

(١٤) ما بين ملقوسين : سقط خ

(١٥) ما بين القوسين : سقط خ (١٦) الاسراء ١٦

(١٧) الأعراف ٢٨

فيما حكى عنهم : « إذا فعلوا فاحشة . قالوا . وجدنا عليها آباءنا . والله أمرنا بها » (١٨)

وكذلك قوله تعالى : « نسوا الله فأنسيهم » (١٩) (وظاهر النسيان ما كان عند العلم ، ومرجوه الترك في قوله تعالى : « فأنساهم أنفسهم » (٢٠))
وعكمة قوله : « وما كان ربك نسيا » (٢١) وقوله : « لا يضل ربي ولا ينسى » (٢٢)

فهذا تلخيص الكلام في تفسير المحكم والمتشابه . وبالله التوفيق .

(١٦) معينا نفى : ط

(١٨) حاصل : ط

(٢٠) من خ

(٢٢) سقط خ

(١٥) الاول : ط

(١٧) مطرودا : ط

(١٩) هو : ط

(٢١) الروايات : ط

الفصل الثالث

في

الطريق الذي يعرف به كون الآية محكمة أو متشابهة

اعلم : أن هذا موضع عظيم وذلك لأن كل واحد من أصحاب المذاهب يدعى أن الآيات الموافقة (لمذهبه : محكمة ، والآيات الموافقة) (١) لمذهب الخصم : متشابهة . فالمعتزلي يقول : إن قوله : «فن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر» : محكم . وقوله : «وما تشاءون إلا أن يشاء الله» : متشابهة . والسني يقلب القضية في هذا الباب والأمثلة كثيرة . فلا بد ههنا من قانون أصلي يرجع إليه في هذا الباب . فنقول . إذا كان لفظ الآية والخبر ظاهرا في معنى . فإنما يجوز لنا ترك ذلك الظاهر بدليل منفصل ، وإلا لخرج الكلام عن أن يكون مفيدا ، ولخرج القرآن عن أن يكون حجة . ثم ذلك الدليل المنفصل إما أن يكون لفظيا أو عقليا .

أما (القسم (٢) الأول . فنقول هذا إنما يتم إذا حصل من ذينك الدليلين اللفظيين : تعارض . وإذا وقع التعارض بينهما ، فليس ترك أحدهما لإبقاء الآخر ، أولى من العكس . اللهم إلا أن يقال : أحد الدليلين قاطع ، والآخر ظاهر . والقاطع راجع على الظاهر . أو يقال : كل واحد منهما ، وإن كان ظاهرا ، إلا أن أحدهما أقوى . إلا أنا نقول : أما الأول فباطل . لأن الدلائل اللفظية لا تكون قطعية ، لأنها موقوفة على فهم اللغات ، ونقل وجوه النحو والتصريف ، وعلى عدم الاشتراك ، والمجاز ،

والتخصيص ، والإضمار ، وعلى عدم المعارض النقلى والعقلى . وكل واحدة من هذه المقدمات . مضمونة . والموقوف على المنظون . أولى أن يكون مضمونا . فثبت : أن شيئا من الدلائل اللفظية لا يمكن أن يكون قطعيا .

وأما الثانى : وهو أن يقال : أحد الظاهرين أقوى من الآخر ، إلا أن على هذا التقدير يصير ترك أحد الظاهرين لتقرير الظاهر الثانى : مقدمة ظنية . والظنون لا يجوز التعويل عليها فى المسائل العقلية القطعية . فثبت بما ذكرنا : أن صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح . لا يجوز إلا عند قيام الدليل القاطع على أن ظاهره محال بمتنع . وإذا حصل هذا المعنى ، فعند ذلك يجب على المكلف أن يقطع بأن مراد الله تعالى من هذا اللفظ ، ليس ما أشعر به ظاهره . ثم عند هذا المقسام : من جواز التأويل عدل إليه ، ومن لم يحوزه ، فوض عليه إلى الله تعالى (وبالله التوفيق (٣)) .

الفصل الرابع

في

تقرير مذهب السلف

حاصل هذا المذهب : أن هذه التشابهات يجب القطع فيها بأن مراد الله تعالى منها شيء غير ظواهرها ، ثم يجب تفويض معناها إلى الله تعالى ، ولا يجوز الخوض في تفسيرها . وقال جمهور المتكلمين : بل يجب الخوض في تأويل تلك التشابهات .

واحتج السلف على صحة مذهبهم بوجوه :

الأول : التمسك بوجوب الوقف على قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله » (١) . والذي يدل على أن الوقف واجب وجوه :

الأول : إن ما قبل هذه الآية يدل على أن طلب التشابه مذموم حيث قال : « فأما الذين في قلوبهم زيغ ، فيقتبعون ما تشابه منه ، ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله » (٢) ، « فلو كان طلب التشابه جائزا ، لما ذم الله تعالى على ذلك فإن قيل : لم لا يجوز أن يكون المراد منه : طلب وقت قيام الساعة ، كما في قوله تعالى : « يستلونك من الساعة أيان مرساها ؟ قل : إنما عليها عند ربى (٣) » ، ويحتمل أن يكون المراد منه : طلب العلم بمقادير الثواب والعقاب ، وطلب الأوقات التي يظهر فيها الفتح والنصر . كما قالوا : « لو ما تأتينا

(٢) آل عمران ٧

(١) آل عمران ٧

(٣) الاعراف ١٨١

بالملائكة (٤) . قيل : إنه تعالى لما قسم الكتاب إلى قسمين : محكم ومتشابه . ودل العقل على صحة هذه القسمة -- من حيث إن حمل اللفظ على معناه الراجح هو المحكم ، وحمله على معناه الذي ليس راجحاً : هو المتشابه . ثم إنه تعالى : ذم طريقة من طلب تأويل المتشابه -- كان تخصيص ذلك ببعض المتشابهات دون البعض : تركاً للظاهر .

الثاني : إن الله تعالى مدح الراسخين في العلم بأنهم يقولون : « آمنا به » (٥) وقال في سورة البقرة : « فأما الذين آمنوا فיעملون أنه الحق من ربهم » (٦) ، فهو لاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل ذلك المتشابه على التفصيل ، لما كان لهم في الإيمان به مزيد (٧) مدح . لأن كل من عرف شيئاً على سبيل التفصيل آمن به . أما الراسخون في العلم فهم الذين علموا بالدلائل القطعية العقلية أنه تعالى عالم بما لا نهاية له من المعلومات ، وعلموا أن القرآن كلام الله تعالى ، وعلموا أنه لا يتكلم بالباطل ولا بالعبث . فإذا سمعوا آية دلت القواطع على أنه لا يجوز أن يكون ظاهرها مراداً لله تعالى ، بل مراد الله تعالى منها غير ذلك الظاهر . ثم فوضوا تعيين ذلك المراد إلى علمه ، وقطعوا بأن ذلك المعنى -- أى معنى كان -- ؟ هو الحق والصواب . فهم - ولأهم الراسخون في العلم . حيث (يبعدون) (٨) أمثال هذه المتشابهات عن الإيمان والجزم بصحة القرآن .

الثالث : إنه لو كان قوله تعالى . « والراسخون في العلم » معطوفاً على قوله « إلا الله » لصار قوله : « يقولون آمنا به » : ابتداء . وإنه بعيد عن

(٤) الحجر ٧

(٦) البقرة ٢٦

(٥) آل عمران ٧

(٨) يدركون : ط

(٧) مزيد : خ ، من : ط

الفصاحة . لأنه كان الأولى أن يقال : وهم يقولون آمنا به ، أو يقال .
ويقولون آمنا به .

فإن قيل : في تصحيحه وجهان :

الأول : أن يكون التقدير : هؤلاء القائلون بالتأويل ، ويقولون آمنا به ،

والثاني : أن يكون يقولون ، حالا من «الراسخين» قبل .

أما الأول : فمدفوع . لأن تفسير كلام الله تعالى بما لا يحتاج معه إلى
الإضمار ، أولى من تفسيره بما يحتاج معه إلى الإضمار .

والثاني : ضعيف أيضا . لأن ذا الحال هو الذي تقدم ذكره ، وههنا
تقدم ذكر الله (تعالى) (٩) وذكر الراسخين في العلم ، فوجب أن يكون
قوله : « يقولون آمنا به » : حالا من «الراسخين» لا من «الله» تعالى .
فيكون ذلك تركا للظاهر . من حيث إن الظاهر يقتضى أن يكون ذلك
حالا عن كل من تقدم ذكره . فثبت : أن القول بجواز التأويل محوج إلى
الإضمار في هذه الآية ، والقول بعدم جوازه لا يحوج إليه . فكان أولى .

الرابع : قوله تعالى : «كل من عند ربنا» يعني : أنهم آمنوا بما عرفوه
على التفصيل (وبما لم يعرفوا تفصيله وتأويله . إذ لو كانوا عالمين
بالتفصيل (١٠) في الكلام ، لم يبق لهذا الكلام فائدة . فهذا أجمل وجوه
الاستدلال بهذه الآية في نصره مذهب السلف .

فإن قيل : إن هذا الاستدلال إنما يتم بإقامة الدليل على أن الوقف عند
قوله تعالى : «وما يعلم تأويله إلا الله» : واجب ، والعطف (غير (١١))

جائز . لأن هذا العطف قراءة مشهورة منقولة بالنقل المتواتر ، بإقامة الدليل على فساده طعن في النقل المتواتر ، وذلك لا يجوز . قيل : نحن لا نجعل هذه المسألة قطعية ، بل ظنية احتمالية . وعلى هذا التقدير يزول السؤال .

الحجة الثانية على صحة مذهب السلف : التمسك بإجماع الصحابة

— رضى الله عنهم — أن هذه المتشابهات في القرآن والأخبار : كثيرة . والدواعى إلى البحث عنها ، والوقوف على حقائقها : متوفرة . فلو كان البحث عن تأويلها على سبيل التفصيل جائزا ، لسكان أولى الخلق بذلك الصحابة والتابعون — رضى الله عنهم — ولو فعلوا ذلك لاشتهر ، ونقل بالتواتر . وحيث لم ينقل عن واحد من الصحابة والتابعين الخوض فيها ، علمنا أن الخوض فيها غير جائز .

الحجة الثالثة : إنا قد ذكرنا أن اللفظ المتشابه قسمان : المجمل والمؤول

أما المجمل : فهو الذى يحتمل معنيين فصاعدا ، احتمالا على التسوية . فنقول : إنه إما أن يسكون محتملا لمعنيين فقط ، أو لمعان أكثر من اثنين فإن كان محتملا لمعنيين فقط ، ثم دل الدليل على عدم أحدهما ، فحينئذ يتعين أن المراد هو الثانى . مثل : أن الفوق . إما أن يراد به الفوق فى الجهة ، أو فى الرتبة . ولما بطل حمله على الجهة . تعينت الرتبة . أما إذا كان اللفظ لمفهومات ثلاثة (١٢) لم يلزم من (بطلان واحد منها (١٣)) تعين الثانى والثالث بعينه . ولا يمكن أيضا حمل اللفظ عليهما معا ، لما ثبت أن اللفظ المشترك ، لا يجوز استعماله فى مفهوميه (١٤) معا .

(١٢) مثله : ط

(١٣) من عدم واحد منها : ط (١٤) مفهومين : ط

وأما المؤول (١٥) . فنقول : اللفظ إذا كانت له حقيقة واحدة ، ثم دل الدليل على أنها غير مرادة ، وجب حمل اللفظ على مجازه . ثم ذلك المجاز إن كان واحدا ، تعين صرف اللفظ إليه ، صونا عن التعطيل . وإن لم يكن (متعينا ، بقى (١٦)) اللفظ مترددا (١٧) في تلك انجازات . وحينئذ فذلك الكلام الذى ذكرناه فى الجمل ، عائد ههنا بعينه . فثبت بما ذكرنا : أن تأويل المتشابه قد يكون معلوما ، وقد يكون مظلونا . والقول بالظن غير جائز (١٨) — على ما سبق تقريره فى باب أن التسك بخبر الواحد فى معرفة الله (تعالى (١٩)) غير جائز —

فهذا هو جملة (٢٠) الكلام فى تقرير مذهب السلف .

وأما المتكلمون القائلون بالتأويلات المفصلة . فحجتهم ما تقدم : من أن القرآن يجب أن يكون مفهوما ، ولا سبيل إليه فى الآيات (٢١) المتشابهة ، إلا بذكر التأويلات . فكان المصير إليه واجبا (والله أعلم (٢٢))

(١٩) معينا نفى : ط

(٢١) حاصل : ط

(٢٣) من خ

(٢٥) سقط خ

(١٨) الأول : ط

(٢٠) مطرودا : ط

(٢٢) هو : ط

(٢٤) الروايات : ط

الفصل الخامس

في

تفاريح مذهب السلف

وهي أربعة :

الأول : إنه لا يجوز تبديل لفظ من الألفاظ المتشابهة ، بلفظ آخر متشابه^(١) ، سواء كان بالعربية أو بالفارسية . وذلك لأن الألفاظ المتشابهة قد يكون بعضها أكثر إيهاما للباطل من البعض . والزيادة في الإيهام (من غير حاجة إليها لا يجوز . بلى . قد تكون زيادة الإيهام^(٢)) (حاصلة في اللفظين)^(٣) إلا أن التمييز بين هذا القسم ، والقسم الأول (فيه)^(٤) عسر . فلاحتياط : الامتناع من الكل . ألا ترى أن الشرع أوجب العدة على الموطوءة ، لبراءة الرحم ، احتياطا لحكم النسب ، ثم قالوا : يجب العدة على العقيم ، والآيسة ، وعند العزل . لأن (بواطن^(٥)) الأرحام ، لا يعلمها إلا علام الغيوب ؟ فإيجاب العدة أهون من ركوب الخطر . إلا أن الخطر في معرفة (ذات^(٦)) الله تعالى وصفاته ، أعظم من الخطر في العدة . فإذا راعينا الاحتياط به ، فلأن نراعيه ههنا أولى .

الفرع الثاني : إنه يجب الاحتراز عن التصريف (فلا نقول في قوله

(١) غير متشابه : ط (٢) زيادة من خ

(٣) سقط خ (٤) فيه : ط

(٥) البواطن من : ط (٦) ذات : خ

(م ١٦ بعد أنساب التقيديس)

تعالى : «استوى» (٧)، إنه مستوى) لما ثبت في علم البيان : أن اسم الفاعل يدل على أن المشتق منه متمسكنا ثابتا ومستقرا . أما لفظه الفعل . فدلالته على هذا المعنى ضعيفة . والذي يؤكده : أنه ورد في القرآن أنه تعالى علم العباد . فقال : «الرحمن علم القرآن» (٨) ، — «وعلمك ما لم تكن تعلم» (٩) ، «وعلمناه من لدنا علما» (١٠) ، — «وعلم آدم الأسماء كلها» (١١) ، ثم أجمعنا على أنه لا يجوز أن يقال لله تعالى : يا معلم . فكذلك ههنا .

الفرع الثالث : إنه لا يجوز جمع الألفاظ المتشابهة . وذلك لأن التلفظ باللفظ الواحد أو باللفظين ، قد يحمل على المجاز . لأن الاستقراء دل على أن الغالب على الكلام : التكلم بالحقيقة . فإذا جمعنا الألفاظ المتشابهة ورويناها دفعة واحدة ، أوهمت كثرتها : أن المراد منها ظواهرها . فكان ذلك الجمع سببا لإيهام زيادة الباطل . وإنه لا يجوز .

الفرع الرابع : إنه كما لا يجوز الجمع بين متفرقه ، فكذلك لا يجوز التفرق بين مجتمعه . فقولته تعالى : «وهو القادر فوق عباده» (١٢) ، لا يدل على جواز أن يقال : إنه تعالى فوق . لأنه تعالى لما ذكر القاهر قبله ، ظهر أن المراد بهذه الفوقية : الفوقية بمعنى القهر ، لا بمعنى الجهة . بل لا يجوز أن يقال : وهو القاهر فوق غيره ، بل ينبغي أن يقال : «فوق عباده» لأن ذكر العبودية عند وصف الله تعالى بالفوقية ، يدل على أن المراد من تلك الفوقية : فوقية السيادة والإلهية .

(٧) طه ٥ وفي خ : فإذا أوردنا قولنا «استوى» فلا ينبغي أن نقول

إنه تعالى مستو

(٨) الرحمن ١ — ٢

(١٠) الكهف ٦٥

(١٢) الانعام ٦١

(٩) النساء ١٣

(١١) البقرة ٣١

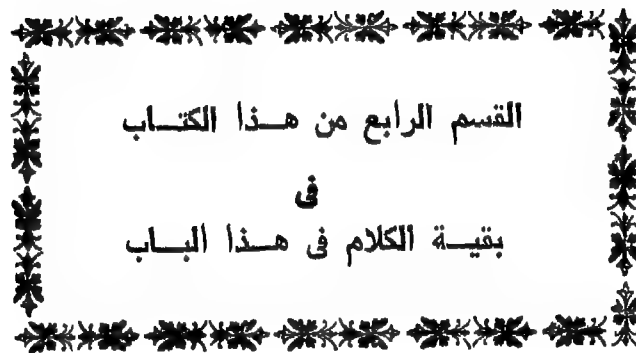
واعلم : أن الله تعالى لم يذكر لفظة التشابهات ، إلا وقرن بها قرينة تدل على زوال الهم الباطل . مثاله : أنه تعالى لما قال : « الله نور السموات والأرض » (١٣) ، ذكر بعده « مثل نوره » فأضاف النور إلى نفسه . ولو كان هو تعالى نفس النور ، لما أضاف النور إلى نفسه . لأن إضافة الشيء إلى نفسه بمنتهى . ولما قال تعالى : « الرحمن على العرش استوى » (١٤) ذكر قبله « تنزيلا من خلق الأرض والسموات العلى » وذكر بعده قوله : « له ما فى السموات ، وما فى الأرض وما بينهما . وما تحت الثرى » وقد ذكرنا : أن هاتين الآيتين تدلان على أن كل ما كان محتصا بجهة فوق : مخلوق محدث . فثبت بما ذكرنا : أن الطريق فى هذه التشابهات (هو التأويل فى تلك الالفاظ تأديبا فى حق واجب الوجود . وبالله التوفيق (١٥))

(١٤) طه هـ

(١٣) النور ٣٥

(١٥) فى تلك الالفاظ وعدم تلك الالفاظ وعدم التصرف فيها يوجب

الوجود : خ



وفيه فصول :

الفصل الأول

في

حكم ذكر هذه المتشابهات

اعلم : أن ذكر هذه المتشابهات ، صار شبهة عظيمة للخلق في الإلهيات وفي النبوات ، وفي الشرائع . أما في الإلهيات . فلأن المصدقين بالقرآن ، اعتقدوا في الله تعالى اعتقادات باطلة ، حتى صاروا جاهلين بالله تعالى ، وواصفين له سبحانه وتعالى بما يناق الإلهية والقدم (١) . وأما في النبوات . فلأن العارفين بوجوب تنزيه الله تعالى عن هذه الصفات ، جعلوا هذا طعننا في نبوة محمد ﷺ وقالوا : لو كان رسولا حقا من عند الله تعالى لسكان أولى المراتب أن يكون عارفا بربه ، وحيث لم يعرف ربه (٢) بل وصفه بصفات المحدثات ، امتنع اكونه رسولا حقا . وأما في الشرائع . فلأن فيهم من (توسل (٣)) بذلك إلى الطعن في القرآن . وقالوا : إن القرآن قد غير وبدل (٤) والقرآن الذي أنزل على محمد ﷺ كان خاليا عن هذه الشبهات . واحتجوا عليه : بأن هذا القرآن مملوء من وصف القرآن بكونه هدى وتبيانا وحكمة وشفاء ونورا . ومن المعلوم بالضرورة : أن هذه الآيات المتشابهات سبب عظيم لاضلال الخلق ، ووقعهم في التجسيم والتشبيه . فإما أن تكون الآيات الدالة على كون القرآن نورا ، وشفاء : كاذبة . وإما أن تكون الآيات الدالة على التجسيم والتشبيه : باطلة كاذبة .

(١) والقدم : ط ، والقدر : (٢) به : ط ، ربه : خ

(٣) لو سئل : ط (٤) ونقل : خ

وعلى التقديرين : (فالطعن في القرآن لازم . وأيضا : فهب أنا نحمل (٥))
هذه الآيات المتشابهة على الكلام بالمجاز .

(لكن من الكلام مجاز موهم لقول باطل ، واعتقاد فاسد ، وعليه فإنه
كان يجب أن نتكلم بذلك الحق على وجه التصريح به ، لا بالمتشابهات . ليصير
ذلك سببا لزوال الإيهام الباطل . ولا يوجد في القرآن ألفاظ تدل (٦)
على التنزيه والتوحيد — على سبيل التصريح — فإن قوله : قل : هو الله
أحد (٧) ، وقوله : ليس كمثل شيء . وهو السميع البصير (٨) ، لا يدلان
على التنزيه ، إلا دلالة ضعيفة . وكل ذلك يوجب الطعن في القرآن .

* * *

فهذه حكاية هذه الشبهة في هذا الباب .

واعلم : أن العلماء انحقيقين ذكرُوا أنواعا من الفوائد في إنزال

المتشابهات :

الأول : لأنه متى كانت المتشابهات موجودة ، كان الوصول إلى الحق
أصعب وأشق . فزيادة المشقة توجب زيادة الثواب . قال الله تعالى :
« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ؟ ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ويعلم
الصابرين (٩) » ،

والثاني : لو كان القرآن كله محكما ، لما كان مطابقا إلا للمذهب واحد
فكان على هذا التقدير تصريحه ببطلان لكل ما سوى هذا المذهب . وذلك

(٥) في القرآن طعن لازم . فثبت : أنا نحمل لى : ط

(٦) العبارة ركيكة في خ

(٧) الاخلاص ١ (٨) الشورى ١١

(٩) آل عمران ١٤٢ وأم حسبتم من خ

بما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله ، وعن النظر فيه ، والانتفاع به
أما لما كان (مشملا) (١٠) على المحكم والمتشابه ، فحينئذ يطمع صاحب كل
مذهب ، أن يجد فيه ما يقوى مذهبه ، ويؤيد مقالاته . وحينئذ ينظر فيه
جميع أرباب المذاهب . ويجتهد في التأويل كل صاحب مذهب . وإذا بالغوا
في ذلك التأويل ، صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات . وهذا الطريق يتخلص
المبطل عن باطله ، فيصل إلى الحق .

والثالث : إن القرآن إذا كان مشملا على المحكم والمتشابه ، افتقر
الناظر فيه إلى الاستعانة بدلائل العقل ، والاستكثار من سائر العلوم .
وحينئذ يتخلص عن طلبة التقليد ، ويصل إلى ضياء الاستدلال والحجة .
أما لو كان كله محكما ، لم يفتقر إلى التمسك بالدلائل العقلية ، وحينئذ يبقى في
الجهل والتقليد .

والرابع : إن القرآن لما كان مشملا على المحكم والمتشابه ، افتقر إلى
تعلم طريق التأويلات ، وترجيح بعضها على بعض ، وافتقر في تعلم ذلك
إلى تحصيل علوم كثيرة ، من علم اللغة والنحو وعلم أصول الفقه ، ومعرفة
طرق الترجيحات . ولو لم يكن القرآن مشملا على هذه المتشابهات ، لم
يفتقر إلى شيء من ذلك . فكان لا يراد المتشابهات هذه الفوائد .

الخامس : — وهو السبب الأقوى — أن القرآن مشتمل على دهوة
الخواص والعوام (والعوام تنبو في أكثر (١١) الأمور عن إدراك
الحقائق العقلية المحضة . فمن سمع من العوام في أول الأمر لإثبات موجود
ليس بحسم ولا متحيز ولا مشار إليه ، ظن أن هذا عدم محض ، فوقع

فى التعطيل . مكان الاصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب
ما تخيلوه وتوهموه . ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح .

فالقسم الأول : وهو الذى يخاطبون به فى أول الأمر ، يكون من
باب التشابهات .

والقسم الثانى : وهو الذى يكشف لهم فى آخر الأمر ، هو من
المحكمات . فهذا ما لخصناه فى هذا الباب (وبالله التوفيق) (١٢)

الفصل الثانى

فى

أن الجسم هل يوصف بأنه مشبه أم لا ؟

قال الجسم : إنا وإن قلنا : إنه تعالى جسم مختص بالحيز والجهة .
إلا أنا نعتقد : أنه بخلاف سائر الأجسام فى ذاته وحقيقته . وذلك يمنع
من القول بالتشبيه . فإن لإثبات المساواة فى ، الصور^(١) لا يوجب إثبات
التشبيه . ويدل عليه : أنه تعالى صرح فى كتابه بالمساواة فى الصفات
الكثيرة ، ولم يقل أحد بأن ذلك يوجب التشبيه .

فالأول : قال فى صفة نفسه : « إني معكما : أسمعي وأرى^(٢) » ، وقال
فى صفة الإنسان : « فجعلناه سميعا بصيرا^(٣) » ،

الثانى : قال تعالى : « واصنع الفلك بأعيننا^(٤) » وقال فى الإنسان :
« ترى أعينهم تفيض من الدمع^(٥) » ،

الثالث : قال تعالى : « بل يدها مبسوطتان^(٦) » ، وفى الإنسان :
« ذلك بما قدمت يداك^(٧) » وقال فى نفسه : « مما عملت أيدينا أنعاما^(٨) » ،
وفى الإنسان : « يد الله فوق أيديهم^(٩) » ،

(١) الأمور : ط

(٢) طه ٤٦

(٣) الإنسان ٢

(٤) هود ٣٧

(٥) المائدة ٨٣

(٦) المائدة ٦٤

(٧) الحج ١٠ وذلك ح

(٨) ياسين ٧١

(٩) الفتح ١٠

الرابع : قال تعالى : والرحمن على العرش استوى (١٠) ، وفي الإنسان : ولتستورا على ظهوره (١١) ،

الخامس : قال تعالى : (في صفة نفسه) : والعزيز الوهاب (١٢) ، ووصف الخلق بذلك ، فقال : إخوة يوسف : دأيها العزيز (١٣) ، وقال : كذلك يطبع الله ، على كل قلب متكبر جبار (١٤) ،

والسادس : سمى نفسه بالعظيم ، ثم وصف العرش به ، فقال : درب العرش العظيم (١٥) ،

والسابع : وصف نفسه بالحفيظ العليم ، ووصف يوسف نفسه بهما . فقال : إني حفيظ عليم (١٦) ،

وقال : د وبشرناه بغيلام حليم (١٧) ،

وقال في آية أخرى : د بغيلام عليم (١٨) ،

الثامن : سمى تحيئنا سلاما . فقال : د تحيئهم يوم يلقونه : سلام ، (١٩) وسمى نفسه سلاما . كأ (كان يقول النبي) (٢٠) ﷺ بعد فراغه من الصلوة : واللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت ربنا يا ذا الجلال والإكرام ،

التاسع : المؤمن قال الله تعالى : د وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا (٢١) ووصف به نفسه فقال : د السلام المؤمن (٢٢) ،

(١٠) طه ٥	(١١) الزخرف ١٣
(١٢) ص ٩ وفي صفة نفسه : ط (١٣) يوسف ٧٨	(١٤) غافر ٣٥
(١٥) النمل ٢٦	(١٦) يوسف ٥٥
(١٧) الصافات ١٠١	(١٨) الذاريات ٢٨
(١٩) الأحزاب ٤٤	(٢٠) قال : ط (٢١)
(٢٢) الحجرات ٩	(٢٢) الحشر ٢٣

العاشر : د الحكيم ، قال الله : د ألا له الحكم ، (٢٣) ورفضنا به ، فقال :
دفاعتوا حكما من أهله ، وحكما من أهلها (٢٤) ،

الحادي عشر : الراحم والرحيم . وهذا ظاهر .

الثاني عشر : الشكور قال : د إن ربنا لغفور شكور (٢٥) ،

الثالث عشر : العلي . والإنسان يسمى نفسه بذلك . ومثله : د علي ،
— رضى الله عنه —

الرابع عشر : الكبير . قال عن نفسه : د وهو العلي الكبير (٢٦) ،
وقال : د إن له أبا شيخا كبيرا (٢٧) ، وقال حكاية عن امرأتين : د أبونا
شيخ كبير (٢٨) ،

والخامس عشر : الحكيم . والله تعالى وصف نفسه في كتابه به (فقال :
د تنزيل من حكيم حميد) (٢٩) ،

السادس عشر : الشهيد قال في حق الخلق : د فكيف إذا جئنا من
كل أمة بشهيد (٣٠) ، (وقال في نفسه : د أو لم يكف بربك أنه على كل
شيء شهيد ،)

والسابع عشر : الحق . قال : د فتعالى الله الملك الحق (٣١) ، - د وبالحق

(٢٣) الانعام ٦٢

(٢٤) النساء ٣٥

(٢٦) سبأ ٢٣

(٢٨) القصص ٢٣

(٣٠) النساء ٤١

(٢٥) فاطر ٢٤

(٢٧) يوسف ٧٨

(٢٩) فصلت ٤٢

(٣١) طه ١١٤

وقال في نفسه الخ القوس من خ والآية ٤٣ فصلت

أنزلناه، وبالحق نزل (٣٢)، — الملك يومئذ الحق للرحمن (٣٣)، —
ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق (٣٤)، — وهو الذى أرسل رسوله
بألهدى، ودين الحق (٣٥)،

الثامن عشر : الوكيل . قال الله تعالى : وهو على كل شىء وكيل (٣٦)،
وقد يوصف الخلق بذلك ، فيقال : فلان وكيل فلان .

التاسع عشر : المولى . قال تعالى : ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ،
وأن الكافرين لا مولى لهم (٣٧)، ثم قال فى حقنا : ولكل جعلنا مولى (٣٨)،
والنبي ﷺ قال : من كنت مولاه ، فعلى مولاه (٣٩)،

العشرون : الولى . قال الله تعالى : إنما وليكم الله ورسوله ، والذين
آمنوا (٤٠)، وقال النبي ﷺ : أيما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها .
فنكاحها باطل (٤١)، وقال تعالى : والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء
بعض (٤٢)،

الحادى والعشرون : الحى . قال تعالى : وهو الحى لا إله إلا هو (٤٣)، —
و ألم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم، (٤٤) وقال : وجعلنا من الماء كل
شىء حى (٤٥)،

(٣٣) الفرقان ٢٦	(٣٢) الاسراء ١٠٥
(٣٥) الفتح ٢٨	(٣٤) الفرقان ٣٣
(٣٧) محمد ١١	(٣٦) الانعام ١٠٢
	(٣٨) النساء ٣٣
(٤٠) المائدة ٥٥	(٣٩) أحاديث الفرق هى أحاديث آحاد
(٤١) انظر مناقب الشافعى لفخر الدين الرازى — طبع انكليات الازهرية	
(٤٣) غافر ٦٥	(٤٢) التوبة ٧١
(٤٥) الانبياء ٣٠	(٤٤) أول آل عمران

الثاني والعشرون : الواحد . قال تعالى : قل : إنما هو إله واحد (٤٦) ،
ويقع هذا الوصف على أكثر الأشياء . فيقال : ثوب واحد ، وإنسان واحد .

الثالث والعشرون : التواب . قال تعالى : إن الله كان تواباً رحيماً (٤٧)
ويسمى الخلق به ، فقال : « إن الله يحب التوابين (٤٨) » ،

الرابع والعشرون : الغنى . قال تعالى : « والله الغنى (٤٩) » . وقال :
« إنما السبيل على الذين يستأذنونك ، وهم أغنياء (٥٠) » وقال في الآخر :
« خذها من أغنيائهم ، وردّها في فقراتهم »

الخامس والعشرون : النور . قال الله تعالى : « الله نور السموات
والأرض (٥١) » ، وقال : « نورهم يسعّ بين أيديهم (٥٢) »

السادس والعشرون : الهادي . قال الله تعالى : « ولكن الله يهدي من
يشاء (٥٣) » ، وقال : « إنما أنت منذر ، ولكل قوم هاد (٥٤) »

السابع والعشرون : المستمع . قال الله تعالى : « فاذهباً بآياتنا ، إنا
معكم مستمعون (٥٥) » وقال لموسى عليه السلام : « فاستمع لما يوحى (٥٦) »

الثامن والعشرون : القديم . قال تعالى : « حق عاد كالعرجون
القديم (٥٧) »

(٤٦) الأنعام ١٩	(٤٧) النساء ١٦
(٤٨) البقرة ٢٢٢	(٤٩) آخر محمد
(٥٠) التوبة ٩٣	(٥١) النور ٣٥
(٥٢) التحريم ٨	(٥٣) القصص ٥٦
(٥٤) الرعد ٧	(٥٥) الشعراء ١٥
(٥٦) طه ١٣	(٥٧) ياسين ٣٩

واعلم : أنه لا نزاع في أن لفظ : الموجود ، والشئ الواحد ، والذات ، والمعلوم ، والمذكور ، والعالم ، والقادر ، والحي ، والمريد ، والسميع ، والبصير ، والمتكلم ، والباقي : واقع على الحق سبحانه وتعالى ، وعلى خلقه .
ثبت بما ذكرنا : أن المشابهة من بعض الوجوه لا توجب أن يكون قائله موصوفا : بأنه مشبه الله تعالى بالخلق ، وبأنه مشبه . ونحن لا نثبت المشابهة بينه وبين خلقه ، إلا في بعض الصور (٥٨) والصفات إلا أنا نعتقد أنه تعالى ، وإن كان جسما ، إلا أنه بخلاف سائر الأجسام في ذاته وحقيقته .
فثبت : أن إطلاق اسم المشبه على هذه الطائفة : كذب وزور .

هذا جملة كلامهم في هذا الباب .



واعلم : أن حاصل هذا الكلام من جانبنا : أنا قد دللنا في القسم الأول من هذا الكتاب على أن الأجسام متماثلة في تمام الماهية (فلو كان الباري تعالى جسما ، لزم أن يكون مثالا لهذه الأجسام في تمام الماهية (٥٩)) وحينئذ يكون القول بالتشبيه لازما . أما ما لم يدل الدليل على الشئ في الموجودية والعالمية والقادرية ، فإنه (لا) (٦٠) يوجب تماثلها في تمام الماهية . فظهر الفرق (وبالله التوفيق) (٦١)

الفصل الثالث

في

أن من يثبت كونه تعالى جسما متحيزا مختصا
بجهة معينة • هل يحكم بكفره أم لا ؟

للعلماء فيه قولان :

أحدهما : أنه كافر - وهو الأظهر - وهذا لأن مذهبنا : أن كل شيء
يكون مختصا بجهة وحيز ، فإنه مخلوق محدث ، وله إله أحدثه وخلقته .
وأما القائلون بالجسمية والجهة (الذين (١) أنكروا وجود موجود
آخر سوى (هذه (٢) الأشياء التي يمكن الإشارة إليها ، فهم منكرون لذات
الموجود ، الذي يعتقد أنه هو الإله . وإذا كانوا (٣) منكرين لذاته ، كانوا
كفاراً لا محالة . وهذا بخلاف المعتزلي (٤) فإنه يثبت موجودا ، وراء
هذه الأشياء التي يشار إليها بالحس ، إلا أنه خالفنا في صفات ذلك الموجود .
والمجسمة يخالفوننا في إثبات ذات المعبود ووجوده ، فكان هذا الخلاف
أعظم . فليزعم الكفر ، لكنهم منكرين لذات المعبود الحق ولوجوده
والمعتزلة في صفته ، لا في ذاته .

والقول الثاني : إنا لا نكفرهم . لأن معرفة التنزيه ، لو كانت شرطا
لصحة الإيمان لوجب على الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن لا يحكم بإيمان

(١) من ط

(٢) من ط

(٣) من ط

(٤) المعتزلة : ط

أحد، إلا بعد أن يتفحص : أن ذلك الإنسان . هل عرف الله تعالى بصفات التنزيه ، أولا ؟ وحيث حكم بإيمان الخلق من غير هذا التفحص ، علمنا : أن ذلك ليس شرطا للإيمان (٥) .

* * *

وهذا آخر الكلام في هذا الكتاب . ونحن نسأل الله العظيم أن يجعله في الدنيا والآخرة . سببا للفوز والسرور والنجاة واستحقاق الدرجات برحمته إنه أرحم الراحمين . والحمد لله رب العالمين (والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وخاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وعلينا يا رب العالمين . غفر الله لكاتبه وقارئه ومصححه ولمن قال : آمين ، ولجميع المسلمين) (٦) .

(٥) اعلم : أن القول النائي هو القول الصحيح . لأن تكفير المسلم ليس هو بالشئ الهين . لأن الله تعالى لم يجعل عقول الناس على درجة سواء في الفهم . فمنهم العالم ومنهم العالم .

(٦) ما بين القوسين من خ

قَصِيَّةُ الْكِتَابِ

لاحظ :

أولا : إن محمد بن إسحق بن خزيمة ، المتوفى سنة ٣١١ هـ - الذي يكرمه الإمام فخر الدين الرازي - كراهة تحريم ، قد ألف كتابه د التوحيد وإثبات صفات الرب ، ليعلم الناس : أن الله - عز وجل - وجها ويدين - وكلتا يديه يمين - ورجلين وأذنين وعينين . . . وهكذا . وأنه - عز وجل - يستوى على العرش في السماء . ومن لا يثبت ذلك لله عز وجل يعتبر كافرا . يقول ابن خزيمة : د واجب على كل مؤمن أن يثبت الخالق وبارئه ، ما أثبت الخالق الباري لنفسه ، من العين . وغير مؤمن من ينفي عن الله - تبارك وتعالى - ما قد أثبتته في محكم تنزيله (١) ، ومن المسلمين من يفسر وجه الله . . . إلخ هذه الصفات التي توهم أن الله جسم ، بمعنى مجازي . كما تقول العرب : وجه الكلام ووجه الثوب . وابن خزيمة يصف هؤلاء المسلمين بالجهل ، وبعدم التحري في العلم . ويأتى بأحاديث كثيرة . ويفسرهما على ظاهرهما بدون تأويل . مثل : د أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أهل الكتاب ، فقال : يا أبا القاسم . أبلغك أن الله عز وجل يحمل الخلائق على إصبع ، والسموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والثرى على إصبع ؟ قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه . قال : فأنزل الله تعالى : د وما قدروا الله حق قدره . والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، إلى آخر الآية .

وقد ألف الإمام فخر الدين الرازي المتوفى في سنة ٦٠٦ هـ كتابه

(١) ص ٢٢ التوحيد - لابن خزيمة .

دأساس التقديس، للرد على ابن خزيمة، حتى لا يؤمن الناس بكلامه. وانتصر عليه بالشيخ الغزالي أبي حامد حجة الإسلام، وبغيره من العلماء الراسخين في العلم. ولم يترك حديثاً أتى به ابن خزيمة من غير أن يذكره، ويدين تأويله على الحقيقة وعلى المجاز. ومن ينظر في الكتابين يجد أن كل الأحاديث التي ذكرها الإمام فخر الدين في أساس التقديس، قد نقلها بنصها من كتاب ابن خزيمة هذا، ليرد كيده إلى نحره، وفي نهاية كتابه لا يحكم عليه بالجهل، بل يحكم عليه بالكفر والخروج من الدين.

ثانياً: إن الله - عز وجل - بين في القرآن الكريم: أنه
إله واحد، ولا إله غيره. وبين: أنه ليس كمثله شيء. والمسلمون لا يختلفون في الوحدةانية، وفي التنزيه لله - عز وجل - وإنما يقول بعضهم: هو واحد، له يد، ليست كأيدينا - ومنهم الشيخ ابن خزيمة - ورجل، ليست كأرجلنا، ويستوى على العرش، بدون تمثيل لكيهية الاستواء. وهكذا يثبتون الصفات الخبرية، الواردة في القرآن والحديث عن الله. وهذا الإثبات لظاهر الأخبار التي تثبتها. مثل: يد الله فوق أيديهم، وينفون التشبيه والتمثيل. وهذا النفي لظاهر الأخبار التي تنفيها. مثل: «ولم يكن له كفوا أحد، أي لبس له مثل ولا كفء ولا نظير. ويقول بعض المسلمين: هو واحد. ليس له جسم. لأن الجسم يتخيله العقل على أي شبه كان. وحيث نفى عن نفسه التشبيه. فإذاً لا يكون جسماً. وما ورد في الأخبار عن يده ورجله وعينه، وسائر الأعضاء التي تدل على أن الله جسم: تقول على معنى: القدرة ومجىء الأمر، وأنه يسمع ويرى، وما شابه ذلك. ومن هؤلاء المسلمين الشيخ محمد بن عمر، مؤلف دأساس التقديس، - في علم الكلام - وهؤلاء يقولون أيضاً: إن الذي ورد في القرآن وفي الأحاديث من أن الله له صفات تشبه صفات

البشر ، من المكر والخداع والاستحياء والغضب والرضا والمحبة والكره ، وما شابه ذلك . ليس على الحقيقة . وإنما معناه : أن الله يتحدث عن نفسه للبشر ، كأنه واحد منهم ، ليقترب ذاته إلى عقولهم . وهو ليس مثلهم ، ولا مثل أى شيء .

وقد أسندت هذه الأفعال إلى الله من باب المشاكلة . وهي تسمية الجزء على الشيء ، باسم ذلك الشيء ،^(٢)

وقال الإمام الشافعى — رضى الله عنه — فى هذه الصفات ، كلاماً معناه : إن القرآن تحدث عن الله وصفاته بلسان بنى آدم . قال يرحمه الله فى قوله تعالى : « وهو أهدون عليه » : « معناه : فى العبرة عندكم . لأنه لما قال للعدم « كن » ، فيخرج تماماً ، كاملاً بعينيه وأذنيه وبصره وأنفه وسمعه ومفاصله . فهذا فى العبرة أشد من أن يقول لشيء قد كان وفى : عد إلى ما كنت . فالمراد من الآية : وهو أهدون عليه بحسب عرفكم ، لا أن شيئاً يكون أهدون على الله تعالى من شيء آخر ،^(٣)

وبعد رحيل الإمام نضر الدين الرازى ، ظهر الشيخ ابن تيمية الخراسانى ، ليرد عليه ، منتصراً بابن خزيمة . وأمثاله من علماء المسلمين . وفى عصرنا هذا علماء معجبون بابن تيمية ، وآخرون معجبون بنضر الدين ، وعلماء يفوضون الأمر لله ولا يتحدثون فى هذا الخلاف . وهؤلاء لا يحفل بهم ولا يلتفت إليهم .

(٢) نص عبارة الدكتور محمد عبد المنعم القيعى ، استاذ ورئيس قسم التفسير . بجامعة الأزهر . من ص ٥١ (عقيدة المسلمين) — طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٨٦ .
(٣) مناقب الإمام الشافعى ، ص ٢٠٨ نشر مكتبة الكليات الأزهرية .

ثالثا : إن الإمام نضر الدين الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ هو أستاذ لابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ . وابن تيمية تلميذ له . وليس التلميذ أفضل من الأستاذ . أما أن ابن تيمية تلميذ للإمام نضر الدين الرازى . فمن الأدلة على أنه تلميذه : أنه كان يدرس كتب الإمام نضر الدين لطلاب العلم ، ويتكسب من وراء التدريس ، لأنه هو وأسرته كانوا غرباء في دمشق ، لما هربوا من حاران ، أيام التتار .

يقول ابن رجب عن مؤلف العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، وهو ابن قدامة المقدسى الحنبلى المتوفى سنة سبعمائة وأربعة وأربعين .

يقول ابن رجب ، عنه : ما نصه : « ولازم الشيخ تقي الدين بن تيمية مدة . وقرأ عليه قطعة من الأربعين في أصول الدين ، للرازى (٤) ، وأما أن التلميذ ليس أفضل من الأستاذ : فله قول المسيح عيسى عليه السلام : « ليس التلميذ أفضل من المعلم ، ولا العبد أفضل من سيده . يكفي التلميذ أن يكون كعلمه ، والعبد كسيده » (متى ١٠ : ٢٤ - ٢٥) ولما شاع على السنة الناس : من علنى حرقا ، صرت له عبدا .

وأقول لطلاب العلم : من أراد منكم أن يفهم كتب الإمام نضر الدين بسهولة ويسر ، فليقرأ كتب ابن تيمية . لأنه يأتي بالضد لكثير من آراء الإمام - ولا بتيسر له الإفهام - ومن أراد منكم أن يفهم آراء ابن تيمية بسهولة ويسر ، فليقرأ كتب الإمام نضر الدين .

(٤) ص ١٤ العقود الدرية . لابن عبد الهادى — تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى — رحمه الله — مطبعة حجازى بالقاهرة سنة ١٩٣٨ م

وسأوضح رأى الفريقين على النحو التالى :

١ - يقول الإمام فخر الدين الرازى : إن الله ليس جسما ، وليس كمثل شئ . وهو فى السماء بالعلم ، وفى الأرض بالعلم . وليس للذات الإلهية مكان يشار إليه . وماورد فى الأخبار من اليد والرجل ، يقول إلى القدرة وبحى الأمر . وهكذا .

٢ - ويقول ابن تيمية : إن الله ليس جسما ، وليس كمثل شئ . وهو فى الأرض بالعلم ، وفى السماء فوق العرش ، بدون تشبيه . وماورد فى الأخبار من اليد والرجل . نأخذه على ظاهره ، بلا كيف ، ولا نقواه .

وبيان رأى الإمام فخر الدين هكذا :

(أ) « يد الله فوق أيديهم » (ب) « ليس كمثل شئ »

قوله : « ليس كمثل شئ » : قول محكم ، له معنى واحد ، وهو نفي التشبيه والنظير ، عن الله عز وجل . وقوله : « يد الله » : قول متشابه يحتمل معنيين : الأول : اليد الجارحة . والثانى : اليد : كناية عن القدرة . وحيث أنه متشابه . يتعين الرجوع إلى المحكم . والمحكم وهو « ليس كمثل شئ » ، لا يدل على معنيين كالتشابه ، بل يدل على معنى واحد ، وهو نفي التشبيه . ويسأل الإمام فخر الدين هذا السؤال : أى المعنيين من معنيتي التشابه هو الذى يتفق مع المحكم ؟ إذا عرفت ، فقد عرفت مراد الله تعالى من قوله : « يد الله فوق أيديهم » ، ويجيب بقوله : « إن المعنى المتفق مع المحكم هو أن اليد كناية عن القدرة . لأن اليد الجارحة لا تتفق مع نفي التشبيه .

وقوله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب » . منه آيات محكمات . من أم الكتاب . وآخر متشابهات . فأما الذين فى قلوبهم زيغ ، فيتبعون

ما تشابه منه ، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وما يعلم تأويله إلا الله .
والراسخون في العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا ،
١ - يدل على أن في القرآن المحكم والمتشابه . كما ذكرنا في « يد الله »
وفي « ليس كمثله شيء » ،

٢ - ويدل على أن الذين في قلوبهم زيغ ، أي ، بعد عن الحق . يأخذون
المتشابه للفتنة ، ولتأويله تأويلا فاسداً . فمثال أخذهم المتشابه للفتنة : أن
أهل الكتاب قالوا في قوله تعالى : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور » :
إن القرآن شهد بصحة التوراة ، وأنها تكفي في هداية الناس إلى الحق .
ومثال أخذهم المتشابه للتأويل الفاسد : إن النصارى قالوا في قوله تعالى :
« وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه » أن القرآن اعترف بصحة أقنوم الابن
الذى هو الكلمة ، وصحة أقنوم الروح القدس .

٣ - وأما الراسخون في العلم الإلهي ، لتأكدهم من الله بالبراهين
والحجج ، وخشيتهم منه ، فإنهم إذا فهموا المعنى حددوا الله ، وإذا لم يفهموه
اتهموا أنفسهم بالتقصير في العلم ، أو طلبوا الفتوح من الله . ويقولون
في ما فهموه وفي ما لم يفهموه : « كل من عند ربنا » ،
وبيان رأى الإمام ابن تيمية هكذا :

(أ) « يد الله فوق أيديهم » ، (ب) « ليس كمثله شيء » ،

قوله « يد الله » قول على الحقيقة . وقوله « ليس كمثله شيء » قول على
الحقيقة . وعلى ذلك : فالله عز وجل له يد . ولكنها ليست كأيدى أى
مخلوق كان . لأنه أثبت اليد ، ونفى التشبيه . ولماذا قال ابن تيمية بالحقيقة
فى اليد ، ولم يقل إنها مجاز عن القدرة ؟ لأن تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز
- كما يدعى - اصطلاح محدث بعد القرون الثلاثة الأولى ، وحيث أنه محدث

لا ينبغي أن نخضع له لغة القرآن . وعلى ذلك فإن جميع الصفات الإلهية يجب أن تحمل على الحقيقة ، لا على المجاز ، ولا حاجة إلى تأويلها . هذه حجته .

والذين ردوا عليه ، من ردودهم ما يلي :

أولاً : قال ابن تيمية في بعض كتبه في معنى الحديث الشريف :
والحجر الأسود يمين الله في الأرض ، قال : اليمين مجاز هنا ، وليس حقيقة في اليد اليمنى الجارحة . وهو مجاز ليس في لفظ « يمين » بل هو مجاز لأن سياق العبارة يدل على أنه مجاز . أى أن لفظ « يمين » لا يستعمل ككلمة مفردة إلا على الحقيقة . وأما فى الجملة فإنه يستعمل مجازاً للقوة . وعلى قوله هذا ، فإن سياق العبارات فى إيراد بعض ألفاظ الصفات الخبرية عن الله عز وجل تدل على المجاز ، ولا تدل على الحقيقة . ومثال ذلك قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » يفسره ابن تيمية بقوله : دل سياق الآية على أنها معية علم ، حيث بدئت الآية بالعلم وختمت بالعلم . وقوله : « ما يكون من نجوى ثلاثة ، إلا هو رابعهم » إلى قوله : « إلا هو معهم أينما كانوا » يدل على أنه معهم بعلمه لا بجسمه . وعلى قواه هذا . إذا ثبت التأويل فى موصع ، فلماذا يلتقى فى موضع آخر إذا كان مشابهاً له ؟

وعلى قوله هذا يقال له : إن سياق العبارة وضح الحقيقة أو المجاز من النص . كما تقول . فلماذا تستبعد المحكم من تعيين أحد معنى المتشابه ، وعلى المحكم والمتشابه دليل من القرآن ، وليس على سياق العبارات دليل . اللهم : إلا القرينة العقلية ؟

وعلماء البلاغة يقولون : إن لفظ « الأسد » كلفظ مفرد هو حقيقة على الحيوان المفترس . وكلفظ مفرد لا يدل مجازاً على رجل شجاع .

ولئما يدل على رجل شجاع إذا كان في عبارة ، وفي العبارة قرينة ندل على ذلك . أى أن سياق العبارة هو الذى يجعل لفظ د الأسد ، مجازاً . لا أن لفظ د الأسد ، فى ذاته حقيقة ومجاز معاً . وابن تيمية معترف بذلك . فأى فرق بينه وبين علماء البلاغة ؟ ولماذا يمنع المجاز فى القرآن وفى الصفات ؟

ثانياً : إن قوله بتقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز ، هو اصطلاح محدث . ينفيه أن اللغة العربية موجودة فى العالم ، قبل الاصطلاح المحدث ، وقبل نزول القرآن . أى أن قوله تعالى : د نورهم يسمى بين أيديهم ، على سبيل المثال موجود قبل وجود أبي عبيدة معمر بن المثنى . والنور لا يسمى . وإنما شبه النور برجل يمشى أمامهم ، ليدهم على الطريق . وكلمة يسعى ، إن كانت مفردة فهى حقيقة فى المشى . وهى فى القول الكريم مجاز ، بحسب سياق العبارة . وذلك معلوم من قبل ظهور معمر بن المثنى وأحمد ابن تيمية . ولو أخذنا بالاصطلاحات المحدثه ، لمنعنا إعجاز القرآن بالآيات العلمية فى الكون ، لأن الاصطلاحات العلمية محدثة . وهذا القول لا يقول به عاقل وفاهم .

ثالثاً : إن ابن تيمية قال فى (الجواب الصحيح) إن النصارى وقعوا فى الضلال لأنهم قالوا بالآب والابن على الحقيقة . ولو أنهم أخذوا بالتأويل ، وردوا التشابه من آيات كتبهم إلى المحكم منها ، لما وقعوا فى التثليث . والسؤال الآن ؟ لماذا توافق على التأويل فى موضع ، ولماذا تمنع التأويل فى موضع ؟ إنه إذا لم يكن الغرض مخالفة والإمامية ، لا أكثر ولا أقل ، وذلك بإيراد فكر مضاد لفكرهم بالحق أو بالباطل . فإن هذا السؤال سيظل بلا جواب .

قال ابن تيمية : د لفظ الابن يعبر به عن ولد الولادة المعروفة ، ويعبر به عن كان هو سببا في وجوده . كما يقال ابن السبيل لمن ولدته الطريق . فإنه لما جاء من جهة الطريق ، جعل كأنه ولده . ويقال لبعض الطير : ابن الماء ، لأنه يجي من جهة الماء . ويقال : كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا . فإن الابن ينتسب إلى أبيه ويحبه ويضاف إليه . أي كونوا من ينتسب إلى الآخرة ويحبها ويضاف إليها . وهذا اللفظ موجود في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب في حق الصالحين الذين يحبهم الله ويربيهم . كما ذكروا أن المسيح قال : د أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم ، وفي التوراة : أن الله قال ليعقوب : د أنت ابني بكرى ، ونحو ذلك مما يراد به — إذا كان صحيحا ، له معنى صحيح وهو — المحبة له والاصطفاء والرحمة له . وكان المعنى مفهوما عند الأنبياء — عليهم السلام — ومن يخاطبونه . وهو من الألفاظ المتشابهة ، فصار كثير من أتباعهم يريدون به المعنى الباطل (٥) ، اهـ .

وقال ابن تيمية في رده على النصارى : د إنكم إنما ضللتكم بعدولكم عن صريح كلام الأنبياء وظاهره ، إلى ما تأولوه عليه من التأويلات التي لا يدل عليها لفظه ، لا نصا ولا ظاهرا . فعدلتكم عن المحكم واتبعتم المتشابهة ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . فلو تمسكتكم بظاهر هذا الكلام لم تضلوا .

فإن الابن ظاهره — في كلام الأنبياء — لا يراد به شيء من صفات الله ، بل يراد به : وليه وحبيبه ، ونحو ذلك . وروح القدس لا يراد به صفته ، بل يراد به : وحيه ومملكه ، ونحو ذلك ، فعدلتكم عن ظاهر اللفظ ومفهومه إلى معنى لا يدل عليه اللفظ البتة . فكيف تدعون أنكم اتبعتم نصوص الأنبياء (٦) ؟ وعبارته غير واضحة الدلالة على ما يريد إثباته . إلا أنها واضحة الدلالة على قوله بالتأويل الصحيح .

(٥) ص ٣٤٦ ج ٢ الجواب الصحيح

(٦) ص ١٦٥ ج ٣ الجواب الصحيح

رابعاً : إن أخذ ابن تيمية بظاهر اللفظ ، يوقعه في سوء الأدب مع الأنبياء - عليهم السلام - فقد قال - على سبيل المثال - في قوله تعالى عن شعيب عليه السلام : « قد افترينا على الله كذبا : إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ، أن شعيباً كان على الكفر قبل أن ينجيهِ الله منه . أحذا بظاهر اللفظ . وليس المعنى كما قال . بل المعنى هو : أن الذين آمنوا به كانوا من قبل كفارا . ولما آمنوا ، قال لهم « الملائكة الذين استكبروا من قومه : لنخرجنك يا شعيب ، والذين آمنوا معك ، من قريتنا ، أو لتعودن في ملتنا » فدخل شعيب مع المؤمنين به في الخطاب . ولما رد بقوله : « إن عدنا » رد على أنه يتحدث عن جماعة المؤمنين به ، لأنه قائدهم ورئيسهم ونبههم ورسولهم . لا على شخصه بمفرده . وهذا التأويل لا بد منه لإثبات عصمة الأنبياء من الكبائر والكفر ، قبل النبوة وبعدها .

والذين قالوا بالتأويل - ومنهم الإمام غفر الدين - انقسموا في ما ورد في القرآن وفي الأحاديث عن الله - عز وجل - أنه يمكر ويخدع ويستحي ويفضض ويرضى ويحب ويكره ، وما شابه ذلك : انقسموا إلى فريقين في هذه الصفات ، ففريق يرى أن هذه الأوصاف قد أطلقها الله على نفسه ، ليقترب ذاته بها إلى عقول البشر ، على سبيل المشاكلة - كما يقول علماء البلاغة - وهو لا يتصف بها على الحقيقة . لأن المكر يدل على العجز والضعف ، فلما كره إنما يمكر ليتخلص مما هو فيه من الشدة ، أو ليحصل على شيء يحبه بطريق الخيلة . والله تعالى منزّه عن العجز والضعف والحاجة ، ولأن الاستحياء يدل على الخجل ، والخجل يدل على التغير والانفعال . والله تعالى منزّه عن التغير والانفعال . وهكذا في سائر هذه الصفات . ولا يؤولون صفة الحسك بحصول الرضى والإذن . وهكذا . لأن قولهم فيها : بأن الله

يقرب بها ذاته إلى عقول البشر هو التأويل الذي ما بعده تأويل . وقولهم هذا هو الصحيح فيها . لأن تأويل الصفة ، يستلزم إثبات صفة أخرى مكانها ، وفريق يرى تأويل الصفة - ومنهم الإمام غفر الدين - فيؤولون صفة الفرح لله تعالى بالرضا . ويؤولون صفة الحياء بانزال العقاب . وهكذا .



يقول الألوسي البغدادي في تفسيره المسمى بروح المعاني عز رأى الفريقين في قوله تعالى : « إن الله لا يستحي » : « والناس في ذلك مذهبان فبعض يقول بالتأويل . إنه الانقباض النفساني عما لا يحوم حول حظائر قدسه - سبحانه - فالمراد بالحياء عنده : الترك اللازم للانقباض . وجوز جعل ما هنا بخصوصه من باب المقابلة ، لما وقع في كلام الكفرة ، بناء على ما روى أنهم قالوا : ما يستحي رب محمد أن يضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت . وبعض - وأنا والحمد لله منهم - لا يقول بالتأويل ، بل يمر هذا وأمثاله . - مما جاء عنه سبحانه في الآيات والأحاديث - على ما جاءت ، ويكمل عليها بعد التنزيه عما في الشاهد إلى عالم الغيب والشهادة ،

والإمام الجليل محمود بن عمر - رحمه الله - في تفسيره المسمى بالكشاف على تقيض رأى الألوسي البغدادي في صفة الاستحياء لله . فيقول : « فإن قلت : كيف جاز وصف القديم - سبحانه - به ، ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم ؟ قلت : هو جار على سبيل التمثيل ،

ويقول الإمام الجليل الخطيب الشربيني - رحمه الله - في تفسيره المسمى بالسراج المنير في قوله تعالى : « إن الله لا يستحي » : « والحياء انقباض النفس عن القبيح ، مخافة الذم . وهو الوسط بين الوقاحة - التي هي الجراءة عن القبائح وعدم المبالاة بها - وبين الخجل ، الذي هو

انحصار النفس عن 'الفعل مطلقاً . فإذا وصف به الباري — سبحانه وتعالى — كما جاء في الحديث : « إن الله يستحي من ذى الشبهة المسلم أن يعذبه » — « إن الله حي كريم ، يستحي إذا رفع العباد يديه ، أن يردهما صفراً ، حتى يضع فيهما خيراً ، فالمراد به : الترك ، كما قدرته اللازم للانقباض . كما أن المراد من رحمته وغضبه : إصابة المعروف والمكروه اللازمين للمعنيين ، وتحتمل الآية خاصة : أن يكون مجيء الحياء فيها للمشاكاة . وهو أن يذكر الشيء بلفظ غيره ، لوقوعه في صحبته . ولو تقديرًا — كما هنا — وهو قول الكفرة : أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت . ولما كان التمثيل يصار إليه لكشف المعنى الممثل له ، ورفع الحجاب عنه ، وإبرازه في صورة المشاهد المحسوس ، ليساعد فيه الوهم : العقل ، ويصالحه عليه . فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل ، مع منازعة من الوهم ، لأن من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة ،

ويقول في قوله تعالى : « فاذكروني أذكركم » : « قال ابن عباس : بمعونتي ، وقال سعيد بن جبير بمغفرتي . وقيل : اذكروني في النعمة والرخاء ، أذكركم في الشدة والبلاء ، أى أن الله لم يكن قد نسيتهم حتى يذكركم وقت ذكركم له .

ويقول في قوله تعالى : « ومكر الله . والله خير الماكرين » : « خير الماكرين ، أى أعلمهم بالمكر ، وقال الزجاج : في قوله : أى مجازاتهم على مكرهم . فسمى الجزاء باسم الابتداء . لأنه في مقابلته ، كقوله تعالى : « الله يستهزئ » بهم ، « وهو خادعهم »

والأزهر في مصر يعلم الطلاب :

وكل نص أوهم التشبيه أوله ، أو فوض . ورم تنزيها

د أى أنه إذا ورد فى القرآن أو السنة ما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح ، اتفق أهل الحق وغيرهم - ماعدا المجسمة والمشبهة - على تأويل ذلك ، لوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه ما ذكر ، بحسب ظاهره .
فما يؤم الجهة قوله تعالى : « يخافون ربهم من فوقهم » ، فالسلف يقولون : فوقية لا نعلمها ، والخلف يقولون : المراد بالفوقية : تعالى فى العظمة .
فالمعنى « يخافون » أى الملائكة « ربهم » من أجل تعالىه فى العظمة ، أى ارتفاعه (٧) فيها . . . الخ

والكثيرون من علماء الأزهر على رأى الإمام الرازى . ويتركون الحرية للطلاب والناس فى اختيار أحد الرايين . والكثيرون من علماء المملكة العربية السعودية على رأى الإمام ابن تيمية ، ويلزمون الطلاب والناس برأيه .



وللإمام محمد بن محمد الغزالى ، المتوفى سنة ٥٠٥ هـ رأى فى يد الله وعين الله ، وما شابه ذلك من الصفات التى توهم أن الله جسم . أورده فى « إلجام العوام عن علم الكلام » هكذا :

أولا : يجب على جميع المسلمين أن ينزهوا الله عن الجسمية والجهة .
ثانيا : إذا سمع العامى كلمة « يد الله » فليعتقد أولا أن الله ليس جسما وليست له يد جارحة . وليفسر اليد ثانيا بأى معنى من المعانى التى تبعد اليد عن الجسمية . كالقدرة مثلا . فإذا لم يحسن العامى أن يأتى اليد بمعنى يبعدها

(٧) ص ١١٠ تحفة المريد على جوهر التوحيد للبيجورى - طبعة الأزهر .

عن الجسمية فليسكت عن التفسير . وعدم علمه نذر له أمام الله عز وجل .

ثالثا : التأويل واجب على العلماء في يد الله ، وسائر الأخبار التي توهم أن الله جسم ، على سبيل فرض الكفاية . والعلماء في نظره هم أهل التصوف .

يقول الغزالي أبو حامد : « لأنه إذا سمع اليد والإصبع ، وقوله ﷺ : « إن الله خمر طينة آدم بيده » ، وإن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ، فينبغي أن يعلم أن اليد تطلق للمعنيين :

أحدهما : هو الموضع الأصلي ، وهو عضو مركب من اللحم وعظم وعصب . واللحم والعظم والعصب : جسم مخصوص ، وصفات مخصوصة . وأعني بالجسم : عبارة عن مقدار له طول وعرض وعمق ، يمنع غيره من أن يوجد بحيث هو : إلا بأن يتنحى عن ذلك المكان .

الثاني : وقد يستعار هذا اللفظ - أعني اليد - لمعنى آخر ، ليس ذلك المعنى بجسم أصلا . كما يقال : البلدة في يد الأمير . فإن ذلك مفهوم . وإن كان الأمير مقطوع اليد مثلا .

فعلى العامي وغير العامي : أن يتحقق قطعا ويقينا أن الرسول - عليه السلام - لم يرد بذلك جسما ، هو عضو مركب من لحم ودم وعظم ، وأن ذلك في حق الله تعالى محال ، وهو عنه مقدس . فإن خطر بباله : أن الله جسم مركب من أعضائه ، فهو عابد صنم . . . ومن نفي الجسمية عنه وعن يده وإصبعه ، فقد نفي العضوية واللحم والعصب ، وقدر الرب - جل جلاله - عما يوجب الحدوث . وليعتقد بعده : أنه عبارة عن معنى من المعاني ليس بجسم ولا عرض في جسم ، يليق ذلك المعنى بالله تعالى . فإن

كان لا يدرك ذلك المعنى ولا يفهم كنه حقيقته فليس عليه فى ذلك تكليف أصلاً . فعرفة التأويله ومعناه ليس بواجب عليه (١) ، اهـ .

ويقول أبو حامد الغزالي : « وفى معنى العوام : الأديب والنحوى والمحدث والمفسر والفقهاء والمتكلم ، بل كل عالم سوى المتجردين لتعلم السباحة فى بحار المعرفة ، القاصرين أعمارهم عليه ، الصارفين وجوههم عن الدنيا والشهوات ، المعرضين عن المال والجاه والخلق وسائر اللذات . . . الخ (٢) » ، ونقول لأبى حامد : هؤلاء العارفين الذين تنصبهم أئمة على العلماء ، فيهم العامى ، والنبي ، والنبأ ، والذى ضاقت به الدنيا ، والمستنير ، والمرائي ، والصادق الإيمان ، والغاش لدينه . فمن من هؤلاء هو الإمام ؟ وإذا أخرجت الراسخين فى العلم من الإمامة ، ووضعتم بدلهم هؤلاء العوام - وإن كانوا صادق الإيمان - فماذا تقول فى قول الله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ؟ وعلى رأيك هذا ، هل تغلق المدارس والجامعات ؟ ويعتقد أبو حامد الغزالي فى التأويل ويصرح به ، وهذا يدل على معرفته الصحيحة فى الله وصفاته ، وتصريحه بالتأويل حسنة من حسناته (٣) على الإسلام ، يحزبه الله عليها خير الجزاء . يقول - رحمه الله - فى قوله تعالى : « وهو القاهر فوق عباده » ، وفى قوله تعالى : « يخافون ربهم من فوقهم » : « إن الفرق على الحقيقة نسبة جسم إلى جسم ، بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل . والفرق على المجاز يستعمل فى فوقية الرتبة ، مثل : الخليفة فوق السلطان . والمعنى الحقيقى يدل على جسم ، والمعنى المجازى ينقضى الجسمية .

(١) ص ٦٣ - ٦٤ الجام العوام

(٢) ص ٧٤ الجام العوام

(٣) من سيئات الغزالي أبى حامد : دفاعه عن التصوف

(م ١٨ - أساس التقديس)

ويقول بعد هذا مانعه : « فليعتقد المؤمن قطعا : أن الأول - وهو المعنى الحقيقي - غير مراد ، وأنه على الله محال . فإنه من لوازم الأجسام ، أن لوازم أعراض الأجسام » (١) ويقول أيضا - رحمه الله - : « تأويل لفظ الفوق بالمعنى المعنوي ، الذي هو المراد بقولنا : السلطان فوق الوزير . فإننا لانشك في ثبوت معناه لله تعالى » (٢) وكتاب «الاقتصاد في الاعتقاد» للإمام الغزالي ، كتاب نفيس ، ككتاب «أساس التقيديس» للإمام فخر الدين الرازي . وفيه يعظم الله وينزهه ، ويتأول الأخبار الموهمة للجسمية بمعان معنوية تنفي الجسمية . ومن كلامه - رحمه الله - : « ندعى أن الله تعالى منزه عن أن يوصف بالاستقرار على العرش . فإن كل متمكن على جسم ، والمستقر عليه : مقدر لا محالة . فإنه إما أن يكون أكبر منه أو أصغر أو مساويا . . . فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » وما معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا » ؟ قلنا : الكلام على الظواهر الواردة في هذا الباب طويل . ولكن نذكر منها في هذين الظاهرين ، يرشد إلى ما عداه . وهو أنا نقول : الناس في هذا فريقان : عوام وعلماء . والذي نراه هو اللائق بعوام الخلق : هو أن لا يخاض بهم في هذه التأويلات بل نزع عن عقائدهم كل ما يوجب التشبيه ، ويدل على الحدوث ، ونحقق عندهم أنه موجود « ليس كمثله شيء » ، وهو السميع البصير ، . . . وأما العلماء فاللائق بهم تعريف ذلك وتفهمه . ولست أقول : إن ذلك فرض عين - إذ لم يرد به تكليف - بل إن تكليف : هو التنزيه عن كل ما يشبهه بغيره . فأما معاني القرآن ، فلم يكلف الأعيان فهم جميعها أصلا (٣) ،

(١) ص ٦٦ الجامع العوام

(٢) ص ٧٥ الجامع العوام

(٣) ص ٥٢ - ٥٣ الاقتصاد في الاعتقاد

والصرفية من المسلمين . لا نرضى لإيمانهم بالتصوف ، وحديثهم عنه . وإنما نرضى عن عقيدتهم الصحيحة في ذات الله وصفاته على نحو ما يقوله الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني في دلائل المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإغلاق ، : في هذا النص : وقد أجمع أهل الحق على وجوب تأويل أحاديث الصفات . كحديث « ينزل ربنا إلى سماء الدنيا » وخالف في ذلك الكرامية المجسمة ، والحشوية المشبهة ، فمنعوا تأويلها وحملوها على الوجه المستحيل في حقه تعالى من التشبيه والتكليف ، حتى أن بعضهم كان على المنبر فنزل درجا منه ، وقال للناس : ينزل ربكم عن كرسيه إلى سماء الدنيا ، كنزولي عن منبري هذا (١) . وهذا جهل ليس فرقة جهل . وكل هؤلاء محجوجون بالكتاب والسنة ودلائل العقول . وإذا تعددت وجوه الحمل لآيات الصفات ، وجب الأخذ بالوجه الراجح عند الشيخ أبي الحسن الأشعري . أقوله تعالى : « فاعتبروا يا أولى الأبصار » (الحشر ٢) ولقوله تعالى : « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » (الزمر ١٧ - ١٨) وذهب سفنيان الثوري والأوزاعي وغيرهما إلى أنه بطرح التشبيه والتكليف ، ويوقف عند تعيين وجه التأويل ، (٢)

والإمام محمد بن أحمد القرطبي ، صاحب الجامع لأحكام القرآن ، المتوفى سنة ٦٧١ هـ يقول في تفسير قوله تعالى : « ثم استوى على العرش » : « والأكثر من المتقدمين والمتأخرين : أنه إذا وجب تنزيه الباري —

(٢) يقصد ابن تيمية كما في رواية ابن بطوطة . وزعم محقق كتاب ابن بطوطة أن هذا على سبيل الظن . ودفاعه باطل لأن كتب ابن تيمية نصح بالنزول كل ليلة على حسب ظاهر النص . وعلماء زمانه كفروه من أجل هذا ، ومسائل أخرى .

(٣) لطائف المنن ص ٣٩١ - ٣٩٢ نشر عالم الفكر بمصر

سبحانه - عن الجهة والتحيز ، فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين ، وقادتهم من المتأخرين : تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة . فليس بجهة فوق عندهم ، لأنه يلزم من ذلك عندهم متى اختص بجهة أن يكون في مكان أو حيز ، ويلزم على المهيكل والحيز : الحركة والسكون للتحيز ، والتغير والحدوث ، ثم يقول - رحمه الله تعالى - « قلت : ففعل الله تعالى وارتفاعه : عبارة عن علو مجده وصفاته وملكوته » . أ . هـ

ويقول الإمام الجليل علي بن أحمد صاحب الفصل في الملل والأهواء والنحل ، في قول الله تعالى « ما يكون من نجوى ثلاثة ، إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » : معنى قوله تعالى « هو رابعهم » وهو سادسهم : « إنما هو فعل فعله فيهم ، وهو أن رابعهم بإحاطته بهم لا بذاته وسدسهم بإحاطته لا بذاته وقد يرابعهم بملك يشرف عليهم ويسدسهم كذلك . وبرهان هذا القول : إن الله تبارك وتعالى إنما عني بهذه الآية بلا خلاف بل بضرورة العقل من كل سامع أنه لا تخفى عليه نجواهم . وهذا معنى الآية . لأنه تعالى افتتحها بذكر نجوى المتناجين وإنما أراد عز وجل علمه بنجواهم . لا أنه معدود معهم بذاته إلى ذواتهم . حاش الله من ذلك إذ من المحال الممتنع الخارج عن رتبة الأعداد والمعدودين إن يكون الله عز وجل معدوداً بذاته مع ثلاثة بالهند ومع ثلاثة بالسند ومع ثلاثة بالفراق ومع ثلاثة بالصين ، في وقت واحد . لأنه لو كان ذلك لكان الذين هو رابعهم بالهند مع الثلاثة الذين هو رابعهم بالصين ثمانية كلهم لأنهم أربعة ، أربعة . بلا شك . فكان تعالى حيثئذ يكون اثنين وأكثر وهذا محال . وكذلك إذا كان بذاته سادساً لخمس ههنا فهم ستة ورابعاً لثلاثة ههناك فهم أربعة . فهم كلهم بلا شك عشرة . فهو إذن

اثنان . وكذلك قوله تعالى في الآية نفسها : «إلا هو معهم أينما كانوا» . إنما أضاف تعالى الآية إليهم لا إلى نفسه تعالى . معناه : أينما كانوا فهو تعالى معهم بإحاطته . و محال أن يكون بذاته في مكانين ،



و المجسمون بلا كيف ، يستخرون من الذين ينزهون الله - عز وجل - عن المكان الحسى والجهة ، ويصفونهم بأنهم مجانين . فعلى ابن أبي العز الأذرعى يقول فى شرحه على أصول العقيدة الإسلامية لأحمد بن سلامة الطحاوى : «وأما من حرف كلام الله ، وجعل العرش عبارة عن الملك ، كيف يصنع بقوله تعالى : «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» ؟ وبقوله تعالى : «وكان عرشه على الماء» ؟ أيقول : ويحمل ملكه يومئذ ثمانية . وكان ملكه على الماء - ويكون موسى - عليه السلام - آخذاً بقائمة من قوائم الملك ؟ هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول (١) ؟ يريد أن يقول : إن العرش على الحقيقة هو الكرسي . ويستعمل مجازاً للدلالة على الملك والعظمة . ويقول : إن حمل الله على الحقيقة فى حق الله هو الصواب لأن العرش كان مستقراً بالله على الماء ، من قبل أن يخلق الله الأرض والسماء . أليس هذا هو التجسيم بعينه أيها السفهاء ؟ إن معنى «وكان عرشه على الماء» (هود : ٧) لا يريد به كرسيًا حسيًا ولا ملكاً ، وإنما يبين به كيف كان الحال قبل خلق الأرض والسموات . يريد أن يقول : قبل خلق الأرض والسموات لم يكن إلا الماء . والماء كان على متن الريح - كما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما - والدليل على ذلك : أنه بعد خلق الأرض والسموات ، استوى على العرش . فإذا كان هو مستوياً قبل الخلق على عرش فوق الماء ، فما فائدة أن يستوى على هذا العرش نفسه بعد الخلق ؟

(١) أصول العقيدة الإسلامية ، طبعة دار الوفاء بالمنصورة

قال تعالى : « إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ، ثم استوى على العرش » (الأعراف ٥٤)

ومعنى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » (الحاقة ١٧) إذا فسرته على ظاهره ، يكون الله محتاجا إلى الكرسي ، والكرسي محتاج إلى الثمانية ، والكرسي مخلوق ومحتاج ، والثمانية مخلوقون ومحتاجون . فهل يعقل أحد أن يكون الخالق محتاجا إلى المخلوقين ؟ إن المعنى المراد من النص الكريم : هو أن الله تعالى يقرب ذاته إلى عقول البشر ، حسبما يأنفون في حياتهم من عادات الملوك ، وحسبما يفهمون باللغة التي يتخاطبون بها . فبعد عن نفسه كملك ، أما هو فليس كمثله شيء .

ومعنى أن موسى — عليه السلام — يأخذ بقائمة من قوائم العرش ، كالمعنى من حديث الأوعال الذي فيه : « إن فوق السماء السابعة ثمانية أوعال ، بين أظلافهن وركبهن ، مثل ما بين سماء إلى سماء ، وفوق ظهورهن : العرش ، وفي رواية : « إن حملة العرش ثمانية أملاك على صورة الأوعال ، ما بين أظلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عاما ، للطائر المسرع » وهذه الأحاديث مروية بطريق الآحاد . وهي لا تثبت عقائد غيبية . وإذا قلنا بأنها تثبت عقائد . فإنها تؤول إلى معنى ينفي التجسيم عن الله عز وجل ، كما أوضح الشيخ الغزالي أبو حامد . والقرطبي المفسر يؤولها بقوله : « إضافة العرش إلى الله تعالى ، كإضافة البيت ، وليس البيت للسكنى ، فكذلك العرش »

الحقيقة والمجاز في أخبار صفات الله تعالى في أسفار التوراة

وكلام الإمام غفر الدين الرازي — أنعم الله عليه — شبيه بكلام
المسيح عيسى بن مريم عليه السلام — في ذات الله تعالى وصفاته —
والمسيح نبي عظيم — فقد حكى برنابا في إنجيله : أن الرومان لما رأوا
معجزات المسيح ظنوا أنه الله أو ابن الله ، وأناروا شغباً في بلاد فلسطين .
ومن أجل ذلك تقدم إليه رئيس علماء بني اسرائيل والوالي وهيرودس
ليزيل الفتنة التي ثارت بسببه ، وتوسلوا إليه أن يرتقي مكاناً مرتفعاً ،
ويكلم الشعب تسكيناً لهم .

النص :

« حينئذ ارتقى يسوع أحد الحجارة الإثني عشر التي أمر يسوع الإثني
عشر سبطاً ، أن يأخذوها من وسط الأردن ، عندما عبر إسرائيل من هناك ،
دون أن تبطل أحديتهم وقال بصوت عال : ليصعد كاهننا إلى محل مرتفع حيث
يتمكن من تحقيق كلامي . فصعد من ثم الكاهن إلى هناك . فقال له يسوع
بوضوح يتمكن كل واحد من سماعه : قد كتب في عهد الله الحي (١) ، وميثاقه
أن ليس لإلهنا بداية ، ولا يكون له نهاية . أجاب الكاهن : لقد كتب
هكذا هناك . فقال يسوع : إنه كتب هناك : أن إلهنا قد برأ كل شيء .

(١) الزبور التسعون — الآية الثانية

بكلمته فقط (١). فأجاب الكاهن : إنه كذلك . فقال يسوع : إنه مكتوب هناك : أن الله لا يرى (٢) وأنه محجوب عن عقل الإنسان ، لأنه غير متجسد وغير مركب وغير متغير . فقال الكاهن : إنه كذلك حقا . فقال يسوع : إنه مكتوب هناك : كيف أن سماء السموات لا تسعه (٣). لأن إلهنا غير محدود . فقال الكاهن : هكذا قال سليمان النبي يا يسوع . قال يسوع : إنه مكتوب هناك : أن ليس لله حاجة . لأنه لا يأكل ولا يشام ولا يعقره نقص . قال الكاهن : إنه كذلك . قال يسوع : إنه مكتوب هناك : إن إلهنا في كل مكان ، وأن لا إله سواه ، الذي يضرب ويشقى ، ويفعل كل ما يريد (٤). قال الكاهن : هكذا كتب . حينئذ رفع يسوع يديه ، وقال : ليها الرب إلهنا . هذا هو إيمانى الذى آتى به إلى دينوتك ، شاهدا على كل من يؤمن بخلاف ذلك ، (برنابا ٩٥ : ٢ - ١٧)

هذا هو كلام نبي من أنبياء الله ، ورسول من رسل الله . عن الله وصفاته ، شبيه بكلام الإمام الغزالي أبي حامد ، وإمام فخر الدين . فإذا يقول فيه المجسمون ، والمجسمون بلا كيف ؟ وليس هو كلام المسيح وحده ، بل هو كلام النبيين والمرسلين من قبله . فإنه — كما هو واضح من النص — يستشهد على كلامه عن الله وصفاته بآيات مكتوبة فى التوراة وفى الزبور ، وفى أسفار الأنبياء . ذكرنا مواضعها فى التحقيقات -

(١) مزور ٣٣ : ٦٠

(٢) يقول أشعيا : « حقا أنت اله محتجب يا اله اسرائيل »

اشى ٤٥ : ١٠

(٣) الملوك الأول ٨ : ٢٧

(٤) التثنية ٣٢ : ٣٩

وماذا قال المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في «يد الله» أى في الصفات الخبرية كاليد والرجل والعين وما شابه ذلك؟ إنه لما قال لبني إسرائيل: «كل شيء يأتى من يد الله» (بر ١٠٤: ٧) قال له تلميذ من تلاميذه، اسمه «مقي»: «يا معلم. إنك لقد اعترفت أمام اليهودية كلها. بأن ليس لله من شبه كالبشر. وقلت الآن: إن الإنسان ينال من يد الله. فإذا كان لله يدان، فله إذن شبه بالبشر؟ أجاب يسوع: «إنك لفي ضلال مقي. ولقد ضل كثيرون هكذا، إذ لم يفقهوا معنى الكلام. لأنه لا يجب على الإنسان أن يلاحظ ظاهره الكلام، بل معناه». إذ الكلام البشرى بمثابة ترجمان بيننا وبين الله. ألا تعلم أنه لما أراد الله أن يكلم آباءنا على جبل سيناء، صرخ آباؤنا (١): «كلمنا أنت يا موسى، ولا يكلمنا الله، لئلا نموت؟ وماذا قال الله على لسان أشعيا النبي (٢): «أليس كما بعدت السموات عن الأرض، هكذا بعدت طرق الله عن طرق الناس، وأفكار الله عن أفكار الناس؟ إن الله لا يدركه قياس، إلى حد أنى أرتجف من وصفه».

ويبين المسيح عيسى - عليه السلام - أن الله يعبر عن ذاته بأوصاف البشر، على سبيل التمثيل والمحاكاة والمقابلة أما هو - عز وجل - فليس مثل البشر، ولا مثل أى شيء. فيقول: «دعمر الله الذى تقف نفسك فى حضرته: إن الكون أمام الله الصغير، كحبة رمل، والله أعظم من ذلك بمقدار ما يلزم من حبوب الرمل، إلى كل السموات والجنة، بل أكثر. فانظروا الآن. إذا كان هنالك نسبة بين الله والإنسان، الذى ليس سوى كتلة صغيرة من طين، واقفة على الأرض. فانقبوا إذن،

(١) خروج ٢٠ : ١٩ (٢) أشعيا ٥٥ : ٩

لتأخذوا المعنى ، لا لمجرد الكلام . إذا أردتم أن تناووا الحياة الأبدية .
فأجاب التلاميذ : إن الله وحده يقدر أن يعرف نفسه ، وأنه حقا لسكا
قال أشعيا (١) النبي د هو محتجب عن الحواس البشرية ،

* * *

وتبين التوراة أن الله ليس كمثله شيء . وهذه آيات تدل على ذلك :

١ — « فاحفظوا جدا لأنفسكم . فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب
في حوريب من وسط النار . لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتا .
صورة مثال ما ، شبه ذكر ، أو أنثى ، (تثنية ٤ : ١٥ - ١٦)

٢ — « ليس مثل الله ، (تثنية ٣٣ : ٢٦)

٣ — « قد عظمت أيها الرب الإله . لأنه ليس مثلك ، وليس إله غيرك ،
(٢ صم ٧ : ٢٢)

٤ — « يارب ليس مثلك ، ولا إله غيرك ، (١ أخ ١٧ : ٢٠)

٥ — يقول أيوب عليه السلام عن الله عز وجل : « لأنه ليس هو
لإنسانا مثلي . فأجابه . فنأتى جميعا إلى المحاكاة ، (أى ٩ : ٣٢)

٦ — يقول داود عليه السلام : « يا أ الله . من مثلك ، ؟ (مز ٧١ : ١٩)

٧ — ويقول داود : « لا مثل لك بين الآلهة يارب ، ولا مثل أعما ،
(مز ٨٦ : ٨)

٨ — ويقول داود : « من في السماء يعادل الرب ؟ من يشبه الرب ؟ ،
(مز ٨٩ : ٦)

(١) أشعيا ٤٥ : ١٥

٩ — ويقول داود : د ليكن اسم الرب مباركاً من الآن وإلى الأبد .
من مشرق الشمس إلى مغربها : اسم الرب مسبح . الرب عال فوق كل
الأمم . فوق السموات مجده . من مثل الرب إلهنا ؟ الساكن في الأعلى ،
الناظر الأسفل في السموات وفي الأرض . المقيم المسكين من التراب ،
الرافع البائس من المذبة ، (مز ١١٣ : ٢ - ٧)

١٠ — د فبمن تشبهون الله ؟ وأي شبه تعادلون به ؟ ، (أش ٤٠ : ١٨)
١١ — د هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود : أنا
الأول وأنا الآخر ، ولا إله غيري . ومن مثلي ؟ ، (أش ٤٤ : ٦ - ٧)
١٢ — يقول الله لبنى إسرائيل : د بمن تشبهونني وتسوونني لنتشابه ؟ ،
(أش ٤٦ : ٥)

١٣ — د اذكروا الأوليات منذ القديم . لأنني أنا الله وليس آخر .
الإله وليس مثلي ، (أش ٤٦ : ٩)
١٤ — د لا مثل لك يا رب . عظيم أنت ، وعظيم اسمك في الجبروت .
من لا يخافك يا ملك الشعوب ؟ لأنه بك يلبق . لأنه في جميع حكام الشعوب
وفي كل عمالكهم ليس مثلك ، (إر ١٠ : ٦ - ٧)

١٥ — د لأنه من مثلي ؟ ، (إر ٤٩ : ١٩)

١٦ — د لأنه من مثلي ؟ ، (إر ٥٠ : ٤٤)

لقد ذكرت ستة عشر نصاً من نصوص التوراة وأسفار الأنبياء على
أن الله ليس كمثل شيء . والذين كتبوا من المسلمين في الله وصفاته طبقاً
لنصوص التوراة . انقسموا إلى فريقين . فريق يرى : أن التوراة تجسم
الله عز وجل . لأن فيها نصوص يدل ظاهرها على التجسيم ، وهؤلاء

غفلوا عن نصوص مشابهة لها في القرآن . مثل : مكر الله وغضبه ومجيئه ، وقوله « فليعلن ، وما شابه ذلك . وغفلوا أيضا عن نصوص التنزيه فيها ، النصوص التي أوردنا منها هنا ستة عشر نصا . وفريق يزي أن التوراة تنفي التجسيم - وقولهم هو الصحيح - لأن نصوص التنزيه فيها محكمة لا تتحمل غير نفي التشبيه والتمثيل .

وقد عمل الشيخ رحمت الله الهندي في « إظهار الحق » فصلا عن المحكم والمتشابه . وذكر من نصوص التوراة آيتين يدلان على التنزيه .

وقد سخر الشيخ ابن حزم الأندلسي من علماء اليهود الذين لم يفتنوا إلى الآيات التي تنفي المثل والنظير ، في كتابه « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ،

* * *

وعلماء من بني إسرائيل ينفون التجسيم المطلق والتجسيم بلا كيف ، عن الله ، ويصرحون بالتنزيه . ومن هؤلاء : أفقولوس المتهود ، ويوناتان بن عازيائيل ، وسينوزا ، وابن كونة ، وموتسى بن ميمون . يقول ابن ميمون المتوفى سنة ٦٠٢ هـ في « دلالة الحائرين » : إن التوراة تكلمت عن الله بألسان بني آدم - أى وصفته بصفات البشر ليفهم بنو آدم - وأن معتقد التجسيم لم يدعه إلى التجسيم نظر عقلي ، بل تبع ظواهر نصوص الكتاب (فصل ٣) ويقول ابن ميمون : إن كل ما يؤدى إلى الجسمانية ، أو ما يؤدى لانفعال وتغير ، أو ما يؤدى لعدم - مثل أن لا يكون له شئ بالفعل ثم يصير بالفعل - أو ما يؤدى لشبه شئ من مخلوقاته . يلزم نفية عن الله بالبرهان الواضح .

وقد صرح في كتب الأنبياء بنفى التشبيه ، فقال : ؟ فبمن تشبهوننى فأساويه ، (أش ٤٠ : ٢٥) وقال : فبمن تشبهون الله ، وأى شبه تعادلونه به ، ؟ (أش ٤٠ : ١٨) وقال : لأنه لا نظير لك يارب ، (إر ١٠ : ٦) وهذا أكبر (فصل ٥٥)

و أى فرق بيننا نحن المسلمين ، وبين اليهود . إذا كنا جميعا متفقين على ١ - التوحيد ٢ - وعلى التنزيه ؟ لا فرق بين المسلمين وبين اليهود فى توحيد الله عز وجل وفى تنزيهه عن المشابهة للحوادث . لأن اليهودى يؤمن بالله الذى يؤمن به المسلم ، ويؤمن باليوم الآخر كما يؤمن به المسلم ، ويؤمن بالنبوات وبالموحى من السماء كما يؤمن به المسلم . وإنما الفرق بين المسلمين وبين اليهود هو أن اليهود قالوا ستنقرب إلى الله بشريعة موسى عليه السلام - وهى التوراة - وإن نتقرب إليه بشريعة محمد نبي المسلمين ، لأننا لسنا متأكدين من نبوته . وأن المسلمين قالوا : نحن نؤمن بنبوة موسى عليه السلام . ولكن لن نتقرب إلى الله بشريعة موسى . لأن نبوة محمد ﷺ قد ثبتت عندنا ، وقد أمرنا الله - على لسانه - أن لا نعمل بشريعة موسى . فالخلاف بين المسلمين وبين اليهود هو فى الشريعة وليس فى التوحيد وفى التنزيه . فقد قال الله تعالى : « قل : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله . فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأننا مسلمون » (آل عمران ٦٤)

وقد شهد القرآن بأن اليهود يكفرون بآيات الله ، ولا يكفرون بالله . فى قوله تعالى : « يا أهل الكتاب ، لم تكفرون بآيات الله ، وأنتم تشهدون ؟ » (آل عمران ٧٠) أى تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول « وأنتم تشهدون ، نعتة فى الكتابين ، أى فى التوراة وفى الإنجيل . وفى تفسير القرطبي : « وأنتم تشهدون » بمثلها من آيات الأنبياء التى أنتم مقرون بها ،

* * *

أما عن « اسم الله » عز وجل فى كتاب التوراة . فهو « يهوه » وهو الذى يقابل كلمة « الله » فى القرآن الكريم . ويكتب أحيانا « أهوه » وعلماء

بنى إسرائيل يخافون من كتابته ، ككلمة متصلة الحروف ، من هيبتهم لله وخشيتهم منه . ومن أجل خوفهم يكتبونه في كتبهم بحروف مقطعة . هكذا : ياء - هاء - واو - هاء . وهذا الاسم هو الذى نطق به الله عن نفسه أمام موسى عليه السلام ، فإن الله لما قال لموسى : « هلم فأرسلك إلى فرعون ، وتخرج شعبي بنى إسرائيل من مصر » قال له موسى : « ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل ، وأقول لهم : إله آبائكم أرسلنى إليكم . فإذا قالوا لى : ما اسمه ؟ فإذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى : أهيه الذى أهيه . وقال : هكذا تقول لبنى إسرائيل : أهيه أرسلنى إليكم . وقال الله أيضا لموسى : هكذا نقول لبنى إسرائيل : أهيه أرسلنى إليكم . وقال الله أيضا لموسى : وإله يعقوب . أرسلنى إليكم » (خر ٣ : ١٠ - ١٥)

« وأهيه الذى أهيه » معناه : أنا هو للسكان . والسكان اسم مشتق من هيه ، وهيه معناها : كان . والسر في تكرير « أهيه » مرتين : أنه يريد أن يبين لهم : أن الموصوف هو الصفة بعينها ، أى الله . وصفاته كشيء واحد . فكانه يريد أن يقول : أنا الموجود الذى هو الموجود ، أو الموجود الذى هو واجب الوجود .

وأسماء الله الحسنى ، غير اسم الله ، تدل على أسماء من صفات ، فيها اشتراك بين الله الخالق وبين المخلوقين ، ولكنها في الله ، أكمل منها في المخلوقين . فالرحيم وهو اسم من أسماء الله الحسنى قد يطلق على غير الله . فيقال رجل رحيم . ويطلق على الله دلالة على أنه الكامل في الرحمة . ومن أسماء الله الحسنى عند بنى إسرائيل ، وهو الاسم الثانى بعد « يهوه » اسم « أدوناي » ، وترجم في اللغة العربية بالرب . ففي يهوه توحيد الألوهية ، وفي أدوناي توحيد الربوبية . والفرق بينهما : أن يهوه علم على الذات

الإلهية ولا يسم به غيره، وأن أدوناي يطلق على الرب غز وجل، ويطلق على السيد العظيم أيضا . يقول موسى ابن ميمون : « جميع أسمائه تعالى الموجودة في الكتاب كلها مشتقة من الأفعال . وهذا ما لا يخفاء به إلا اسم واحد ، وهو : الياء والهاء والواو والهاء (يهوه) فإنه اسم مرتجل له - تعالى - . ولذلك سمي الاسم الأعظم . ومعناه : أنه يدل على ذاته - تعالى - دلالة بيّنة ، لا اشتراك فيها . أما سائر أسمائه المعظمة ، فتدل باشتراك ، لكونها مشتقة من أفعال يوجد مثلها لنا - كما بينا - حتى أن الاسم المكتوب به من الألف والذال والنون والياء في (آدنى) هو أيضا مشتق من السيادة . مثل : « قد خاطبنا الرجل سيد الأرض ، (نك ٤٢ : ٣٠)

ويقول ابن ميمون : إن اسم يهوه لأنه لم يكن معلوما عند كل أحد كيف ينطق به . كان أهل العلم يتناقلون صفة النطق به ، ولا يعلمونه لأحد ، إلا لتلميذ مستأهل ، مرة واحدة في الأسبوع ، وكان لدى أهل العلم اسم معادل ليهوه ، مكون من اثني عشر حرفا في أكثر من كلمة . ما كان ممنوعا ولا مضمونا به على أحد . ولما صار أقوام سفهاء ، يتعلمون هذا الاسم ، ذا الاثني عشر حرفا ، ويجدفون به على الله ، اضطرب أهل العلم إلى إعطائه للحصفاء فقط ، وإلى كتبائه عن العامة . وكان لدى أهل العلم بعد ذلك : اسم معادل ليهوه مكون من اثنين وأربعين حرفا في أكثر من كلمة . جاء عنه في التلمود : « اسم ذو اثنين وأربعين حرفا ، قدس ومقدس ، ويعطى فقط للحصيف ، الذي وصل إلى نصف عمره ، وليس عرضة للغضب ولا للسكر ولا يثير طعنا في أخلاقه ، ويتكلم مع الناس بهدوء - وكل من يعلمه فهو حريص عليه ويحفظه في طهارة - ومحبوب لمن فوقه ، ومحمود لمن دونه ، ومهيّب عند الناس ، وتعلمه قائم في يده . وارث العالمين : هذا العالم وعالم الآخرة ، (قد وشيم ١٧١)

و« الاسم الأعظم » ، يترجم في العبرانية : « شم همفورش » ، وقد دخل « همفورش » ، في كتب المسلمين عن طريق كتب السحر والطلسمات ودخل في الكتب أن الله اسماً إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى . هو الاسم الأعظم .

وهذا لا أصل له : فلا اسم أعظم إلا « يهوه » عند بني إسرائيل المعادل لاسم « الله » عند المسلمين .

والله يجيب المضطر إذا دعاء باسمه المتعارف عليه ، لا بما خفي من أسمائه في كتب السحر .

وقد ترجمت التوراة إلى اللغة العربية . وفيها أن الخالق للأرض والسموات هو الله رب العالمين . كما في القرآن الكريم ، ويكتبون « الله » بدل « يهوه » ، فأول آيات التوراة نصها : « في البدء خلق الله السموات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة ، وريح الله يرف على وجه المياه . وقال الله : ليكن نور فكان نور ، ورأى الله النور أنه حسن ، وفصل الله بين النور والظلمة ، ورى الله النور أنه حسن وفصل الله بين النور والظلمة ودعا الله النور نهارا ، والظلمة دعاها ليلا ، وكان صباح يوما واحدا » (تك ١ : ٥ - ٥)

وقد ترجم الزبور إلى اللغة العربية . وفيه يتحدث داود عليه السلام عن الله عز وجل باسم الله ، لا باسم يهوه ، فيقول : « إن قاصص القلوب والسكى : الله البار . ترسى عند الله ، مخلص مستقيمي القلوب . الله قاض عادل » (مز ٧ : ٩ - ١١)

وقد ترجم الإنجيل إلى اللغة العربية . وفيه يتحدث عيسى عليه السلام

عن الله عز وجل باسم الله ، لا باسم يهوه . فيقول لتلاميذه : « تأتي ساعة فيها يظن من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله » (يو ١٦ : ٢)

* * *

ولأن الإمام نضر الدين صرح في « أساس التقديس » بما نصه :

« إن اليهود كانوا على دين التشبيه ، وكانوا يجوزون المجيء والذهاب على الله — تعالى — وكانوا يقولون : إنه — تعالى — تجلى لموسى — عليه السلام — على « الطور » في ظنل من الغمام ، فظنوا مثل ذلك في زمان محمد — عليه السلام — ومعلوم : أن مذهبهم ليس بحجة ،

لأنه صرح بذلك ، رأيت أن أورد هنا من كلمات التوراة : كلمات ، استعملت على الحقيقة تارة ، واستعملت على المجاز تارة أخرى ، لأبين له . أن الحقيقة والمجاز موجودان عند بنى إسرائيل ، في كتبهم المقدسة لديهم ، وأن التأويل الذي يؤمن به قد سبقه إليه غيره من قبل ولادته . وسأورد هذه الكلمات على النحو الذي صرح به الشيخ الغزالي أبو حامد في هذا النص :

يقول الشيخ الغزالي في معنى : « ينزل الله — تعالى — كل ليلة إلى السماء الدنيا » . فيقول : هل من داع فاستجيب له ؟ هل من مستغفر ، فأغفر له ؟ : هذا الحديث سيق لإنهاية الترغيب في قيام الليل . وليس فيه إلا إيهام لفظ النزول عند الصبي ، والعامي — الجارى مجرى الصبي — ومن السهل على العالم أن يقنع العامي بأن النزول ليس على حقيقة . بأن يقول له مثلاً : إن كان نزول الله إلى السماء الدنيا ، ليسمعنا نداءه ، فما أسمعنا . فأى فائدة في نزوله ؟ ولو كان يريد أن يسمعنا نداءه ، فهو قادر على أن يسمعنا إياه وهو على

العرش ، فلماذا ينزل ؟ فيفهم العامى : أن ظاهر النزول باطل ، ويتيقن نفي صورة النزول»^(١)

وهذه الكلمات هى التى محل نظر وجدل وأخذ ورد بين شراح التوراة . وقد رفعت بعضها من ههنا ، ووضعته فى التعليقات . فعلى من يريد البحث كاملاً أن ينقل الكلمات التى وضعته فى التعليقات إلى ههنا . ويحيل إلى أن من يقرأ ما كتبته فى تأويل الكلمات ، ثم يقرأ كتاب موسى ابن ميمون ، المسمى بدلالة الحائرين ، لن يجد صعوبة فى فهم كلام ابن ميمون .

اجتاز — وعبر :

فى التوراة هذا النص : وفنزل الرب فى السحاب . فوقف عنده هناك . ونادى باسم الرب . فاجتاز الرب قدماه . ونادى : الرب الرب . إله رحيم ورؤوف ، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء ، حافظ الإحسان إلى أوف ، غافر الإثم . . . إلخ ، (خر ٣٤ : ٥ — ٧)

فى هذا النص كلمة « اجتاز » وتترجم « عبر » ، وعبر على الحقيقة تدل على انتقال جسم من مكان إلى مكان . وعلى المجاز تدل على المعانى التالية :

١ — امتداد الأصوات فى الهواء . مثل : د اسمع أنكم تبعثون شعب الرب على المعصية ،! (١ طم ٢ : ٢٤)

٢ — حلول نور يراه الأنبياء فى مرأى النبوة فى حلم الليل . ومثاله : أن إبراهيم عليه السلام وقع عليه سبات « وإذا رعبه مظلمة عظيمة واقعة عليه » وفى الحلم أثناء الظلمة « إذا تنور دخان ومصباح نار ، يجوز بين تلك القطع » (تك ١٥ : ١٧) ومثله : « وأنا أجتاز فى أرض مصر » (خر ١٢ : ١٢)

(١) انظر : لجسام العوام وانظر الاقتصاد فى الاعتقاد وانظر نفخ للروح والتسوية .

٣٠ — وتستعمل عبر مجازاً لمن ترك قصداً ، وقصد غيره . مثل عرض الله عارض ، (١ صم ٢٠ : ٣٦) .

والمعنى المجازى الثالث هو المراد . عند موسى ابن ميمون ، في تفسيره . « اجتاز الرب قدامه » ، ويشرحه هكذا : « إن الهاء في قدامه تعود إلى الله تعالى . وأن موسى — عليه السلام — طلب إدراك وجه الله ، فوعده الله برؤية الورا . أى أن الله تعالى حجب عنه إدراك الوجه وتجاوزه بالمعنى الورا . والهايل على أن موسى عليه السلام طلب رؤية الوجه : أن الله تعالى قال له : « دوجمى لا يرى » ، (خر ٢٣ : ٢٣) والدليل على أن الله تعالى وعده برؤية الورا : أن الله تعالى قال له : « دفتنظر قفاى » ، (خر ٣٣ : ٢٣) .

هذا تفسيره . وهو تفسير بعيد . لأن الهاء في قدامه تعود إلى موسى ولا تعود إلى الله . وما جاء في الترجوم هو أحسن من تفسير ابن ميمون . لأن الترجوم إذا وجد أمراً منسوباً لله تعالى يلحقه منه تجسيم أولوا حق تجسيم ، فإنه يقدره بمحذوف المضاف . أى يجعل تلك النسبة لأمر ما ، مضاف لله ، محذوف . فيقول في « فاجتاز الرب قدامه » : « إن الرب قد جعل سكينة تعبر قدامه . فالذى عبر واجتاز — على حسب الترجوم — هو السكينة . ومعنى قدامه » . على رأى الترجوم — أى بمحضره . والسكينة عنده جسم ، لا بمعنى اطمئنان القلب .

وإنقولوس المتهود ، يقدر المحذوف — في الترجوم — المجد ، السكينة ، القول . بحسب كل موقع . ورأى إنقولوس هذا في الكتب الإسلامية ، فإن فيها من يفسر « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » بقوله : « جاء أمر ربك . وموسى ابن ميمون يقول عن تأويله : « إنه جيد مستحسن » ، ويقول : « من لا يمكن أن يقدر المحذوف بكلمة الصوت بدل المجد والسكينة والقول . ويكون التقدير . « عبر صوت الرب من أمامه ونادى . أو : « عبر صوت من قبل الله

بمحضره ، فندى : الله الله . ويكون تكريم الله للنداء . لأنه تعالى المنادى .
— بفتح الدال — مثل : موسى موسى ، إبراهيم إبراهيم . وخلاصة الكلام :
١ — أن مرأى النبوة مثل الحلم ففيه إدراكات عقلية لا وجود لها في الخارج .
٢ — أنه أدرك في اليقظة مخلوقاً بحس البصر هو المجد أو السكينة أو القول .
يساعد على كمال الإدراك العقلى . ٣ — أو يكون الصوت هو الذى مر
قدامه فى اليقظة .

وقد أجهد ابن ميمون نفسه ، هو وأنقولوس فى التأويل . ولو أنهما
قالا — على فرض صحة النص — أن الله تعالى يكلم البشر على قدر عقولهم ،
أما هو فليس كمثل شئ ، لكان هذا القول مغنياً عن التأويل . والتلود قد
ذكر قولنا هذا فى (يياموت ٧١ أ) وهو قولهم : « عبرت عنها التوراة .
بلسان بنى آدم ، ومعناه : أن كل ما يمكن للناس أجمعين ، فهمه وتصوره ، بأول
فكرة على نحو الكمال ، هو الذى يجب لله تعالى . ولذلك وصف بأوصاف .
تدل على الجسمانية لتدل على أنه تعالى موجود . إذ لا يدرك الجمهور بأول
وهلة وجوداً إلا للجسم خاصة ، وما ليس بجسم أو موجود فى جسم فليس .
هو موجوداً عندهم . ويقول ابن ميمون بعد ما ذكر ما قدمنا خلاصته عن
التلود : إنه مع ارتفاع الجسمانية عن الله ، يرتفع ظاهر النص فى نزل —
صعد — سار — انتصب — وقف — دار — جلس — سكن — خرج — جاء — عبر ،
وما شابه ذلك ..

جاء : نستعمل على الحقيقة فى إقبال الحيوان على موضع ما . وتستعمل مجازاً
فى حلول الأمر الذى ليس بجسم أصلاً . مثل : دما هوأت عليك ، (أش ٢٧ : ١٥) ،
وعلى هذا المعنى المجازى تستعمل كلمة جاء فى حق الله تعالى . لما لحلول أمره .
أو لحلول سكينة . مثل : دها أنا . آت إليك فى ظلمة الغمام ، (خر ١٩ : ٦) ،

أى تحمل سكينته . وفشل : « وبأنى الرب لطفى ، وجميع القديسين معك »
(زك ١٤ : ٥)

أى يحمل أمره وثبات مواعيده التى وعد بها على أنبيائه .

الخروج . على الحقيقة يستعمل فى خروج جسم من موضع كان مستقراً فيه لموضع آخر . وعلى المجاز يستعمل فى ظهور أمر معنوى ليس بجسم أصلاً . مثل : « خرجت الكلمة من فم الملك » (أس ٧ : ٨) وهذا يعنى نفوذ الأمر . وعلى المجاز تفسر كلمة (هو ذا الرب يخرج من مكانه) (أش ٢٦ : ٢١) أى يظهر أمره المستور الآن عنا . أعنى : حدوث ما يحدث بعد أن لم يكن . لذلك حادث من قبله تعالى ينسب لأمره . مثل : « بكلمة الرب صنعت السموات . وبروح فيه . كل جنودها » (مز ٢٢ : ٦) تشبيهاً بالأفعال الصادرة عن الملوك التى آلتهم فى تنفيذ إرادتهم : الكلام . وهو تعالى غير مفتقر لآلة يفعل بها ، بل فعل بمجرد إرادته فقط . فلا كلام أيضاً بوجه ، ولما استعير لظهور فعل من أفعاله : الخروج ، استعير الرجوع لارتفاع ذلك الفعل بحسب الإرادة أيضاً ، مثل : « أمضى وأرجع إلى موضعى » (هو ٥ : ١٥) أى يرفع سكينته عن الناس ، وإذا رفع سكينته بقى الناس هدفاً لكل ماعسى أن يعرض ويتفق ، فيكون الخير الذى يصيبهم والشر بحسب الاتفاق . وهذا أمر عسير ، لأن الله إذا حجب وجهه عن إنسان فليقل هذا الإنسان : على الدنيا السلام .

السير أو المشى . على الحقيقة موضوع لحركات مخصوصه تصدر من الحيوان . وعلى المجاز يستعمل المشى لانتشار أمر ما وظهوره ، وإن كان ذلك ليس بجسم أصلاً . مثل : « صوتها كالخفية يسرى » (لمر ٤٦ : ٢٢)

ومثل : « صوت الرب الإله » وهو متمشى في الجنة ، (تك ٣ : ٨) فالصوت هو الذى يسير ويمشى ، لا الرب نفسه - كما يقول ابن ميمون - ويستعمل لرفع العناية عن الشيء . مثل انصرف عن هذا الأمر وولاه ظهره . ومن المعنى « واشتد غضب الرب عليهما ومضى » (عد ١٢ : ٩) فمضى تعنى رفع الله عنايته عنهما ، لا أنه سار ومشى على الحقيقة . ويستعمل أيضاً للسير بالسيرة الفاضلة دون تحرك جسم أصلاً . مثل : « هلموا لنسلك في نور الرب » (أش ٢ : ٥) أى لنعمل بالشرعة .

السكن . على الحقيقة هو دوام المقيم في مكان ما ، في ذلك المكان . فإنه بطول إقامة الحيوان في مكان ما ، عاماً كان أو خاصاً . يقال فيه : إنه سكن . في ذلك الموضع ، وإن كان هو متحركاً فيه بلا شك . وعلى المجاز يستعمل السكن لكل أمر ثبت ولزم شيئاً آخر مثل : « لبيت هلك اليوم الذى ولدت فيه . والليل الذى قال : قد حبل برجل ، ليكن ذلك اليوم ظلاماً . لا يعتن به الله من فوق ، ولا يشرق عليه نهار ، لئلا يلك الظلام وظل الموت . ليحل عليه سحب ، لرقبه كاسفات النهار » (أى ٣ : ٣ - ٥) . فالיום في النص ليس جنماً ، والسحاب ليس حيواناً ليحل على اليوم .

وعلى هذا المجاز إذا قيل سكن الله فإن معناه : دامت سكينته أو عنايته . في أى موضع ، أو معناه : دامت عنايته في أى أمر . مثل : « وحل مجد الرب » (خر ٢٤ : ١٦) « وأسكن فيما بين بنى إسرائيل » (خر ٢٩ : ٤٥)

القيام على الحقيقة : هو الوقوف الذى يقابل الجلوس . وعلى المجاز : بعنى النهوض والاضطلاع بالشيء . يقال فلان قام بالأمر أى نهض به واضطلع به . وفيه معنى ثبات الأمر . فإن من نهض لأمر واضطلع به فقد ثبته ، فن

يقول مثلاً : أقوم على رعاية هؤلاء . يعنى أنه ثابت على رعايتهم . وقول
الله فى التوراة : « أقوم الآن . يقول الرب » (مز ١١ : ٦) يريد به :
الآن أنبت أمرى ووعدى ووعيدى .

ويقال لسلك من ثار لآى أمر : إنه قام . مثل . « إن ابنى قد أثار
على عبيدى » (اصم ٢٢ : ٨) واستعير هذا المعنى لنفوذ أمر الله على قوم
استحقوا العقاب مثل : « ويقوم على بيت الأشرار » (أش ٣١ : ٢)
أى ليهلكهم . يقول ابن ميمون : « ومن هذا المعنى جاءت نصوص كثيرة
لأن ثم قياماً أو قعوداً — تعالى الله عن ذلك — فقد قالوا — عليهم
السلام — لا يوجد فى العالم العلوى : جلوس ولا وقوف . لأن الوقوف
يحمى بمعنى القيام » (حجيجه ١٥ : ١)

الوقوف على الحقيقة : هو القيام الذى يقابل الجلوس . وعلى المجاز
يأتى بمعنى النسكول والكف . مثل « توقفوا لم يجيبوا من بعد » (أى ٣٢ :
١٥) « كم توقفت الولادة » (تك ٢٩ : ٣٥) ويأتى بمعنى الثبات والبقاء
مثل « وأمكنك القيام » (خر ١٨ : ٢٣)

يقول ابن ميمون : « وكل وقفة جاءت فى الله تعالى هى من هذا المعنى
الآخر ، فقول التوراة عن الله تعالى : « وتقف قدماه » فى ذلك اليوم على
جبل الزيتون » (زك ١٤ : ٤) أى تثبت أسبابه ، أعنى : مسبباته »

القرب على الحقيقة : هو الدنو من الشيء . وعلى المجاز قد يكون بمعنى
اتصال العلم بالمعلوم . فكأنه شبه بقرب جسم من جسم . مثل : « فإن
قضاءها بلغ إلى السموات » (إر ٥١ : ٩) « وأى أمر صعب عليكم فارفعوه
إلى » (تث ١ : ١٧) أى أعلمونى به « إن الشعب يتقرب إلى بغيه ويكرهنى

بشفيعه ، (أش ٢٨ : ١٣) وليس المعنى أن اليهود يتقربون إلى ذات الله تعالى بأفواههم على الحقيقة .

يقول موسى بن ميمون : د فكل لفظة من القرب والتقدم ، تجدها جاءت في كتب النبوة بين الله تعالى وبين مخلوق من المخلوقات . فهي كلها من هذا المعنى الأخير (المجازي) لأن الله تعالى ليس هو جسماً . فلا هو تعالى يدنو ولا يقرب من شيء . ولا شيء من الأشياء يقرب منه ، أو يدنو به — تعالى — إذ بارتفاع الجسمانية يرتفع المكان ويبطل كل قرب ودنو . أو بعد أو اتصال ، أو انفصال ، أو تماس ، أو تقال . وما أراك تشك ولا يلتبس عليك قوله — أى قول الله في التوراة — : د الرب قريب من جميع دعائه ، (مز ١٤٥ : ١) فالمراد : قرب علم . أعنى : إدراك علمي لا قرب مكان ،

كلمة « ملا » ، على الحقيقة : تدل على جسم يحل في جسم فيملاؤه : مثل : د ملأت جرتها ، أى أن جسم الماء حل في جسم الجرة ، وعلى المجاز يستعمل في معنى انقضاء زمان ما ، مقدر . مثل دكملت أيامها ، (تك ٢٥ : ٢٤) ويستعمل أيضاً في معنى السكال في الفضيلة ، والغاية فيها . مثل : د وكان ممتلئاً حكمة وفهما ومعرفة ، (١ مل ٧ : ١٤)

يقول ابن ميمون : د وكل لفظة ملآن تجدها منسوبة لله فهي من هذا المعنى ، لا أنب ثم جسماً يملأ مكاناً . إلا أن تريد أن تجعل د مجد الرب ، : النور المخلوق الذي يسمى مجداً في كل موضع ، وهو الذي ملأ المسكن . فلا ضير في ذلك ، يريد أن يقول : لا ضير في أن تفسر مجد الرب بنور الرب . وهذا النور هو الذي ملأ مسكن الرب ، لا ذات الرب نفسه .

لفظ « العلو » على الحقيقة : هو لارتفاع المكان . وعلى المجاز هو

لارتفاع الدرجة والمنزلة والجلالة والكرامة والعزة . مثل : « من أجل
أنى رفعتك عن التراب » (١ صم ١٦ : ٢) وما جاء في التوراة عن ارتفاع
الله وعلوه فهو محمول على المجاز . مثل : « اللهم ارتفع على السموات ،
(مز ٥٦ : ٦) » هكذا قال العلي الرفيع ، (أش ٥٧ : ١٧)

وفي هذا الموضع يقول ابن ميمون : « إن الله تعالى عند المدركين
الكاملين لا يوصف بأوصاف كثيرة ، وأن هذه الأوصاف المتعددة كلها
التي تدل على التعظيم والعزة والقدرة والسكال والجود ، وغيرها . كلها
ترجع لمعنى واحد . وذلك المعنى هو ذاته ، لا شيء خارج عن الذات ،
ثم يقول : « إن العلو والرفع ليس معناه ومفهومه : علو مكان ، بل علو
منزلة »

غضب : على الحقيقة يدل على الوجع والألم . مثل : « بالآلم تلدين
البنين » (تك ٣ : ١٦) وعلى المجاز ١ — يأتي بمعنى الغم . مثل : « ولم يكن
أبوه يغمه في أيامه » (١ صم ١ : ٦) أى يفضيه ٢ — ويأتى بمعنى الخلاف
والعصيان . مثل : « د في النهار كله يعرفون أموري » (مز ٥٥ : ٦) ومن
تتعرض أموره يغضب . وعلى المجاز قال الله عن نفسه في التوراة :
« ونأسف في قلبه » (تك ٦ : ٦) وتأويله على المعنى المجازى الأول : أن
الله غضب عليهم لسوء فعلهم . وقال : « د في قلبه » لأنه لم يقله لنبى في ذلك
الوقت الذى نفذ فيه ذلك الفعل . ومثل ذلك — والله المثل الأعلى —
مثل الإنسان إذا ظهرت له فكرة لم يخبر بها أحد ، يقول : كان في قاي
كذا . ولأن الله يكلم الناس على قدر عقولهم عبر عن نفسه هكذا . أما
هو فليس كمثله شيء . وتأويله على المعنى المجازى الثانى : إنهم خالوا
إرادة الله ، لأن القلب في نظر الناس محل للإرادة .

ومن ذلك : د هل قلبك مستقيم نظير قلبي ؟ (٢ مل ١٠ : ١٥) أى ..
إرادتك فى الاستقامة كإرادتى .

أكل : على الحقيقة تدل على تناول الطعام . ثم إن اللغة لحظت
فى الأكل معنيين : المعنى الأول : هو تلافى الشيء المأكول وذمها به .
والمعنى الآخر : هو نمو الحيوان بما يتناوله من الغذاء . وبحسب المعنى
الأول يكون لفظ الأكل مجازاً مستعملاً فى كل ما فيه تلف وإبادة مثل :
د أرض تاكل أهلها ، (عد ١٣ : ٣٣) وبحسب المعنى الثانى يكون لفظ
الأكل مجازاً مستعملاً فى كل ما فيه نفع للإنسان . كتعلم العلم والحكمة .
مثل : د تعالى كل لحماً دسماً فى بيت الرب ، (بابا بنشرا ١٢٢)

وجه : على الحقيقة اسم لوجه الحيوان . وعلى المجاز يأتى بمعان منها :
١ — الغضب . مثل : د ولم يتغير وجهها أيضاً ، (تك ٤٠ : ٧) أى لم تغضب .
وعلى هذا المعنى المجازى يفسر غضب الله وسخطه . مثل د وجه الرب
فرقمهم ، (لمر ٤ : ١٦) أى غضب الله عليهم ففرقهم ٢ — ويأتى الوجه
مجازاً عن حضرة الشخص ومقامه . مثل : د ألا يهدف عليك فى وجهك ؟ ،
(أى ١ : ١١) أى يكذب عليك فى وجودك . وعلى هذا المعنى المجازى يفسر أن
الله كلم موسى وجهاً لوجه ، فى قوله : د وكلم الرب موسى وجهاً لوجه ،
(خر ٣٣ : ١١) أى بدون واسطة ٣ — ويأتى الوجه مجازاً بمعنى العناية .
مثل : د يرفع الرب وجهه نحوك ، (عدد ٦ : ٢٦)

آخر : على الحقيقة هو اسم للظهر . وعلى المجاز يأتى ظرف زمان بمعنى
بعد . مثل : د ولا قام بعده مثله ، (٢ مل ٢٣ : ٢٥) د بعد هذه الأمور ،
(تك ١٥ : ١) ويأتى مجازاً بمعنى التبع واقتفاء الأثر فى السير ، بسيرة
شخص ما . مثل د الرب إلهكم تتبعون ، (تث ١٣ : ٤) وعلى هذا المعنى

المجازى يفسر قول الله تعالى لموسى عليه السلام : « فتنظر قفاى » (خرو
٣٣ : ٣) أى تدرك ما تبعنى .

قلب : على الحقيقة هو اسم لعضو الحيوان الذى فيه مبدأ حياة كل
ذى قلب . وعلى المجاز يأتى بمعان كثيرة منها : ١ - وسط الشيء مثل :
« إلى كبد السماء » (تث ٤ : ١١) ٢ - الفكرة . مثل : « ألم يكن قلبى
هناك ؟ » (٢ مل ٥ : ٢٦) يعنى : كنت حاضراً بفكرتى عندما جرى
كذا وكذا ٣ - الرأى : مثل : « كل سائر إسرائيل كانوا قلباً واحداً ،
ليقيموا داود ملكاً » (١ أخ ١٢ : ٣٩) أى على رأى واحد .
٤ - الإرادة . مثل : « أعطيتكم رعاة على وفق قلبى » (إر ٣ : ١٥) وعلى المعنى
المجازى هذا يفسر قول الله تعالى عن نفسه « ستكون عينائى وقلبى هناك
كل الأيام » (امل ٩ : ٣) بمعنى عنايتى وإرادتى ٥ - العقل . مثل :
« قلب الحكيم عن يمينه » (جا ١٠ : ٢) أى عقله كامل فى كل
الأمور .

روح : على الحقيقة هو موضوع للهواء . مثل : « وريح الله يرف »
(تك ١ : ٢) وعلى المجاز يستعمل بمعنى : ١ - روح الحيوان . مثل :
« فيه روح حياة » (زك ٧ : ١٥) ٢ - صعود روح الميت إلى الله . مثل :
« يعود الروح إلى الله الذى وهبه » (جا ١٢ : ٧) ٣ - فيوضات الله .
مثل : « روح الرب تكلم فى » (٢ صم ٣ : ٢) ٤ - الغرض والإرادة . مثل :
« ويهراق روح مصر فى داخلها وأبيد مشورتها » (أش ١٩ : ٣) أى تنشئت
أغراضها ، ويخفى تدبيرها .

رجل : على الحقيقة اسم لعضو من الحيوان يمشى عليه . وعلى المجاز
تكون الرجل .

١ - بمعنى التسبع ، مثل : د اخرج أنت وجميع الشعب الذين في عقبك ، (خر ١١ : ٨) أى الشعب التابع لك .

٢ - بمعنى : السببية . مثل قول يعقوب لحاله د ما كان لك قبلى قليل . فقد اتسع إلى كثير . وباركك الرب فى أثرى ، (تك ٣٠ : ٣٠) وفى أثرى أترجم د لرجلى ، أى باركك بسببى . لأن الأمر الذى يكون من أجل شئ . يكون هذا الشئ سببا فى حصول الأمر : وعلى هذا المعنى تقول التوراة عن الله : د وتقف رجلاه فى ذلك اليوم على جبل الزيتون ، (زك ١٤ : ٤) تريد به : ثبات أسبابه . اعنى : العجائب التى تظهر حينئذ فى ذلك الموضع ، العجائب التى سببها - أى فاعلها - هو الله .

وقد جاء عن الله فى التوراة : د ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو ، وسبعون من شيوخ إسرائيل ، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجلية شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء فى النقاوة ، (خر ٢٤ : ٩ - ١٠)

وقد تأوله د أنقلوس ، بأن جعل الهاء فى رجلية عائدة إلى الكرسي . أى وتحت رجلى الكرسي لقوله : د وتحت كرسي مجده ، ويقول أنقلوس : لأنه لم يقل : وتحت كرسيه فقط ، وإنما قال : د وتحت كرسي مجده ، لأنه لو قال وتحت كرسيه فقط ، لزم كونه - تعالى - جسما ، ومستويا على جسم هو الكرسي . أما نسبتة الكرسي إلى د مجده ، فلا يلزم منه التجسيم ، لأن المجد يؤول حينئذ بالسكنة ، وهى نور مخلوق .

وقد ناوله ابن ميسون بأن «نحت رجايه» يريد به : من سببه ومن أجله .
والذى أدركوه : هو حقيقة المادة الأولى للأرض ، التى هى من خلقه .
تعالى وهو سبب وجودها .

وماهى المادة الأولى ؟ إن حجر العقيق ويطرجم بحجر الياقوت
عبارة عن «الشفاف» لا عن اللون الأزرق ، ويطرجم باللون الأبيض .
والشفاف عادم الألوان كلها ، ولذلك يقبل الألوان كلها بالتعاقب . وقد
شبهه الله المادة الأولى التى خلق منها الأرض بالشفاف ، لأن المادة الأولى
عديمة الصور وهى تقبل الصور بالتعاقب ، وتقبل أن تتشكل كما يريد
الله . وقد أراهم الله الشفاف الذى هو شبيه بمادة الأرض الأولى القابلة
للتشكل والبقاء والفساد . ليعلموا أن المبدع والمخلق هو الله لا غير .

ويقول ابن ميمون : إن التآويل الذى ذهبت إليه ، قد نهى عليه
«الربى أليعازار بن هورقانوس» فى قوله : «من أين خلقت السماء ؟
من نور ردهائه أخذه وبسطه كالثوب . وكما قيل : «استمروا
منبسطين» — «أنت الملتحف بالنور كرداء» الباسط السماء كسجف ،
(مز ١٠٤ : ٢)

من أين خلقت الأرض ؟ من الثلج الذى نحت كرسى مجده . وكما قيل :
«أخذ قسما منه ورماه» يقول للثاج : «اسقط على الأرض» (أى ٣٦ :
٦) هذا قول الربى أليعازار بن هورقانوس بنفسه . وقد عقب عليه ابن ميمون
بما فحسه : «يا ليت شعرى . هذا الحكيم . أى شئ اعتقد ؟ هل اعتقد
أنه من المحال أن يوجد شئ من لا شئ ؟ أو لابد من مادة يتكون منها
ما يتكون ؟ ولذلك طلب للسماء والأرض : «من أين خلقا ؟ وأى شئ»
حصل من هذا الجواب ؟ يلزم أن يقال له : من أين خلق نور ردهائه ؟

ومن أين خلق الثلج الذى تحت كرسى المجد ؟ ومن أى شىء خلق كرسى المجد نفسه ؟ فإن كان يريد بنور ردائه شيئاً غير مخلوق ، وكذلك كرسى المجد غير مخلوق . فهذا شذيع جداً . فيكون قد أقر بقدوم العالم . غير أنه على رأى أفلاطون . أما كون كرسى المجد من المخلوقات . فالحكام ينصون بذلك ، لكن على وجه عجيب . قالوا : إنه خلق قبل خلق العالم (ندریم ٣٩ ب) أما نصوص الكتاب فلم تذكر فيه خلقاً بوجه ، سوى قول داود : « الرب أقر عرشه فى السماء » (مز ١٠٢ : ١٩) وهو قول يحتمل التأويل جداً . أما التأييد فيه : فنصوص : « أنت الرب تجلس عرشك أبداً من جيل إلى جيل » (مى ٥ : ١٩) فإن كان الرب أليعازار يعتقد قدم العرش . فيكون إذا صفة لله لا جسماً مخلوقاً . فكيف يمكن أن يتكون شىء من صفة ؟ وأعجب شىء قوله : « نور ردائه » ا . ه .

ثم يقول ابن ميمون : إنه يستفاد من كلام الرب أليعازار : أن مادة السماء غير مادة الأرض . فمادة السماء من نور الرداء ، ومادة الأرض من الثلج الذى تحت كرسى المجد . ولذلك أراهم « الشفاف » ليدل به على مادة الأرض .

نفس : على الحقيقة اسم للنفس الحيوانية الحساسة . وعلى المجاز تأتى بمعنى ١ — الدم . مثل : « فلا تأكل النفس مع اللحم » (نث ١٢ : ٢٣)
٢ — صورة الإنسان . أى النفس الناطقة . مثل : « حتى الرب الذى صنع لنا هذه النفس » (ار ٣٨ : ١٦) ٣ — الباقي من الإنسان بعد الموت . مثل : « نفس سيدى محزومة فى حزمة الأحياء » (١ صم ٢٥ : ٢٩)
٤ — الإرادة . مثل : « ولا يسلبه إلى نفوس أعدائه » (ز ٤٠ : ٣) أى لا يسلبه لإرادتهم . وكل ما جاء فى التوراة عن « نفس الله » يكون

بجازاً عن إرادته . مثل دفر قلبه لمشقة إسرائيل ، (قض ١٠: ١٦) أى كفت إرادته عن إشقاء بني إسرائيل . و ديونان بن عزبائيل ، أخذ دفر قلبه ، على المبنى الحقيقى ، وامتنع من شرحه ، وابن ميمون أخذه على المعنى المجازى كناية عن الإرادة . ولو أنهما قالوا : إن التوراة عبرت عن الله بلسان بني آدم ، وكفا عن الشرح بالحقيقة أو بالمجاز ، لكانا على درجة قصوى من الصواب .

حى : على الحقيقة اسم للناس الحساس . وعلى المجاز يأتى بمعان منها :
١ - لو مرض إنسان مرضاً شديداً . يعبر عن المرض الشديد بالموت مجازاً . مثل : د فمات قلبه فى جوفه وصار كحجر ، (اصم ٢٥ : ٢٧) أى مرض مرضاً شديداً . ولو أن إنساناً بره من مرضه ، يعبر عن البره بالحياة مجازاً . مثل : « وأفاق من مرضه » (أش ٢٨ : ٩) ٢ - اقتناء العلم والحكمة مثل : قول الحكمة فى سفر الأمثال : « فالآن أيها البنون اسمعوا لى . فطوبى للذين يحفظون طرقى ، اسمعوا التعليم وكونوا حكياء ولا ترفضوه . طوبى للإنسان الذى يسمع لى ساهراً كل يوم عند مصارىعى ، حافظاً قوائم أبوابى . لأنه من يجدنى يجد الحياة ، وينال رضى من الرب ، ومن يخطئ عني يضر نفسه . كل مبغضى يحبون الموت » (أم ٨ : ٣٣ - ٣٦) أى أن الحكمة حياة للذين يصادفونها . ولأن الحكمة حياة مجازاً ، يعبر عن الآراء الصحيحة بالحياة وعن الآراء الفاسدة بالموت . مثل : « انظر : لى جعلت اليوم بين يديك الحياة والخير ، والموت والشر » (ث ٣٠ : ١٥) فقد صرح بأن الخير هو الحياة ، وبأن الشر هو الموت .

جناح : على الحقيقة اسم لجناح الحيوان الطائر . وعلى المجاز يستعمل بمعنى الستر والتغطية . « الذى جئت لتستره من تحت جناحيه » (را ٢ : ١٣) معناه : لتستره من تحت ستره .

عين : على الحقيقة اسم لعين الحيوان . وعلى المجاز يستعمل في ١- عين الماء . مثل : « على عين ماء في البرية » (تك ١٦ : ٧) ٢- العناية . مثل : « خذهُ واجعل عينيك عليه » (لار ٣٩ : ١٢) أى اجعل عنايتك به . وعلى هذا المعنى المجازى يفسر ما جاء عن الله في التوراة ، وهو « وستكون عيناى وقاى هناك كل الأيام » (١ مل ٩ : ٣) يفسر بعنايته وإرادته ٣- وإذا اقترن بالعينين لفظ رؤية مثل : « افتح عينيك وانظر » (٢ مل ١٩ : ١٦) . فمعناه : الإدراك العقلى ، وليس الإدراك الحسى .

سماع : على الحقيقة بمعنى السمع من الأذن . وعلى المجاز يأتى بمعنى القبول . مثل : « فلم يسمعوا لموسى » (خر ٦ : ٩) ويأتى بمعنى العلم والمعرفة . مثل : « أمة لا تفهم لغتها » (تث ٢٨ : ٤٩) وما جاء في التوراة عن سماع الله لكلام الناس إن كان مثل « فسمع الرب » (عد ١١ : ١) . فمعناه : إدراك العلم مرادهم ، وإن كان مثل « فإني أسمع صه اخها » (خر ٢٣ : ٢٢) فمعناه : أجاب دعاهما .

ركب : على الحقيقة يستعمل في ركوب الإنسان على البهائم . وعلى المجاز يستعمل للاستيلاء على الشيء ، لأن الراكب مستولى وحاكم على مركوبه . مثل : « داركه على مضاب الأرض » (تث ٣٢ : ١٣) وعلى هذا المعنى المجازى قيل في الله تعالى : « ركب السماء لنصرتك » (تث ٣٣ : ٢٦) ومعناه : أنه مستولى على السماء . ويعبر عن السماء في التوراة بالبرارى . والبرارى عندهم هو الفلك الأعلى المحيط بالكل . ذلك لأن السموات سبعة ، والبرارى هو الأعلى المحيط بالكل . والدليل على أن البرارى هي السموات : أنه في موضع مكتوب « ركب البرارى » (مز ٦٨ : ٥) وفي موضع مكتوب : « ركب السماوات » (حجيجه ١٣ ب) وقد بلغنى :

أن السماء الأولى في كلام اليهود اسمها فيلون ، والثانية رقيع ، والثالثة شحاقيم ، والرابعة زبول ، والخامسة ماعون ، والسادسة ماعكون ، والسابعة عرفات — وفي تفسير القرطبي أن الأولى اسمها رقيع — وبلغنى أن ابن ميمون عبر عن السماء السابعة بعرفات . والنسخة العربية التى معى من دلالة الخائرين فيها أنه يقصد بالبرارى الفلك الأعلى المحيط بالسكن ، لا أنه يقصد جبل عرفات فى أرض مكة المكرمة ، وقد فهم غيرى — كما قال من بلغنى — أنه يقصد «جبل عرفات» لأن فى بعض مخطوطات « دلالة الخائرين » : «الروكب بعربوت» بدل «الراكب فى البرارى» (من ٦٨ : ٥) أو «للراكب فى القفار» أو «للراكب على القمام»

تم الكلام فى قضية كتاب « أساس التقديس »

تم هذا الكتاب الذي سميته بتأسيس المقدس على تعدد الدار وتباين الاقطار وقال
الله تعالى ان سبعة في المدارس بفضلهم وكريمه ويؤيته على اربعة اقسام القسم
الاول في الدلائل المدالة على تعالى منزله عن المحسوس والحيز وفيه فصول
الفصل الاول في عدد المقدمات التي يجب بعضها
قبل الخوض في الدلائل وهي ثلث المقدمة الاولى اعلم ان ادعى وجود
موجود لا يمكن لنشر اليه بالبحث انه صنفنا او هناك او يقول ان ادعى وجود موجود
غير حال في العالم ولا مباين في سائر الجهات الست الى العالم وهذه العبارات
متقاربة والمقصود من كل شيء واحد ومن المحال من يدعي لمصاد هذه المقدمات معلوم
بالضرورة وقالوا لان العلم الضروري حاصل بان كل موجود من غير ان يكون له جهة حال
في الاخر او مباين عنه محصا بجهته من الجهات الست المحيطة به قالوا واسات وجود
على خلاف هذه الاقسام السبعة باطل في بداية العقول واعلم انه لو ثبت كون هذه
المقدمة بديهية لم يمكن الخوض في ذكر الدلائل جاز لان على عدد ان يكون الامر على ما قلنا
كان الشروع في الاستدلال على كون الله تعالى غير حال في العالم ولا مباين عنه بالجمه
ابطال الضرورات والتدريج في الضرورات بالنظريات بمعنى التدريج في الاصل بالفرع
وذلك نوجب نظرا لاعتزال الاصل والفرع معا وهو باطل بل يجب علينا بيان ان
هذه المقدمة ليست من المقدمات البدئية حتى يزول هذا الاستكسال فتقول الذي
يدل على ان هذه المقدمات بدئية وجوه احدها ان جهونا العقل المعبرين

فهرس كتاب
أساس التقديس في علم الكلام
تأليف
الامام فخر الدين الرازى

الموضوع	الصفحة
اهداء الكتاب للاستاذ الدكتور ((يحيى هاشم حسن فرغل)) وكل كلية اصول الدين بطنطا - جامعة الأزهر	٣
التعريف بالكتاب	٥
مؤلف الكتاب	٦
مقدمة الكتاب	٩
المسيح عيسى عليه السلام يفسر كيف ان ((الانسان ينال من يد الله)) المؤلف يهدى الكتاب لأفضل سلاطين الحق واليقين ، السلطان ((ابو بكر بن ايوب)) سلطان الاسلام والمسلمين	٩ ١٠

القسم الأول في الدلائل الدالة على انه تعالى منزّه عن الجسمية والحيز	١٣
الفصل الأول : في تقرير المقدمات التى يجب ايزادها قبل الخوض في الدلائل	١٥
المقدمة الأولى : في اثبات موجود لا يشار اليه بالحس	١٥
المقدمة الثانية : في انه ليس كل موجود ، يجب ان يكون له نظير وشبيهه ، وأنه ليس يلزم من نفي النظر والشبيهه ، نفي ذلك الشيء	٢٦
المقدمة الثالثة : في اخلاف القائلين بأن الله سبحانه	٢٨

الصفحة	الموضوع
٣٠	الفصل الثانى : فى تقرير الدلائل السمعية على انه سبحانه وتعالى منزّه عن الجسميّة والحيز والجهة
٣٩	« هل تعلم له سميا » اى مثلا
٤٧	شرح ابن قتيبة لحديث : أن الله كان فى عمام ليس نحوه باء ولا فوقه هواء
٤٨	الفصل الثالث : فى اقامة الدلائل العقلية على أنه تعالى ليس بمتحيز البتة
٦٢	الفصل الرابع : فى اقامة البراهين على أنه تعالى ليس مختصا بخير وجهة ، بمعنى أنه يصح أن يشار اليه بالחס بأنه ههنا أو هنالك
٦٢	من الطرق العقلية على نفى التجسيم واثبات الوجدانية
٧٩	الفصل الخامس : فى حكاية الشبه العقلية فى كونه تعالى مختصا بالحيز والجهة
٩٢	الحقيقة والمجاز فى المكان والكرسى والجلوس والصعود والهبوط والرؤية والنظر فى أسفار التوراة
١٠٠	الفصل السادس : فى الرد على الكرامية القائلين بأنه تعالى جسم بمعنى كونه تعالى غنيا عن المحل ، قائما بالنفس
١٠١	مقصود الناس فى العلم الالهى ثلاثة مقاصد : الأول : اثبات وجود الاله تعالى والثانى : اثبات أنه ليس بجسم ولا قوة فى جسم والثالث : كونه واحدا
	* * *
١٠٣	القسم الثانى من هذا الكتاب فى تاويل المتشابهات من الأخبار والآيات
١٠٥	المقدمة : فى بيان أن جميع فرق الاسلام مقرون بأنه لابد من التاويل فى بعض ظواهر القرآن والأخبار
١٠٩	معنى ان الله تبارك وتعالى قبرا « طه » و « يس » قبل أن يخلق السموات والأرض بالفى عام

الصفحة	الموضوع
١٠٩	تأويل ابن عباس لقوله تعالى « الرحمن على العرش استوى »
١٠٩	تأويل الطبرى لقوله تعالى : « والقيت عليك محبة منى »
١١٠	الفصل الأول : فى اثبات الصورة
	تأويل الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون — لعنه الله —
	لقول الله — تعالى — فى التوراة — كما كتبوا — « لنصنع
١١١	الانسان على صورتنا كمثالنا » (تك ١ : ٢٦)
١٢١	الفصل الثانى : فى لفظ الشخص
١٢٢	الفصل الثالث : فى لفظ النفس
١٢٥	الفصل الرابع : فى لفظ الصمد
١٢٧	الفصل الخامس : فى لفظ اللقاء
١٢٩	الفصل السادس : فى لفظ النور
١٣١	الفصل السابع : فى الحجاب
١٣٤	الفصل الثامن : فى القرب
١٣٥	الفصل التاسع : فى المجرى والنزول
١٤٧	الفصل العاشر : فى الخروج والبروز والتجلى والظهور
١٤٩	الفصل الحادى عشر : فى الظواهر التى توهم كونه قابلا للنجزىء
١٤٩	والتبعض — تعالى الله عنه علوا كبيرا —
	الفصل الثانى عشر : فى الجواب عن استدلالهم بقوله تعالى :
١٥٠	« ألهم أرجل يمشون بها » ؟ ... الخ
١٥١	الفصل الثالث عشر : فى الوجه
١٥٧	الفصل الرابع عشر : فى العين
١٦٠	الفصل الخامس عشر : فى النفس
١٦١	الفصل السادس عشر : فى اليد
١٦٨	الفصل السابع عشر : فى اثبات القبضه

الموضوع	الصفحة
الفصل الثامن عشر : في ما تمسكوا به في اثبات اليدبى لله عز وجل	١٧٠
الفصل التاسع عشر : في اثبات اليمين لله تعالى	١٧٢
الفصل العشرون : في الكف	١٧٤
الفصل الحادى والعشرون : في الساعد	١٧٥
الفصل الثانى والعشرون : في الاصبع	١٧٦
الفصل الثالث والعشرون : في الأنامل	١٨٠
الفصل الرابع والعشرون : في الجنب	١٨١
الفصل الخامس والعشرون : في الساق	١٨٢
الفصل السادس والعشرون : في الرجل والقدم	١٨٤
الفصل السابع والعشرون : في الضحك	١٨٨
الفصل الثامن والعشرون : في الفرح	١٩٠
الفصل التاسع والعشرون : في الحياء	١٩١
الفصل الثلاثون : في ما ينمسون به في اثبات الجهة لله تعالى	١٩٤
الفصل الحادى والثلاثون : في كلام كلى في اخبار الاحاد	٢١٥
الفصل الثانى والثلاثون : في أن البراهين العقلية اذا صارت معارضة بالظواهر النقلية . فكيف يكون الحال فيها ؟	٢٢٠
قانون التأويل بين الامام فخر الدين وبين الامام أحمد بن تيمبه	٢٢١
* * *	
القسم الثالث من هذا الكتاب : في تقرير مذهب السلف	٢٢٢
الفصل الأول : في أنه هل يجوز أن يحصل في كتاب الله تعالى ما لا سبيل لنا الى العلم به ؟	٢٢٤
الفصل الثانى : في وصف القرآن بأنه محكم ومتشابه	٢٣٠
الفصل الثالث : في الطريق الذى بعرف به كون الآية محكمة او متشابهة	١٣٤

الصفحة	الموضوع
٢٣١	الفصل الرابع : في تقرير مذهب السلف
٢٤١	الفصل الخامس : في تفاريع مذهب السلف

٢٤٥	التقسيم الرابع من هذا الكتاب : في بقية الكلام في هذا الباب
٢٤٧	الفصل الأول : في حكم ذكر هذه المتشابهات
٢٥١	الفصل الثاني : في أن الجسم هل يوصف بأنه، مثبته أم لا ؟
٢٥٧	الفصل الثالث : في أن من يثبت كونه — تعالى — جسما منحسرا مختصا بجهة معينة هل يحكم بكسره أم لا ؟

٢٥٩	قضية الكتاب
	« ابن خزيمة » يؤلف كتاب « التوحيد » ليعلم الناس أن الله — عز وجل — وجها ويدين ، بلا كيف ، والامام فخر الدين يكرهه ويرد عليه
٢٥٩	الامام الشافعي رضي الله عنه — على مذهب الامام فخر الدين في أويل أخبار صفات الله تعالى التي يدل ظاهرها على أن الله جسم
٢٦١	ابن تيمية كان يدرس كتب الامام فخر الدين الرازي لطلاب العلم
٢٦٢	ابن قدامة المقدسي لازم الشيخ ابن تيمية مدة ، وقرأ عليه قطعة من كتاب « الأربعين في أصول الدين » للرازي
٢٦٢	فخر الدين الرازي استاذ لابن تيمية ، والمسيح عيسى عليه السلام يقول : « ليس التلميذ أفضل من المعلم »
٢٦٢	رأى الامام فخر الدين في : (١) « يد الله فوق أيديهم » . (ب) « ليس كمثله شيء »
١٦٣	رأى الامام ابن تيمية في : (١) « يد الله فوق أيديهم » . (ب) « ليس كمثله شيء »
٢٦٤	من ردود العلماء على شيخ الاسلام ابن تيمية
٢٦٥	ابن تيمية يقول أن لفظ « يمين » في « الحجر الأسود يمين الله في الأرض » هو مجاز . وهو مجاز من سياق العبارة . وليس هو مجازا من لفظ « يمين »

الصفحة	الموضوع
٢٦٦	تقسيم اللفظ الى حقيقة ومجاز موجود في اللغة العربية من قبل وجود « معمرين المثنى » واحمد بن عبد الحليم
٢٦٦	الشيخ ابن تيمية يصرح بالتأويل في كتابه « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » كما صرح به الامام فخر الدين سواء سواء
٢٦٨	الشيخ احمد بن عبد الحليم يشتم شعيبا النبى عليه السلام في مجموع الفتاوى لابن قاسم
٢٦٩	الشيخ الآلوسى في تفسيره روح المعانى يقول بما قال به ابن نية الشيخ محمود بن عمر في تفسيره الكشف يقول بما قال به الامام فخر الدين
٢٧٠	الخطيب الشربيني المفسر في تفسيره السراج المنير يقول بما قال به الامام فخر الدين
٢٧٠	الازهر يعلم الطلاب : وكل نص اوهم التشبيها ... اوله ، او فوض ، ورم تنزيها
٢٧١	الامام الغزالى حجة الاسلام يقول بما قال به الامام فخر الدين
٢٧٥	اهل التصوف يقولون بما قال به الامام فخر الدين
٢٧٥	الشيخ عبد الوهاب الشعرانى في « لطائف المنن » يقول بما قال به الامام فخر الدين
٢٧٥	الامام القرطبى في تفسيره الجامع لاحكام القرآن يقول بما قال به الامام فخر الدين
٢٧٥	ابن بطوطة يقول ان الشيخ ابن تيمية نزل درجة من على منبر دمشق . وقال ان الله ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كنزولى هذا
٢٧٦	الشيخ على بن احمد في كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل يقول بما قال به الامام فخر الدين
٢٧٧	على ابن ابي العز يصف المنزهين لله على التجسيم حتى ولو بلا كيف بأنهم مجانيين
٢٧٧	سفيه المسلمين

الحقيقة والمجاز في أخبار صفات الله تعالى في أسفار التوراة ٢٧٩

كلام الامام فخر الدين شبيه بكلام عيسى عليه السلام في ذات الله
٢٧٩ تعالى وصفاته

عيسى عليه السلام يصعد على حجارة يشوع بن نون ويصرح بأن
٢٧٩ الله واحد

عيسى عليه السلام يستشهد بالتوراة على أن الله هو رب
٢٨٠ العالمين ، وليس كمثل شئ

عيسى عليه السلام يبين أن الله يعبر عن ذاته بأوصاف البشر
٢٨٢ على سبيل التمثيل والمشكلة

سنة عشرة آية من آيات التوراة وأسفار الانبياء على أن الله
٢٨٢ ليس كمثل شئ

بعض المسلمين يقولون أن التوراة تصف الله بأنه جسم . وبعض
٢٨٣ المسلمين يقولون بأن التوراة تنزه الله عن الجسمية

عامة من بنى اسرائيل ينزهون الله عن الجسمية منهم :
٢٨٤ انقولوس — يوناتان — سبينوزا — ابن كونة — ابن ميمون

اليهود يكفرون بآيات الله ، ولا يكفرون بالله
٢٨٥

اسم الله الأعظم عند اليهود هو « يهوه » والاسم الأعظم في
٢٨٦ العبرانية هو « شم همفورث »

اسم « أدوناي » عند اليهود يطلق على الله ، ويطلق على السيد
٢٨٧ العظيم من الناس



الرد على الامام فخر الدين في قوله ان اليهود كانوا على دين
٢٨٩ التشبيه ، وكانوا يجوزون المجيء والذهاب على الله تعالى

الشيخ الغزالي حجة الاسلام في (الجوامع العوام ص ٨٠) بشرح
معنى ينزل الله تعالى كل ليلة الى السماء الدنيا . على
٢٨٩ طريق التأويل

الصفحة

الموضوع

- ذكر كلمات من التوراة استعملت في التوراة على الحقيقة وعلى
المجاز . وكيفية التأويل على المعنى المجازي . وهي : ٢٩٠
عبر — جاء — الخروج — السير أو المشي — السكن —
القيام — الوقوف — القرب — ملأ — غضب — أكل —
وجه — آخر — قلب — روح — رجل — نفس —
٢٩٠ حى — جناح — عين — سماع — ركب
٣٠٦ صور المخطوطة

تم فهرس كتاب أساس التقديس في علم الكلام

(للإمام فخر الدين الرازى)

خطا وصواب

الصواب	الخطأ	رقم السطر	رقم الصفحة
البصير	للبصير	١٧	٥
الصفات	والصفات	٥	٦
والام تحياء	والاستيحاء	٧	٦
الوحدة	الوحدة	١	٣١
احدهما :	احدهما	١٨	٣٥
الادراك	الادواك	٥	٤١
المتحيزة	المتحيز	١٨	٤٩
تقرير	تقرير	٤	٥٠
بالجهة	بالجمهة	١٣	٥٨
ولولا	لولا	٥	٦٥
وخلاء	خلاء	٢١	٧٢
— تعالى —	تغالى	١	٧٣
الصانع	مصانع	١٣	٧٣
الخامس	الخادس	٦	٧٤
وعلى (٣)	ومن (٣) وعلى	١٥	٧٩
تكون	تكون	١٢	٨١
تقريرنا	تقريونا	١٤	٨٢
محايشا	محاديثا	٦	٨٢
ورافع	وائع	٢٠	٨٣
بديهى	بديهى ء	٧	٨٩
يصح	يصبح	٢	٩٠
لكنه	لسكنه	١٠	٩٢

الصواب	الخطأ	رقم السطر	رقم الصفحة
قائم	قائم	٧	٩٦
التوفيق (هـ)	التوفيق	١٢	١٠١
خلقة	خلقه	٨	١١١
فلان	فلا	٧	١٢٠
محال	مجال	٣	١٢٤
بخيرى	بحيرى	١٧	١٢٥
مخلوقا	محوفا	١٩	١٣٦
الاحتراز	الاحتراز	١	١٨٣
وأنا	ونا	١٢	١٨٨
منتقص	منتقص	١١	١٩١
ففقدت	ففدت	٨	١٩٧
وسنتى	السطر الأخير حسنتى		٢٢٦
	١٨ — ٢٠ الخ الصواب : ١٥ ، ١٦ الى ٢٢		٢٤٠
موالى	موالى	٧	٢٥٤
يستأنفونك	يستأنفوك	٦	٢٥٠
هو جسم	ليس جسما	٦	٢٦٣

[illegible]

٢٠٠٠